المركز القومى للترجمة



المشروع القومى للترجمة

علامات على طريق المسرح التعبيرى

ترجمة وتقديم
عبد الغفار مكاوى



1331



كلاسيكيات الدراما العالمية


mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

علامات على

طريق المسرح التعبيرى

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة روائع الدراما العالمية
المشرف على السلسلة : أحمد سخسوخ

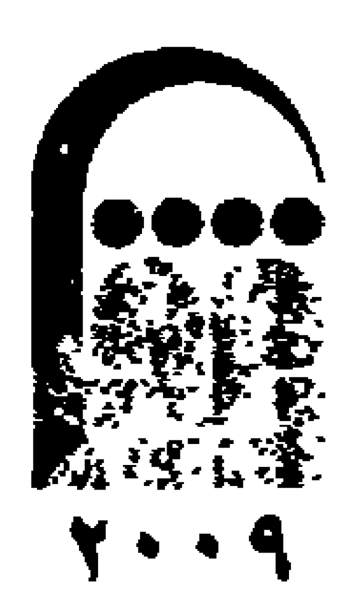
- العدد : ١٣٣١
- علامات على طريق المسرح التعبيرى
- نخبة
- عبد الغفار مكاوى
- ٢٠٠٩

هذه ترجمة لمختارات من المسرح التعبيرى

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
E.Mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

علامات على
طريق المسرح التعبيرى

ترجمة وتقديم : عبد الغفار مكاوى



٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

علامات على طريق المسرح التعبيرى
ترجمة وتقديم : عبد الغفار مكاوى
القاهرة : المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩
٢٢٤ ص ؛ ٢٤ سم
١ - المسرح
(أ) مكاوى، عبد الغفار (مترجم ومقدم)
(ب) العنوان

٧٩٢

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٧٥٠٧
الترقيم الدولى I.S.B.N. 978 -977 - 479 - 136 - 6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعـريفه بها ، والأفكـار التى تتضمنها هى اجتهـادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

تقديم

الانسان ـ عبر ...
علامات على طريق المسرح التعبيرى

رخاء اقتصادى .. تقدم .. تطور فى الصناعة الى حد يهدد باستعباد الآلة للانسان .. غرور النزعة العلمية والوضعية .. ازدحام المدينة الكبيرة وضياع الفرد الوحيد فيها .. مجتمع المال والتجارة والنفاق والمنفعة والطمأنينة البرجوازية الكاذبة .. الظلم الاجتماعى الذى يسحق العمال والفقراء ـ ثم الحرب العالمية الأولى بكل أهوالها وتجاربها المرة المظلمة .. ذلك هو الجو الذى دوت فيه صرخة التعبيريين واحتجاجهم العاطفى النبيل...لكن عمر الصرخات قصير... والصوت المحتج ـ مهما يلمس القلوب ويسيل الدموع ـ لا يلبث أن يتبدد فى ضباب الغموض أو صحراء المطلق أو متاهة الكلمات ، ما لم يرتبط بفكر واضح وهدف محدد .. لذلك سرعان ما ذبلت التعبيرية التى تمخضت عن أزمة طويلة فى الروح الأوروبى والضمير الأوروبى .. فقد ولدت حوالى سنة ١٩١٠ ولفظت أنفاسها الأخيرة حوالى سنة ١٩٢٥ .. تركت وراءها أعمالا عديدة فى الشعر والقصة والمسرح خيم على معظمها النسيان .. وأسماء لا تكاد تحصى كادت أن تختفى حتى من كتب تاريخ الأدب .. ولم يبق منها الا هذا البستان الموحش الجميل الذى أرجو أن تصحبنى فى هذه الجولة القصيرة فيه ...

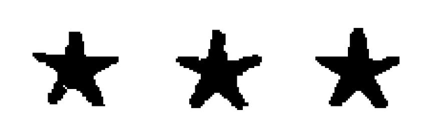
● **لكن ما هى التعبيرية ؟**

هى اصطلاح يدل على حركة فنية واسعة لا تقتصر على الأدب وحده . بل تشتمل الموسيقى والرسم والرقص والمسرح .. ونخطىء لو تصورنا انه يقتصر على الأدب الألمانى أو أن الألمان هم الذين أوجدوه من العدم .. فالواقع أنه اجابة

ألمانية على سؤال أوروبى عام ·· والواقع أيضا انه يشير الى جو عام مشترك · وأن الأدباء أنفسهم لم يضعوه ، بل وضعه نقاد الفن والرسم الجديد لتمييزه عن الرسم التأثيرى أو الانطباع الشائع فى ذلك الحين ·· وتلقفه الشعراء والفنانون الساخطون ، ووجدوا انه ينطبق على نزعتهم الجديدة ، نزعة التعبير عن الانسانية الجديدة التى وضعوها فى مركز فهمهم للفن · ويكفى أن نذكر أسماء كاندفسكى وكوكوشكا وباول كليه وفرانز مارك وجماعتى « الجسر » و « الفارس الأزرق » فى الرسم ، وشونبرج فى الموسيقى ، وتراكل وهايم وبن وشتادلر فى الشعر ، وكافكا ودوبلن وموزيل وفرانز فيرفل ــ فى مراحل تطورهم الأولى على الأقل ــ فى القصة والرواية ، وجورج كايزر وهازنكليفر وأرنست تولر وشتيرنهايم وزورجه ورينهارد جيرنج فى المسرح ، وغيرهم وغيرهم من الأسماء العديدة التى طواها النسيان ·

كانت التعبيرية صرخة احتجاج كما قلت·· أعلنتها طليعة الشباب الساخط على القيم الاجتماعية والسياسية والروحية السائدة فى أوائل هذا القرن · وراحوا يبشرون بانسانية جديدة ومجتمع جديد ، انسانية ترعى الاخوة والمحبة بين البشر ، مجتمع يختفى منه الظلم والقتل والاضطهاد · وكانت من ناحية أخرى صرخة احتجاج على مدرستين كانت لهما الغلبة فى ذلك الحين : الطبيعة التى تحاول أن تنسخ الواقع وتزعم انها تصور الحياة تصويرا دقيقا يلائم آخر التطورات العلمية والطبيعية وقوانين الوراثة والبيئة ! (وقد تجلت مثلا فى أعمال أرنو هولس ويوهانس شلاف) ، والرمزية أو التأثرية التى راحت تتعبد مثل الجمال الخالص والشكل الكامل وتميل بالضرورة للغموض والأسرار التى ترتفع بأصحابها الى معارج التصوف ، وتمجد القيم الفنية الأرستقراطية المتعالية التى تحلق بها فى أجواء بعيدة عن قسوة الواقع وظلم السياسة وتخلف المجتمع (وقد اتضحت مثلا فى أعمال رلكه وستيفان جورجه وهوفمنستال) ·

جاء الجيل الغاضب ــ وليست الكلمة حديثة كما قد يظن البعض : ــ الذى سئم الطبيعيين وضيق أفقهم وسطحيتهم وكره حساسيه الرمزيين وتعاليهم عن مشكلات الواقع والسياسة وعذاب الانسان المهان ، وأعلنوها ثورة لم تقف كما قلت عند حدود الأدب والفن ، بل أصبحت ثورة سياسية واجتماعية تنادى بقيم جديدة وتبشر بانسانية جديدة · ثورة حالمة تبحث عن المطلق فى معظم الأحيان ، وترتبط فى بعض الأحيان بنظـام أو فكر محدد ولكنها تظل ثورة عاطفية وشاعرية فى كل الأحوال ···



بلغت الأزمة ذروتها فى أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها · فقد أطلقت هذه الحرب وحوش الدمار من أغلالها · عم الخراب وسالت الدماء وغطت الجثث

والأشلاء كل مكان . وانهارت قيم الحضـارة التى جاهد الانسان فى حمايتها وتجـديدها . وانهار كذلك الانسـان المتحضر وانهارت معه الدولة والنظـام الاقتصادى . وبدأت الأسئلة الحاسمة التى تثار عادة بعد الأزمات الكبرى تشغل الأذهان . أسئلة عن معنى الانسان ومصيره ، عن غاية المجتمع وهدف الحياة . لم يعد أحد يسأل عن الانسان المتحضر ، بل عن الانسان نفسه من حيث هو انسان ... لم يعد أحد يشغل نفسه بالأدب الرفيع ، بل بالأدب بوصفه تعبيرا عن الانسان الذى عثر على نفسه بعد صدمة الحـرب والانهيار .. لنضع اذن الانسان المعبر عن نفسه فى مركز هذا الأدب التعبيرى .. وليكن هو الانسان « الكونى » المرتبط بالكل والمنتزم كذلك بالكل . لن تشغله الآن ـ كما شغلت سلفه الرومانتيكي ـ جراح قلبه وآلام عزلته وغربته فى هذا الكون ، بل سيعذبه تحكم القوى المعادية .. ولم يعد هذا الانسان جزءا من الطبيعة ، يخضع لقوانين العلية التى تخضع لها ـ كما صورته الطبيعة ـ بل كائنا تستذله سلطة أخرى خلقها بارادته ـ سلطة العلم الحديث والمدنية الحديثة والتكنيك الحديث . ان الجهاز الذى أوجده أصبح الآن يسيطر عليه ويجرده من انسانيته . والاقتصاد الرأسمالى يجيعه ويفقره ، والدولة العسكرية تزج به فى شقاء الحرب . وليس أمامه الآن الا أن يجدد نفسه بالثورة ـ والثورة هى التعبير عن التمرد على القوى التى تجرده من انسانيته . أى التعبير عن الانسان الجديد الذى يرفض كل سلطة (حتى سلطة الآباء .. فقد ظل الصراع بين الأبناء والآباء أحـد الموضوعات الرئيسية فى أدب التعبيريين) ليكن الانسان اذن هو الكائن القادر على الحب ، حب أخيه الانسان ، وحب الطبيعة وحب الله فى أرفع أو أدنى مخلوقاته .. وليبحث الأديب المعبر عن هذا الانسان عن فن جديد (تمتد جذوره فى الفن القوطى والباروك وترانيم المتصوفين على مر العصور) ، فن حى ، متحرك ، متدفق بالعاطفة والشعر والغناء . وليسر هذا الفن أيضا فى طريقه فيخلق لنفسه أسلوبا جديدا يتميز بالتجريد والتكثيف والاقتصار على كل ما هو جوهرى وأساسى ، وليثبت مقدرته أيضا فى مجال الدراما ، وليبعث فى المسرح حياة جـديدة .

★ ★ ★

لنقف الآن وقفة قصيرة نتدبر فيها علاقة التعبيرية بالمسرح . وسيعفينى القارئ بغير شك من تقديم تاريخ لحركتها المسرحية فى مراحلها المختلفة ، فلهذا مكانه فى كتب تاريخ الأدب وتاريخ المسرح . ولن ينتظر منى أيضا أن أعرض عليه الأعمال البارزة فيها ، فالمجال لا يتسع لشئ من هذا ، ولا أن أحدثه عن أعلامها ، لأن معظمهم (مثل جورج كايزر وكارل شتيرنهايم) قد كتبوا أنضج أعمالهم وأدقها من ناحية البناء والتصميم بعد أن تجاوزوا المرحلة التعبيرية من حياتهم . أضف الى هذا أن التعبيريين قد قدموا أجمل عطائهم فى الشعر ، وأقنه

في القصة وأخصبه في المسرح ، ولذلك فلن أستطيع أن أعد القارىء بأكثر من لمحة خاطفة عن موقفهم من الدراما قبل الحديث بشيء قليل من التفصيل عن بعض كتابهم ومسرحياتهم المبكرة ..

لابد من باب الانصاف أن نقول ان التعبيرية كمذهب في الفن والحياة تنقصها العلاقة الحميمة التي كانت تصل الطبيعية بالدراما . فهي لا تقدم لنا الانسان الذي تسيطر عليه قوة أكبر منه وتدفعه للعذاب والفشل والسقوط ، بل تريد أن تقدم الانسان المطلق المتحرر من كل قوة وكل سلطان . ان كل بياناتها وبرامجها النظرية والفكرية تحتم عليها أن تبين انتصار الانسان ، وهزيمة القوى المعادية له .. وهي لا تتجه الى الدراما كشكل فني تريد أن تصلحه أو تحقق فيه أسلوبا بعينه ، بل كوعاء يحتوي أشواقها ، ومجال تعبر فيه عن انتصار الانسان الجديد على أعدائه . ولذلك يصبح البطل الدرامي هو الذي يمثل هذا الانسان الجديد الذي يتحدى كل قوة وكل نظام ينافي الروح الانسانية . هذه القوة هي النظام القائم الذي يحيا فيه . وهذا النظام يتمثل في الدولة وسلطتها المطلقة التي تحطمه بجهازها البيروقراطي المخيف ، وجهازها العسكري المتوحش . وهذه الدولة نفسها لا تملك السيادة على نفسها ، وانما تستعبدها ارادة السلطة الحديثة التي تتمثل في الصناعات الكبرى ورأس المال.. هكذا تظهر الدولة في ثلاثية فرتس فون أنروه (١٨٨٥ —) المسرحية (التي كتب الجزئين الأول والثاني منها في مسرحيتيه « جيل » و « ميدان » ولم يكتب الجزء الأخير حتى الآن) كقوة تعمل على اشعال الحرب أو كصنم حكومي هائل يعبده أعداء الانسان الذين يضحون باخوتهم في أتونها . كما تظهر في مسرحيتين شهيرتين هما غاز (١) ، وغاز (٢) لجورج كايزر (١٨٧٨ — ١٩٤٥) كأداة للصناعة الضخمة التي حولت الانسان الى « انسان آلي » ، وعند أرنست تولر (١٨٩٣ — ١٩٢٩) كدولة استعمارية تخيب أمل المثالي الشاب الذي راح يبحث فيها عن مجتمع انساني حق (كما في مسرحية التحول) .

ومع ذلك فليست الدولة والعالم الصناعي الرأسمالي والانسان أشياء مختلفة عن بعضها البعض ، لأن العالم الحديث هو التعبير عن الانسان الذي تحكمت فيه المادة فأتاحت للقوى غير الانسانية أن تخرب روحه وتتغلغل في كل جوانب حياته . لقد أصبح البرجوازي الذي يزهو بكرشه الضخم وملبسه الفخم هو السيد الآمر المسيطر . ان الحياة العملية والوجود المادي هما الشيء الوحيد الذي يعنيه ، والمنفعة هي الحقيقة الوحيدة التي لا حقيقة سواها .. لم يعد الدين والأخلاق والحضارة والفن في نظره الا واجهات خاوية يزخرف بها بناءه المادي . انه الآن عنوان الدولة المطلقة التي تجردت من كل خلق وضمير . ومن الطبيعي أن ينهار نظام الأسرة في ظل دولة كهذه ويفقد قداسته . فالأزواج والآباء والأبناء يتصارعون .. والمدارس تطفح بالنفاق والحذلقة . والكنيسة

تفسد الدين بالتزمت وتحويل رجالها الى موظفين . الانسان ضائع ولن يجد نفسه الا بعيدا عن الطبقات البرجوازية ، فى رجل الشارع الصغير أو فى الشعراء والمتشردين والصعاليك والفنانين والمشوهين وغيرهم من الخارجين على الدولة والحياة المطمئنة . بل انه لن يجدها حقا الا فى انسان يمثل التعبيريين أنفسهم . وهو الشاب المثالى الذى يبشر بالمستقبل ويدعو للخلاص وينتظر الفجر . هذا الشاب المثالى هو البطل الأول فى الدراما التعبيرية ، وهو الداعى للانسانية والمعذب فى سبيلها . انه يظهر فى صورة الشاعر فى أول مسرحية تعبيرية بحق ، وهى مسرحية « الشاعر » التى كتبها رينهارد زورجه (١٨٩٢ — ١٩١٦) فى سنة ١٩١٠ .. والبطل شاعر شاب ، يحس بالضياع فى عالم منحل منهار تسوده التجارة والمنفعة لا روح الأخوة البشرية ، وتتحكم فيه فئة من الأغنياء ليس لديهم نصيب من نبالة الأرستقراطية ، ويختفى منه ذوو الأصالة ليحل مكانهم المزيفون من الأوساط وعبيد الشهوات والنساء التافهات . وتغلق الصالونات الأدبية والفنية لتغص المقاهى بمشعوذى الأدب ودجاليه . ويروج البوهيمى بدلا من الفنان ، وتاجر التحف النشيط بدلا من محب الفن ، وثرثرة أدعياء الثقافة بدل الحوار العقلى الأصيل . والشاعر الشاب وسط هذا الحطام يلقى بتهاويمه النبيلة التى تفيض ايمانا برسالته الانسانية فى صوت يشبه صوت النبى الضائع فى الصحراء .. وهو يحاول أن يبلغهم هذه الرسالة السامية فى لوحات درامية تفيض بآلامه وأشواقه وتعبر عن الدراما الجديدة كما فهمها هذا الجيل :

« ستكون روح الفن وقلبه . من كل البلاد سيتدفق الناس جميعا — لا الصفوة القليلة وحدها — الى هذا المكان . ليلتمسوا فيه الشفاء والنجاة ! » .

وهو يحلم برؤى المستقبل المجيد لهذه البشرية الجديدة :

بحار ! بحار جديدة ! شواطىء لم تطأها قدم ! بشر ! بشر مضيئون ! حب لم يجربه انسان !

ولكنه ينفجر فى النهاية فى مونولوج يعبر عن اشمئزازه ويأسه من الجماهير ويختمه بصيحة تردد سخطه واحتجاجه على كل شىء وكل انسان : « كل شىء شرير ! » .

وهذا البطل عند كاتب مثل هانزيوست (الذى ولد سنة ١٨٩٠ وكتب مجموعة من المسرحيات التعبيرية الناجحة قبل أن يصبح داعية النازيين الأول ويسقط السقطة التى لن يغتفرها الفن ولا التاريخ !) هو الملك الشاب الذى يريد أن يحكم على أساس الانسانية المطلقة والخير المطلق فيلغى البلاط ويحكم بالعدل الخالص ويضرب المثل الذى يعتقد انه سيغير العالم .. ثم لا تلبث أحلامه أن

تتبدد ، فتعلن أمه انه مجنــون ويلقى القبض عليه · ويســتولى عليه اليأس — وكل أبطال التعبيريين الشبان يائسون أو مخفقون أو خائبو الأمل ! — فيلقى بنفسه من برج القصر فى الوقت الذى ينادى فيه الشعب باعدامه !

وهو عند نفس الكاتب هو « توماس بين » (فى المسرحية التى ظهرت سنة ١٩٢٧ واعتبرها بعض النقاد — على الرغم من تزييفها الواضح للتاريخ : أهم مسرحية سياسية فى الأدب الألمانى الحديث) و « بين » هو بطل حرب الاستقلال الأمريكية المشهور الذى يدعو للحرية ويلهم القواد العسكريين مثل واشنجطون وجرين · ولكنه يذهب الى فرنسا الثورة فتروعه مادية اليعاقبة ويعارض اعدام الملك ، ويسجن كما هو معروف بتهمة الملكية ويعود الى وطنه بعد سبعة عشر عاما فلا يعرفه أحد · ويختم حياته بالقاء نفسه فى البحر ، بعد أن تأكد من تحقيق رسالته واستقلال أمته ·

وفالتر هازنكليفر (١٨٩٠ — ١٩٤٠) (الذى كتب أشهر مسرحية معبرة عن صراع الأجيال وهى مسرحية الابن) يجعل من أنتيجونا ، فى مسرحيته التى كتبها بهذا الاسم سنة ١٩١٧ ، بطلة مثالية تندد بالحرب وتدعو الى الثورة على السلطة العسكرية التى تتمثل فى الطاغية كريون ·

وجورج كايزر (١٨١٨ — ١٩٤٥) ، وهو أنضج الكتاب التعبيريين وأخصبهم انتاجا وتقع أنجح مسرحياته وأشهرها فى مرحلة متأخرة تجاوز فيها التعبيرية ولغتها الغنائية وصرخاتها العاطفية الى البناء العقلى المحكم ·

يصور رجلا يسميه شبياتسيرر (والتسمية تدل على شخصيته فمعناها هو المتنزه ··) يعيش فى حالة استعداد دائم لدعوة عالمه غير المكترث بالانســان الى الانسانية الحقة (وذلك فى مسرحيته جحيم ، طريق ، أرض التى كتبها سنة ١٩١٩) ·

وقد تدور مسرحيات أخرى حول وجود البطل نفسه الذى تتهدده قوى معادية تريد أن تلغى كيانه وتدمر انسانيته ·· فالكاتب رينهارد جيرنج (وهو بالطبع غير مارشال الطيران النــازى المزعج !) يصــور فى مسرحيته (المعركة البحرية — ١٩١٧) مجموعة من البحارة فى احدى السفن الحربية الألمانية يجدون أنفسهم فى موقف يحتم عليهم أن يحاربوا ويموتوا كالحيوانات الذبيحة · وتبدأ المعركة ·· ويسأل أحد البحارة المتمردين ان كان لهذا الموقف الحتمى ما يبرره ، أو ان كان الانسان هنا يختلف عن الخنزير الذى ينتظر الجزار ، أو البهيم الذى ينتظر حد السكين ·

وطبيعى أن يخفق هؤلاء الأبطال المثاليون ، وطبيعى أيضا أن تسير هذه الدراما التعبيرية على منطق التراجيــديا ما بقى الهــدف الذى يســعى اليــه

البطل هدفا خياليا يلفه ضباب الأحلام · لقد كانت فكرة اليوتوبيا أو مجتمع المدينة الفاضلة الذى لا وجود له فى أى مكان (على حسب مدلول الكلمة اليونانية نفسها !) هى التى تشغل ذهن جورج كايزر عندما صور بطله الذى يحث الناس على بناء المجتمع الانسانى الحق فى مسرحيته السابقة الذكر (جحيم ، طريق ، أرض) · ولا يرجع هذا الاخفاق الى سيطرة القوى غير الانسانية التى قد تكون شيئا عارضا يمكن تغييره أو ازالته ، ولا الى عجز البطل التعبيرى الذى قد يكون أحيانا واقعى النظرة محدد الهدف ، بقدر ما يرجع الى طبيعة الانسان نفسه وطبيعة المجتمع الذى يحيا فيه ·

ان توماس بين فى مسرحية « يوست » التى أشرت اليها يأتى الى فرنسا كممثل لشعب مكافح الى شعب آخر يكافح فى سبيل حريته · ولكن ماذا يجد أمامه ؟ يجد حكومة طاغية ، وسلطة تحكم باسم الشعب وتقدم له الرؤوس بدلا من الخبز ، والدم بدلاً من النبيذ · وينتظر أن تساعده حكومة الثورة فى قضيته وقضية بلاده ، فتلقى به فى ظلام السجن ورعب انتظار المقصلة ، عقابا له على احتجاجه على اعدام الملك ·· ويعود الى وطنه منسيا لا يعرفه أحد ، فيلقى بنفسه فى الماء ···

وفى مسرحية « الانسان والجماهير » (١٩٢١) « لأرنست تولر » نرى امرأة من الطبقة الوسطى تناضل فى صفوف الشيوعيين ، معتقدة أنها بهذا تناضل فى سبيل الانسان · ولكنها سرعان ما تكتشف أن كل ما يشغل زعماء الحزب هو السيطرة على الجماهير وأن القائد الملهم كالنبى الموحى اليه ، لابد أن يصطدم يوما بالجماهير التى تسيرها الغريزة وتحكمها المادة ، ولابد أن تعجز هذه الجماهير عن الارتفاع الى برجه العالى وادراك رؤيته المجنحة ، فتنصرف عنه وتقف فى وجهه وقد تحاربه وتقضى عليه ! ان هذه المسرحية التعبيرية الخالصة (التى كتبها صاحبها عندما كان سجينا فى احدى القلاع القديمة فى بافاريا عقابا له على اشتراكه فى مظاهرات الشيوعيين سنة ١٩١٩ فى ميونيخ) تلجأ كسائر المسرحيات التعبيرية الأولى الى التجريد والشخصيات العامة التى لا تحددها الأسماء · فهناك المرأة والزوج ، والرجل المجهول ، وهم يظهرون على المسرح فى سلسلة من المشاهد الرمزية أو الواقعية ·· ان المرأة قد انضمت الى الثورة كما قلت ، وزوجها الذى يقف بعناد فى صفوف النظام القديم يحاول عبثا أن يردها الى حياتها الأولى ، والحرب لا تزال دائرة فى الجزء الأول من المسرحية · وهى شىء من صنع رأس المال وتدبيره ، كما ترى وجهة النظر الماركسية التى يعرضها المؤلف فى مشهد حلم بديع يصور السماسرة وهم يشترون سندات الحرب ويبيعونها ، فاذا بلغتهم أنباء الهزيمة رقصوا رقصة الموت !

وتهتف المرأة بالجماهير أن يضربوا عن العمل لكى تتوقف الحرب ، ولكن الرجل المجهول يحرضهم على الاشتراك فى الثورة الفعلية · فاذا عارضته المرأة اتهمها بالبرجوازية :

ما قيمة الفرد وما قيمة
شعوره ووجدانه ؟
ان الجماهير وحدها هى كل شىء !

واذا جاء القسم الثانى من المسرحية وجدنا الحرب الأهلية مشتعلة فى الشوارع بين الجيش والثوار ·· وتقف المرأة مرة أخرى فى وجه الرجل المجهول · انه يمثل الجماهير ، ولذلك فهو يأمر باستمرار النضال ، غير عابىء بالأرواح التى تزهق والأفراد الذين يموتون فى سبيل القضية · وترتاب المرأة فى الثورة التى ظنت أنها ستنقذ الانسان فاذا بها تلغى وجوده بالموت أو تطمس شخصيته فى زحام الجماهير :

ألم أصرخ للسماء بالأمس محتجة على الحرب
واليوم يحتمل اخوتى عذاب الموت ؟

وتفشل الثورة ، وتنتصر الرجعية · ويلقى القبض على المـرأة ، ويأتى زوجها لزيارتها ويعرض الحرية عليها فترفض عرضه · ويأتى الرجل المجهول لزيارتها فترفض كذلك أن تشترى حريتها لقـــاء ثمن غال هو قتل حارس السجن · ويدور بينهما حوار أخير تتكشف فيه مثاليتها التى تتعارض مع مادية الجماهير · وحين يقول لها الرجل المجهول : « ان قضيتنا تأتى أولا » ترد عليه قائلة « بل يأتى الانسان ! » وتسـاق الى الموت · ولكنها لا تموت عبثا ·· فلا تكاد الرصاصة تنطلق الى صدرها حتى نرى اثنتين من زميلاتها فى السجن — وكانتا بصدد سرقة بعض متاعها الباقى — تركعان على ركبتيها وتتمتمان : « يا أختنا ، لم نفعل هذه الأشياء ؟ » ·

ومصير هذه المرأة المثالية لا يختلف عن مصير الملك الشاب فى مسرحيـة « يوست » السابقة الذكر · فهو كذلك مثالى متحمس ، ومثاليته تؤدى به الى الاخفاق والموت · بل ان رغبته فى تحقيق الخير المطلق والانسانية الخالصة لا تجنى عليه وحده بل تجنى كذلك على غيره ·· انه يساعد فتاة ساقطة ويرفعها الى صفوف النبلاء ، فاذا به يكتشف أنها مخلوقة لا قلب لها ولا ضمير ، وأنه بفعلته هذه أهلك أميرة نبيلة كان من المفروض أن تصبح زوجته ·

كل هؤلاء الأبطال اذن مثاليون خائبون فاشلون ·· وهم لا يخيبون لأن الانسان يريد أن يصبح الها — كما نرى مثلا عند بعض أبطال شيلر وبخاصـة فالنشتين فى الثلاثية المسرحية الكبرى المعروفة بهذا الاسم — ولا يفشلون لأن

المثالى الذى يظن بنفسه العلم ولا يلبث أن يتبين جهله وحمقه ـ كما نرى فى بعض أعمال ابسن وهاوبتمان ـ بل انهم يفشلون ويخيبون لأنهم يطمحون الى المثل الأعلى ويبحثون عن الحق والعدل والانسانية المطلقة فى عالم فاسد شرير ٠ ولذلك فهم يسقطون وحول وجوههم هالة من المجد والنور ، ويسقطون سقطة البطل التراجيدى الذى تطهرت نفسه واستضاءت بصيرته (حتى ليصير المبصر حقا وهو الأعمى ٠٠ تذكر أوديب بعد أن فقأ عينيه !) ان البطل التعبيرى الذى يخفق من الخارج يبلغ قمة انتصاره الباطن ٠ انه يحتفظ فى لحظة النهاية بانسانيته ويحسن تعاطفه مع اخوته من أبناء الانسان ٠ فالمرأة الاشتراكية الأصيلة فى مسرحية تولر السابقة تندمج فى الثورة وتسجن ٠ وهى تستطيع اذا شاءت أن تنقذ نفسها بالعودة الى زوجها الرجعى أو باغتيال حارس السجن المسكين ٠ ولكنها ترفض الحرية التى تشترى بالجريمة ، وترضى بالموت الذى لا يتسبب فى موت الآخرين ، وبالسلام الأخير الذى لا يمكن أن يولد بأيادى العنف الدموية ٠٠

ولكن الطريق الى التضحية محفوف بمخاطر التجربة ، والفداء فى سبيل الثورة محتاج الى العلم والمعرفة ٠ ولذلك فان البطل التعبيرى لا يصل الى جوهره الحق حتى ينصهر فى نار الألم ، ويخوض فى مرارة الحياة ٠ ان الشاعر الشاب فى مسرحية « زورجه » يجد نفسه فى موقف يحتم عليه أن يخلص أباه المجنون وأمه المريضة بالسم ٠ والابن فى مسرحية هاز نكليفر المعروفة بهذا الاسم يثور على أبيه الطاغية المتجبر ، ويفلت من الحبس الضيق الذى وضعه فيه الى الحياة الرحبة ، حتى اذا سيق الى أبيه فى النهاية مقبوضا عليه جرت بينهما مناقشة حادة تؤدى الى وفاة الأب المصدوم قبل أن تدركه الرصاصة المنطلقة من مسدس الابن الثائر (١)

هذه التجارب المؤلمة العنيفة هى التى تساعد على انضاج البطل ٠ ولكنها تساعده كذلك على تجاوز المرحلة التعبيرية نفسها ٠ فالشاب فى احدى مسرحيات يوست يمر بمجموعة من المواقف التى تميز الدراما التعبيرية ٠ انه يعطف على حبيبة صديقه التى تنتظر ولدا ويضمها اليه ، ويبحث عن الانسانية الحقة عند احدى البغايا ثم يعلن عن وفاته ويحتفل بدفنه ٠٠ ولكنه يقفز من فوق سور المقبرة وينطلق الى الحياة الجديدة تاركا وراءه ذلك الشاب الذى كانه ، وصاحب الأرض المتعلق بالحياة وشهواتها يعانى فى مسرحية « بول الأزرق » لأرنست بارلاخ (١٨٧٠ ـ ١٩٣٨ الذى طغت شهرته كمثال على شهرته ككاتب مسرحى) تجربة روحية عميقة توقظه وتغيره من جذوره ٠ ونوح التقى الورع (فى مسرحية

---

(١) راجع ان شئت تفصيل هذا كله فى كتابى « التعبيرية فى الشعر والقصة والمسرح » الذى ظهر فى سلسلة المكتبة الثقافية ، العدد ٢٦٠ ، هيئة التأليف والنشر ، ١٩٧١

بارلاخ أيضا عن طوفان الخطيئة) يواجه نقيضه فالان الذى يتحدى السماء ويضع نفسه فى موضع الموجود المطلق ، وانسان المرآة فى ثلاثية فرانز فيرفل (١٨٩٠ – ١٩٤٥) المعروفة بهذا الاسم تصور البطل تامال الذى ينظر فى المرآة فلا يملك نفسه من الحقد والغيظ من اطلاق الرصاص عليها لتخرج من الزجاج المهشم ذاته الشريرة التى تدفعه من خطيئة الى خطيئة ، ومن ذنب الى ذنب حتى ينتهى به الأمر الى أن يشرب السم ويلغى نفسه الشريرة بنفسه . أى ينتصر على انسان المرآة ويتجاوز بذلك الانسان التعبيرى الراقد فى أعماقه ·

فى هذه الأمثلة كلها نجد الدراما التعبيرية تعود الى دراما الخلاص والنجاة المعروفة فى عصر الباروك أو بالأحرى تواصلها وتستمر فيها ·

ولذلك فليس غريبا أن نجد التعبيريين يحتفون بمسرحية ابسن الرمزية والشاعرية الشهيرة « بيرجنت » فيترجمونها ويعلقون عليها ويقدمونها بنجاح هائل على المسرح · وليس غريبا كذلك أن نراهم يتأثرون بمسرحيات سترندبرج بعد أن تجاوز المرحلة الطبيعية ، ويحتفون بوجه خاص بمسرحيته (أو بالأحرى ملحمته الصوفية) « الى دمشق » أو مسرحيته « حلم » اللتين تعبران عن بحثه المعذب عن الله وسعيه الدائب الى الحقيقة ·

والنتيجة الطبيعية لهذا كله أن تكون معظم شخصيات التعبيريين روحية ونفسية لا شخصيات واقعية من لحم ودم · بل لعلنا أن تكون مبالغين بعض الشيء فى اطلاق كلمة « الشخصيات » على هذه الكائنات التى تفتقر الى كل ما يميز الشخصية من تفرد وخصوصية (بلغت ذروتها فى مسرح شكسبير ومسرح الطبيعيين) · والواقع أن التعبيريين لم يجدوا فى هذا عيبا ولا نقصا ، بل وجدوا ان التشخص أو التفرد شيء عرضي ينبغى أن يتخلصوا منه ، وتعمدوا ابراز الجوهر والاقتصار على الجوانب الأساسية العامة ، بحيث يبقون الجذر والساق ، ويستبعدون الفروع والأغصان والأوراق · لذلك فليس عجيبا أن يسموا أغلب أبطالهم بأسماء عامة كالرجل والمرأة والابن والأب والشاعر والأم وهو وهى ·· الخ وليس هذا من الرمزية فى شيء ، بل هو نوع من الايجاز والتكثيف والتجريد الذى يسمح لهم بالتعبير عن الانسان الحق ، أى عن الكاتب أو الشاعر نفسه فى نهاية الأمر ! لذلك فان هذا التعبير يلتصق باللغة التى تنطق بها هذه النماذج العامة ، وهى لغة ينبغى أن « تعبر » عن ذواتهم المضطربة الثائرة ، وتكون مرآة لحاجتهم الملحة الى « التعبير » · ومن هنا كانت بالضرورة — وبوجه خاص فى المراحل الأولى من تطور الحركة التعبيرية ، أى قبل أن تصل عند كتابها المتأخرين الى الشكل الناضج والبناء الدقيق المحكم — لغة شاعرية مجنحة ، تميل الى النبرة الخطابية الجهيرة ، أو الى الأنغام الغنائية الموقعة · انها ليست اللغة التى تصور طبيعة الشخصية ، ولا هى اللغة التى تلتزم بقواعد يمليها الواقع أو الفن وانما هى لغة تحمل قيمتها فى نفسها ، وتحاول أن تنتقل

أشـواق أصحابها وصراخهم وغضبهم وحنينهم الى الأخـوة البشرية والمجتمع الانسانى الحق نقلا حيـا مباشرا • ولذلك نجـدها تجمع بين الشعر والنثر ، وتستخدم الديالوج والمونولوج ، وتتأرجح بين الحلم والواقع ، وتقترب فى كثير من الأحيان من شكل الأوبرا وروحهـا ، وتلجأ الى طريقة المشـاهد والمواقف واللوحات المتتابعة التى تساير التجربة ولا تلتزم ببناء الدراما التقليدى ، وتتأثر بأسلوب الفيلم السينمائى فى تركيب اللوحات أو الرجوع الى الوراء ، بل قد لا تجد مانعا من التعبير بالمشاهد الصامتة الخالية من كل شيء اللهم الا الرقص أو الايماء ، وذلك امعانا فى التركيز والتكثيف والتجريد ••

ويكفى أن ننظر فى بعض مشاهد من مسرحية « الناس » (١٩١٩) لفالتر هازنكليفر لنتأكد من هذا القول •• فالمشهد الأول من الفصل الأول يدور فى احدى المقابر •• الوقت عند غروب الشمس • يسقط أحد الصلبان ••

اسكندر : (يخرج من القبر)

القاتل : (يأتى ومعه شوال)

اسكندر : (يفزع)

القاتل : لقد قتلت ••

(يناوله الشوال)

اسكندر : (يمد يده)

القاتل : الرأس فى الشوال (يتجه للقبر وينزل فيه)

اسكندر : (يلقى التراب فوقه)

هبة ريح ، الكنيسة تتوهج بالنور •• الخ •

وهناك مشاهد أخرى فى نفس المسرحية تخلو تماما من أى كلام • أنظر مثلا الى المشهد الثانى من الفصل الخـامس وهو يدور فى مسـتشفى المجانين :

(بشر على صورة الحيوانات ، فى الوسط أحد المرضى) •

المجانين : (يزحفون على بطونهم)

المرض : (يجلس على الأرض)

صوت من الخارج : رقم ٢٠

اسكندر : (يدخل)

المرض : (يضع التاج على رأسه)

اسكندر : (يهوى على الأرض • ويزحف على أربع)

ثم أنظر الى المشهد الأخير من المسرحية الذى يدور كالمشهد الأول فى المقبرة ، وفى وقت ينتشر فيه الشفق على صفحة السماء :

اسكندر : (يأتى ومعه الشوال)

القاتل : (يخرج من القبر)

اسكندر : (نناوله الشوال)

القاتل : الشوال فارغ .

اسكندر : (يتجه للقبر وينزل فيه . تطلع الشمس)

القاتل : (ينشر ذراعيه فى الهواء) أنا أحب !

وليست هذه المسرحية بالطبع عنوانا على كل المسرحيات التعبيرية ، ولكنها تمثل طابع التجريد والتركيز الذى غلب على بعضها ، إلى جانب النبرة العاطفية والشاعرية والتدفق الخطابى والغنائى الذى غلب على بعضها الآخر .. والأمر كله يتوقف على درجة التعبير ومستواه ، فقد يكون نثرا عاديا يصل أحيانا الى حد السوقية والابتذال عندما يصور الحياة الواقعية العادية ، وقد يكون شعرا أو غناء أقرب الى ترانيم المزامير فى العهد القديم عندما يعبر عن صراخ البطل وأزماته وثوراته المتفجرة . والمهم أن التعبيريين ــ وقد جاءوا فى وقت أحس فيه الجميع بأزمة البحث عن لغة جديدة وامكانيات لغوية جديدة ــ قد نظروا الى اللغة نظرتهم الى المادة التى من حقهم أن يتصرفوا فيها كما يشاءون ، ويجعلون منها أداة للتعبير عن الروح الإنسانية التى يبشرون بها وينتظرون الخلاص على يديها ... ولذلك أصبحت هذه اللغة الجديدة من صنع الانسان نفسه ، وأصبح من واجب التعبيريين الموهوبين أن يستغلوها فى الدراما للتعبير عن حركتهم وفكرهم الجديد ، كما استغلوها من قبل فى الشعر فأتوا بكل غريب وعجيب . ولذلك أيضا لم تعد اللغة هى تلك الهدية أو النعمة التى يتلقاها الانسان من الله . ولا عادت « لغة الأم » التى تقيد الأبناء بتراثها الثقيل .

عاشت الحركة التعبيرية بحساب التاريخ ما يقرب من خمسة عشر عاما (١٩١٠ ــ ١٩٢٥) ولكنها لفظت أنفاسها بأسرع مما تسمح به قوانين الميلاد والموت ! فقد خنقتها الأزمات الروحية والمادية التى استشرت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وشلها الرعب الذى استولى على أصحابها وهم يرون سحب التعصب القومى والعنصرى تتجمع فى الأفق ، وذئاب النازية الهمجية تهدد بالزحف . وشعروا أن صرخاتهم النبيلة تختنق وسط صياح البرجوازية البليدة المتطلعة للمال والمنفعة والغزو والسيطرة ، وأن مثلهم وقيمهم التى نادوا فيها بالمجتمع الانسانى والأخوة البشرية والمحبة والحرية ونقاء الروح تموت كلها وتنهار تحت أقدام الحقد والكراهية والمادية المظلمة . وتشرد معظمهم فى البلاد أو تعذب فى

السجون أو سقط في الحرب أو مات في المعتقلات أو انتحر يأسا من الحياة . أما من بقي منهم فقد لاذ بالصمت أو اتجه الى النقد الاجتماعي الساخر أو انغمس في أدب الترفيه والتسلية أو آثر أن يعيش منسيا من القراء والنقاد وكتاب تواريخ الأدب ! ويكفي أن نتذكر أسماء رينهارد زورجه وأوجست شترام اللذين سقطا في ميدان الحرب العالمية الأولى ، ورينهارد جيرنج وأرنست تولر اللذين ماتا منتحرين ، وهازنكليفر الذى فضل الانتحار في أحد المعتقلات الفرنسية على الوقوع في أيدى النازيين الزاحفين ، وجورج تراكل ـ أعظم شعراء التعبيرية ـ الذى دفعته معارك الحرب الأولى الى حافة الجنون فمات في الغالب منتحرا بتأثير الأقراص والحبوب المنومة ، و « جو تفريد بن » الذى لزم الصمت طوال العهد الهتلرى ، وغيرهم وغيرهم ممن أحرق النازيون كتبهم في حريق برلين المشئوم !

استطاعت التعبيرية أن تكشف عن موقف الانسان الحضارى والفنى في مرحلة معينة ، ولكنها عجزت عن تقديم حل ايجابى للمشكلات التى واجهته . صحيح أن الفن لايقدم الحلول ولم يكن هذا ولن يكون من وظيفته ولا من طبيعته . ولكنه يستطيع مع ذلك أن يلقى الضوء على المشكلات أو يلفت الأنظار الى الطريق الصحيح الفعال لمواجهتها أو السيطرة عليها سواء بالفعل أو بالوعى والوجدان. وقد أخفقت التعبيرية في تحقيق هذا في المجال الاجتماعى ، وبقيت مثلها مطلقة ، وأهدافها أشبه بالأحلام ، وفكرتها عن مجتمع الاخوة البشرية أقرب الى اليوتوبيا. ولذلك فليس غريبا أن ينهار معظم أبطالها أو يقضوا على أنفسهم بالصمت أو الموت . ان الشاب يدفن نفسه بنفسه في مسرحية يوست السابقة الذكر ، والملك المتحمس في مسرحيته الأخرى يلجأ للانتحار . والشاب المثالى في مسرحية « التحول » لأرنست تولر يذوق مرارة الفشل وخيبة الأمل في الحرب التى ظن أنها ستخلص المجتمع من عفونة النظام الاجتماعى القديم . لقد أسرع بالتطوع فيها فلم يجد الا صور الموت والتشوه والخراب في كل مكان . ولذلك فهو ينتهى بأن يصبح ثائرا يدعو الجماهير الى الثورة على الحرب والسلطات التى تحرض عليها وتكسب من ورائها ، والأغنياء الذين دفنوا قلوبهم حية تحت ركام الأطماع والخزعبلات .

« اذهبوا الى الجنود وقولوا لهم أن يحولوا سيوفهم الى محاريث .. ازحفوا الآن ! ازحفوا في ضوء النهار ! » .

ولكن النهار الجديد لم يطلع ، والنظام القديم لم يشف من أمراضه بل زادت عليه العلل والأزمات ! وهذه الخيبة نفسها يعانيها الجندى العائد الى وطنه بعد الحرب في مسرحية « هينكمان » (التى كتبها تولر كذلك سنة ١٩٢٣) ، والمرأة المثالية التى تصدم آمالها في الثورة فتسلم نفسها للموت في مسرحية « الانسان والجماهير » ، والملاحون في مسرحية « المعركة البحرية » التى أشرت اليها يحاربون حربا ميئوسا منها ويموتون ميتة الخنازير المذبوحة ..

ولو صرفنا النظر عن المشكلات الاجتماعية التى ثارت عليها التعبيرية دون أن تحدد الهدف من ثورتها أو تواجهها مواجهة بناءة ، لوجدنا أن موقفها من المشـكلات الميتـافيزيقية قد ظل كذلك موقفا يحوطه الغموض والتجريد ، وأن الحلول التى قدمتها لها بعيدة مستحيلة على التحقيق · فكاتب مثل كايزر لا يكاد يقنعنا الا حين يصور الانسان فى لحظات سقوطه واخفاقه ، وعالم الأحلام الذى يلوذ به فى بعض الأحيان لا يخرج عن أن يكون مقدمة تمهد للفشل ، لأن الانسان لا يمكنه أن يواصل الحياة فى الوهم الى ما لا نهاية · لقد ظل الغرض الذى تقوم عليه مسرحيته التى سبقت الاشارة اليها وهى « جحيم ، طريق ، أرض » من أن المجتمع يمكن أن يدفع الى الحياة الانسانية الحقة فرضا خياليا صرفا ، وكذلك الهدف الذى وضعه لها لا يخلو من الاسراف فى الخيال · فهو يعتقد أن الانسان يستطيع أن يحقق الخلاص على هذه الأرض اذا عاش حياته بعمق وغاص فيها وخلق لنفسه نوعا من الفردوس الأرضى · هو هدف مسرف فى الخيال كما قلت (وان كنت لا أظن أنه مستحيل على الذين مستهم لمسة التصوف ، سواء زهدوا فى الحياة وانطووا فى قلعتهم الذاتية ليتعمقوها بالفكر والتأمل ، أو أقبلوا على نعمها ولذاتها ومحنها وآلامها ليتعمقوها بالتجربة والمعاناة ، وكلاهما فى رأيى متصوف على طريقته !) ··

هذا الاخفاق والاضطراب فى الجوانب الاجتماعية والفكرية يقابله ضعف آخر فى الجانب الفنى الخالص · فقد أسهمت التعبيرية ــ أكثر بكثير مما فعلت الرومانتيكية ــ فى العمل على تفكك الدراما · صحيح أنها نفخت فيها أنفاسها العاطفية الدافئة ، وأثرتها برؤاها وأنغامها الشاعرية ، وأحدثت فى أساليب العرض والاخراج ثورة لا تزال باقية الأثر ، وساعدت بما أدخلته على البنـاء التقليدى من تفتيت ــ تجلى فى استخدام اللوحات المتتابعة وطريقة التركيب أو المونتاج المعروفة فى الأفلام السينمائية والمزج بين الواقع والحلم والعناية بالمونولوج وتحويل الدراما الى عرض أو تمثيل ــ على خلق امكانيات كان لها صداها حتى اليوم فى تجارب المسرح الملحمى والشاعرى واللامعقول · ولكن هذا كله لا يمنع من القول بان الدراما التعبيرية الحقيقية لم تستمر طويلا ولم يكن من الممكن أن يكتب لها الاستمرار · لقد كانت ــ كالثورة التعبيرية نفسها ــ أشبه بصرخة احتجاج لم تترك وراءها أصداء باقية أو أعمالا خالدة · ومعظم الأعمال المسرحية التى صمدت حقا للزمن وضعها الكتاب التعبيريون بعد أن تجـاوزوا المرحلة التعبيرية : ويكفى أن نذكر « كارل شتيرنهيم » ومسرحياته الاجتماعية الساخرة بالبرجوازى المسكين (وأشهرها المواطن شيبيل) ــ أو جورج كايزر الذى سيطر على خشبة المسرح فترة طويلة حتى لقد عرضت له بين سنتى ١٩١٣ و ١٩٢٢ احدى وعشرين مسرحية ، ولا زالت بعض هذه المسرحيات ــ التى ألف منهـا ثلاثين فى ما لا يزيد عن اثنى عشرة سنة ! ــ تعرض حتى اليوم بنجاح ، والسر فى ذلك أنه كان قد تخطى التعبيرية ، سواء من ناحية اللغة أو الموضـوع أو

الشكل الناضج المحكم . وأما بقية التعبيريين الأول فقد تفرقت بهم السبل . اتجه « فرتز فون أنروه » و « فرانز فرفل » الى الدراما التاريخية ، واتجه هازنكليفر (الذى ألف كما قلت مسرحية الابن فى شبابه ١٩١٦ ــ وتعد من أهم المسرحيات التعبيرية وأدلها على الحركة كلها) الى التسلية والترفيه فحقق نجاحا كبيرا بملهاته الضاحكة المتشائمة « الزيجات تتم فى السماء » (١٩٢٨) وانضم « يوست » الذى كان من ألمع المواهب بين التعبيريين الى صفوف النازيين وأخذ يكتب مسرحيات سياسية وتاريخية تنضح بالتعصب والحقد العنصرى وتخلو من أية قيمة . وراح « بارلاخ » يكتب مسرحيات تعبر عن مشكلاته الذاتية وصراعه من أجل الوصول الى الطمأنينة واليقين فى مسائل الدين . ومع ذلك فقد ظلت هذه المسرحيات كلها تفيض بجراح التعبيرية وخيبة آمالها وانهيار مثلها ويأسها من تحقيق عالم أفضل .

★ ★ ★

واجه التعبيريون أزمة البرجوازية المنهارة قبل الحرب العالمية الأولى وفى أعقابها ، وفشل الثورة الاشتراكية بعد هزيمة الألمان ، وموجة الشك فى العلوم الوضعية وفى مجتمع الصناعة والتقدم المزعوم . وكان انتاجهم تعبيرا حيا ومباشرا عن هذه الأزمة . ولكنه لم يسهم مساهمة ايجابية فى ايجاد حل لها أو البحث عن مخرج منها بل ربما زادها حدة وعمقا . واشتركت الفلسفه بدورها فى التعبير عن هذه الأزمة الخانقة التى كانت قد مهدت لها طوال قرن من الزمان بابعاد الانسان عن المتعالى أو الحقيقة المتعالية (الترانسندنس) وتأكيد استحالة معرفته به (كانت) أو بخلعه نهائيا عن عرشه (نيتشه) أو التبشير بحلول عصر علمى جديد (الوضعيون والبلديون على اختلافهم) ، وتوجيه انتباهه الى الوجود المتعين المتحقق على هذه الأرض . وأسفرت الحرب عن شك هائل فى كل القيم ، وحتمت اعادة النظر فى الوجود بعامة ووجود الانسان بوجه خاص . وسادت الحيرة وبدأ الفلاسفة والناس العاديون أيضا يشعرون أنهم يتخبطون فى الظلام . ويكفى أن نذكر ما قاله الفيلسوف « فيلهلم دلتاى » عن هذه الحال فى أوائل القرن : « ان هذا العصر يقف من اللغز الأكبر عن أصل الأشياء ومن قيمة وجودنا والمعنى الأخير لأعمالنا وسلوكنا موقفا ليس بأذكى من موقف الاغريقى القديم الذى عاش فى المستعمرات الايونية أو الايطالية ، أو العربى الذى عاش على أيام ابن رشد . وفى الوقت الذى نشاهد فيه التطور السريع للعلوم تجد أنفسنا نواجه هذه المسائل ونحن أشد حيرة مما كنا فى أى عصر مضى » ويزيد الفيلسوف الأخلاقى « ماكس شيلر » هذا الكلام وضوحا حين يقول « ان الانسان لأول مرة فى تاريخه لم يعد يعرف نفسه فحسب ، بل انه يعرف هذا بوضوح » ألقى الانسان اذن على نفسه كما يلقى على حجر . بدت أوهام الانسان المتأله أو الانسان الأعلى نوعا من التهور أو السخف الذى يشبه أحلام الأطفال .

واتسعت هاوية العدم أو الجحيم فى نفس الانسان ، وساعد «فرويد» والوجوديون على حفرها وتعميقها وصبغ جدرانها بالتشاؤم والسواد . ووضع « هيدجر » الانسان أمام العدم وجها لوجه ، وجعله يعيش فى القلق والهم ، وعرفه بأنه موجود للموت .. واكتشف سارتر أن مجتمع البشر جحيم ، وكل واحد منهم يحمل جحيمه فى ذاته أو يمثل الجحيم لغيره . وبحث البعض عن أمل أو عزاء فوجدوه في العودة الى الحقيقة المتعالية والوجود المتعالى (ياسبرز) ولكن هذا الوجود المتعالى ظل شيئا خفيا أو متخفيا يعجز الانسان ويرده دائما الى الخيبة والفشل ، مهما حاول أن يلمسه بالفكر أو الرؤية أو التجربة الدينية أو المعاناة الفنية . وظلت هوة العدم تفتح فاها للانسان ، وظل الانسان يتألم أو يرقص على حافتها ... وانعكست التجربة نفسها على الأدب والفن واتضحت فى ظواهر الشذوذ والنشاز والاغراب فى الأسلوب والشكل والاهتمام بمظاهر القبح والفساد والتشوه ، بدءا من بودلير ورامبو ومالارميه الى الشعر الحديث والمعاصر، والموسيقى والرسم والتصوير والمعمار . وبدت المدينة الكبيرة والمدنية الحديثة التى احتفل بها الطبيعيون والواقعيون جحيما من الضياع والوحشة والزحام والجنون . وأحس الفنان انه ضائع فيها ضياع هاملت الوحيد اليتيم .. وظلت تجربة التعبيريين ماثلة وراء هذه التجارب المتأزمة كلها . وازداد الشعور بأن العالم قد انحرف عن محوره ، وأن الفنان ــ مثل هاملت المسكين أيضا ــ أعجز من أن يرده الى طبيعته . وغلب الاحساس بالوحشة والفراغ والألم واليأس والانكسار ، وظهر أوضح ما يكون فى الشعر ، كما ظهر فى أبطال الدراما وعجزهم واخفاقهم فى الوصول الى الخلاص لأنفسهم أو مجتمعهم أو عالمهم . وتعددت صـور التمزق والتحلل والفساد والقبح والانهيار ، وأصبح على الفنان الذى خرج من أحضان التعبيرية أو تأثر بها أو حاول أن يقاومها أن يخلص نفسه من كل الأوهام ، أى أن ييأس من كل أمل فى الانسان ، ويصوره تصويرا موضوعيا خالصا ــ بعيدا بالطبع عن موضـوعية الطبيعيين ونزعتهم العلمية ــ على هيئة حيوان خاضع لغرائزه ، أو أداة يلهو بها أصحاب السلطة من الساسة وتجار الحروب ورجال الأعمـال . وتخلى التعبيرى الجديد ــ مثل برخت فى أعمـاله المبكرة « بعل » و « طبول فى الليل » و « فى أحراش المدن » و (ماهاجونى) و « أوبرا القروش الثلاثة » ــ تخلى عن آمال زميله القديم فى اصلاح الانسان أو تحقيق المجتمع البشرى الذى ينعم بالأخوة والمحبة والسعادة . وصدق على هؤلاء التعبيريين الجدد الذين راحوا يحاربون التعبيرية فى أنفسهم أو فنهم هذا البيت الذى قاله الشاعر « جوتفريد بن » الذى كان تعبيريا مثلهم قبل أن يبدد الوهم ويؤمن بالموضوعية القاسية :

تاج الخلق ، الخنزير الانسـان

انصرفوا بالله الى حيوانات أخرى

ولست فى هذا كله أدين التعبيرين أو أقلل من شأنهم ، وانما أحاول أن أضعهم فى سياق التطور الطويل الذى ساهموا فى صنعه أو تركوا عليه آثار جراحهم وعذابهم • ولابد لانصافهم أن يقال انهم كانوا أحد مظاهر الأزمة التى أثرت على الروح الأوروبية ولا تزال تؤثر عليها منذ أكثر من قرن من الزمان • ولابد أن يقال أيضا انهم عبروا عن هذه الأزمة بأفضل وأنبل ما يكون التعبير • صحيح أنهم لم يتركوا أعمالا خالدة فى الفن • ولكن أليس شرف التعبير نفسه جديرا بالخلود ؟ لقد كانت التعبيرية فى نشأتها ثورة حقيقية • وكانت ككل الثورات على وعى تام بالقوى المعادية التى تواجهها — أى تواجه الانسان الذى تمثله — أكثر من وعيها بالأهداف المحددة التى تريد بلوغها • واذا كانت قد أخفقت فى تحقيق هذه الأهداف البعيدة فلا شك أنها قد نجحت فى تأكيد هذه الغاية العظيمة بل الوحيدة لكل نشاط فنى أو انسانى خلاق : ألا وهى كرامة الانسان •• الانسان المطلق العارى ، بعيدا عن كل الحدود والقيود التاريخية والاجتماعية والقومية والشخصية •

واذا كانت قد تحطمت وانهارت وهى تخطو خطواتها الأولى فان هذا يدين أعداءها ولا يدينها • وهو كذلك يؤكد أن الأزمة الأوروبية بل الأزمة الحضارية الحديثة كانت ولا تزال أعمق وأعقد من أن يحلها شعر الشعراء أو نثر الكتاب ، وان البرجوازى البليد العنيد الذى ينعس ويتمطى فى كل منا لا يزال يدافع بشراسة وضراوة عن آخر قلاعه وحصونه !

★ ★ ★

صرخت التعبيرية وهتفت من أجل أن يولد الانسان •• لكن الانسان •• الانسان عبر ولم يولد بعد • فلنحاول نحن — كل بجهده — أن يولد فى أنفسنا أو فى العالم • ولنذكر بالشكر والعرفان تضحية أولئك المثاليين المساكين • وكل المثاليين على هذه الأرض البائسة السوداء مساكين ••

القاهرة — عبد الغفار مكاوى

راينهارد جيرنج

المنقذون

«لعبة تراجيدية»

ولد رينهارد جيرنج فى قلعة « بيبر شتين » بالقرب من مدينة « فولدا » فى شهر يونية سنة ١٨٨٧ ٠ وعثر على جثته بعد موته منتحرا فى شهر نوفمبر سـنة ١٩٣٦ فى « بوخا » بالقرب من مدينـة « يينا » ٠ درس الطب من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩١٤ في يينا وميونخ وبرلين وبون ، وسافر فى رحلات عديدة الى انجلترا وفرنسا وسويسرا ، واشترك فى الحرب العالمية الأولى طبيبا في الميدان لمدة شهر واحد ، اذ أصيب بالسل وقضى أربع سنوات للاستشفاء في منطقة « دافوس » بسويسرا ، ثم حاول بعد ذلك أن يفتح عيادة طبية في برلين وفرايبورج فلم يوفق ولم يتح له الاستقرار فى سنوات عمره الأخيرة ٠

كتب « جيرنج » المسرحية والرواية والقصيدة والأمثال أو الحكم القصيرة ، ولكنه اشتهر بتمثيلياته التى عبر فيها عن مأساة الحرب التى زلزلت نفسه ، وصور على لسان شخصياتها الرمزية صراع البطولة والأبطال للفكاك من قدرها « غير المحتوم » ٠وقد ارتبط اسمه بمسرحية « المعركة البحرية » التى لقيت نجاحا هائلا عندما عرضت لأول مرة على مسرح برلين فى سـنة ١٩١٨ وقام باخراجها المخرج الشهير ماكس رينهارت ٠ والمعركة البحرية تصـور صراع سبعة من البحارة فى برج احـدى البوارج البحرية قبـل بدء المعركة وفى أثنائها ٠ لم يحدد جيرنج شخصيات هؤلاء البحـارة ، بل جعلهم أنماطا عامة يتحدثون معا ويتناقشون وينامون ويحاربون ويموتون فى جو شبيه بجـو المأساة الاغريقية القديمة ، فيه جلالها وعظمة حوارها ودقة لغتهـا ، وصراع أبطالها مع قدر فظيع يسقطون ضـحاياه ٠ والقدر هنـا هو المعركة التى ينتظرونها وليس أمام هؤلاء البحارة الذين تتردد أصواتهم كأصوات الجوقة اليونانية القديمة الا الموت المحتوم ٠ فسواء أطاعوا الواجب أم عصـوه فهم مقتولون فى الحالين ٠ وهم منذ البداية يتناقشون ويصارعون قدرا لا مفر منه ، ويموتون ميتة يائسة تعبر عن عبث الحرب وقسوتها ، وتذكرنا بكثير من أعمال المسرح الوجودى والطليعي وقضاياه ٠

كتب جيرنج تمثيليات أخرى يغلب عليهـا هذا الجو المأساوى المجرد ، وتشيع فيهـا اللغة الدقيقـة المركزة التى تذكرنا بحـوار سقراط مع تلاميذه

وأصحابه • وقد اخترت لك تمثيلية « المنقذون » أو بالأحرى « المنقذان » التى تقوم على مفارقة مبكية ومضحكة معا ، مفارقة عجوزين يحتضران على فراش الموت ، وتزعج طلقات الرصاص الآتية من الشـــارع لحظاتهما الأخيرة فيهبان لانقاذ البشرية ! والمؤلف يسمى مسرحيته « لعبة تراجيـــدية » • والحق أنها لعبة جادة وقاتمة الى أبعد حد • فأبطالها يحاولون انقاذ عالم لم يعد من الممكن انقاذه ، عالم أشبه بقلعة محاصرة انتشر فيها وباء القتل وقانون الدم ، وصار سكانها لا يعرفون القاتل من المقتول ولا الصديق من العدو ! ومن السخرية المضحكة أو المبكية أن يحاول المنقذون انقاذ البشرية ، مع أنهم لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم ! ان الجميع هنا محكوم عليهم بالاعدام ، وكل شيء يتم بعد فوات اللحظة الأخيرة ، أى بعد أن يتوقف الزمن وتفتح الأبدية أبوابها للضحايا والجلادين على السواء • ان الموت هو البطل الوحيد الذى يمثل دوره على المسرح • والجميع يمتثلون لأوامر هذا السيد الجبار ، وخادمه الجديد المطيع ، وهو الرعب والارهاب • وتتوالى المناظر على خشبة المسرح ، وتتتابع مشاهد القتل والضرب والتعذيب والاضطهاد ، وتتحول التمثيلية الى نبوءة معتمة بعصر الحروب والأهوال والخوف والقلق الذى يعيش العالم فيه منذ الحرب العالمية الأولى الى اليوم • واذا تنفسنا قليلا عند نهاية المسرحية وتوقعنا شـيئا من الراحة على يد العاشـقين الشابين فلا يلبث أن يخيب أملنا اليتيم عندما نتبين أن الموت لم يرحم هذين العاشقين ، بل لعل موتهما الجميل أن يزيد من احساســنا بظلمه وقسـوته وضربته المحتومة التى تصيب الشيوخ فى ساعة الوداع كما تترصد للشباب فى لحظة العناق •

فرضت المسرحية نفسها على كما فرضت الشـكل الذى ترجمتها به • فقد وجدتنى أكتب ترجمتها الشعرية عند قراءتها لأول مرة •• ولما انتهيت من قراءتها اكتشفت أننى انتهيت كذلك أو أوشكت على الانتهاء من ترجمتها ! وقد أدهشنى هذا وجعلنى أتحسر على شاعرية فقدتها منذ عشر سنوات طويلة ! ومع ذلك فلم تدم حسرتى طويلا ، اذ أن الشعر الحقيقى كامن فى الأصل ، ولم يزد دورى على أن نسجت غلالة شاحبة ألقيتها عليه • ولا أدرى هل أحسنت أم أسأت بهذه الترجمة ، وكل ما أستطيع قوله هو أنها فرضت نفســها على • وأحب أن أعترف بأننى اكتشفت فيهـــا آثار قراءتى الطويلة فى شـعر أخى وصديق عمرى صلاح عبد الصبور • ولكنى أسارع أيضـــا الى الاعتراف بأن الشعر الذى ستقرأه هنا ليس الا شعرا على سبيل المجاز ، وظلا شاحبا فقيرا يفتقد عطر أنفاس الصديق العزيز وعمقه وصدقه ••

وقد عرضت المسرحية على صديقى الشـاعر عبد القادر حميـدة فتفضل بقراءتها وتصحيح عدد من أبياتها •• واننى لأرجو أن يقبل شكرى القلبى على معروفه الجميل •

والیك أخيرا هذه التجربة لتحكم لها أو عليها ••••

● المنقذون *

حجرة بسريرين يرقد عليهما رجلان عجوزان فى حالة احتضار .. تمر فترة سكون تام ..

العجوز الأول : أخي ، أسمعت ؟

العجوز الثاني : الموت .

العجوز الأول : لا شيء سواه ؟

العجوز الثاني : لا شيء .

العجوز الأول : ضوضاء ؟

(لا يسمع المتفرجون فى هذه الأثناء شيئا)

العجوز الأول : برد وظلام ــ

العجوز الثاني : لا أخشى شيئا .

العجوز الأول : مرحى بالموت .

العجوز الثاني : وأنا أيضا

(فترة صمت)

العجوز الأول : قد تم الأمر .

العجوز الثاني : وعلى خير .

(*) يضع المؤلف عنوانا فرعيا لعله يدل دلالة بالغة على غرضه فهو يسمى مسرحيته « لعبة تراجيديه » أى أنه لا يقصد أن تكون مسرحية ولا تمثيلية بالمعنى الحديث المعروف اليوم .

العجوز الأول : كان حقا وصوابا ما اعتقدناه كذلك ٠

العجوز الثانى : لم يكد يخفى علينا أى شىء ٠

العجوز الأول : كل شىء كان معروفا لنا ٠

العجوز الثانى : لم عدنا للكلام ؟

(فترة صمت طويلة)

العجوز الأول : أسمعت ؟

العجوز الثانى : أحسبه صوت غناء ٠

العجوز الأول : وكأن خطى تقترب ٠

(العجوز الثانى لا يجيب)

العجوز الأول : أبدأت الرحلة ؟

(العجوز الثانى لا يجيب)

العجوز الأول : أذنى لا تخدعنى

انى أسمع بوضوح ٠

(الشاهدون لا يسمعون شيئا حتى الآن ٠ العجوز الثانى لا يزال صامتا)

العجوز الأول : أخى !!

العجوز الثانى : ناديت ؟

العجوز الأول : ألم تسمع ؟ ضوضاء ،

صــراخ ،

يقتربون ٠

العجوز الثانى : الموت بطىء وممل ٠

(فجأة يسمع دوى عال ويشاهد من النــافذة وهج ساطع يضىء الغرفة ٠ العجوزان يعتدلان فى فراشهما) ٠

العجوز الثانى : ملعونون !

العجوز الأول : ما هــــذا ؟

العجوز الثانى : لا أحد سواهم !

العجوز الأول : دبت فينا الروح ٠

العجوز الثانى : الشعلة تدفىء ٠

(صمت)

العجوز الأول : الويل ، الويل !
العجوز الثاني : من كان يصدق أن الميت يجلس يوما في فرشه ؟
العجوز الأول : أو أنا نرجع شبانا ؟
العجوز الثاني : الويل ، الويل !

(الحق ان الحياة الجديدة قد دبت
في الشيخين .. صمت)

العجوز الثاني : تمنحنا القوة .
العجوز الأول : الشعلة تدفيء .
العجوز الثاني : والذنب .
العجوز الأول : شرهم هذا وأذاهم
يجعلنا نبعث كالموتى .
العجوز الثاني : أو تذكر ؟
العجوز الأول : مـاذا ؟
العجوز الثاني : منذ قريب .
العجوز الأول : مـاذا ؟
العجوز الثاني : حين رأينا الحادث .
العجوز الأول : ذكرني .
العجوز الثاني : أحدهم رفع يديه
العجوز الأول : كما ترفعها ؟
العجوز الثاني : لا .. في هذا الوضع (يشير بيده)
العجوز الأول : وبعـــد ؟
العجوز الثاني : والثاني أنت رأيته ، سقط ضحية .
العجوز الأول : لـم هـذا ؟
لـم تستحضر هذه الصور المفزعة المرة ؟
العجوز الثاني : حـين هوى ....
العجوز الأول : أحمر كالمصبوغ بشمع .
العجوز الثاني : أصمته الضربة .
العجوز الأول : وانقض عليه .
العجوز الثاني : لم يمنعه شيء .
العجوز الأول : وكلا الرجلين بشر وانسان !
العجوز الثاني : حي ، وطري ، من لحم ، شرير !
وكلا الرجلين يعرف ماذا يفعل ، كيف يصيب .

العجوز الأول : كم أسعدني أن أتصور
أنا نخرج من هذا العالم
والى الأبد ،
أن نحتضر الآن وننطفيء
كما ينطفيء النوز ·

(فترة سكون)

العجوز الثاني : حين رأينا هذا ،
العجوز الأول : الدفء ، هل تشعر به ؟
العجوز الثاني : أبناء العار · الدفء ؟
العجوز الأول : كم يحيى
ويرد الروح ·
العجوز الثاني : قلبى يخفق ·
العجوز الأول : قلبك يخفق ؟
العجوز الثاني : غضبا ·
العجوز الأول : اسمع ! اسمع !

(يسمع الآن لأول مرة صوت ضوضاء
بعيدة)

العجوز الثاني : القتلة !
انهض انهض !
العجوز الأول : ماذا تفعل ؟
العجوز الثاني : ننهض ونعود ···
العجوز الأول : هـل تسمع ؟
العجوز الثاني : ونريهم ·

(فترة صمت)

العجوز الأول : الويل ، الويل ، الويل !
العجوز الثاني : هذى الصرخة فجأة ؟
العجوز الأول : ماذا تبغى أن تفعل ؟
ماذا تبغى ؟
العجوز الثاني : ماذا قلت ؟
العجوز الأول : ننهض ؟
العجوز الثاني : يحملنى أن أفعل هذا
عصبة أشرار فى الخارج

العجوز الأول : كم نشهدهم ؟

العجوز الثاني : ما شاهدنا وعرفنا
طول العمر ·

العجوز الأول : الآن ؟

العجوز الثاني : أجـل ·

العجوز الأول : دعنى أتفكر ·

(فترة صمت)

العجوز الثاني : انهض ، انهض
يعلو الحق على يدنا
ينتصر الخير ·

(يعتدل في فراشه)

العجوز الثاني : انا نعلم !

(فترة صمت)

العجوز الثاني : هيا ، ان الخير
لابد وأن يتحقق !

(ينزل رجليه من على السرير الذى كان يرقد عليه ـ كزميله ـ مرتديا ثيابه كاملة)

العجوز الثاني : هيا ، هيا
أو لا تفهم معنى هذا ؟

(فترة سكون)

العجوز الأول : النسمة تنعش

العجوز الثاني : والبيت مريح ·

العجوز الأول : ويل الأشرار ، ويل ، ويل !

العجوز الثاني : هيا ! هيا !

(ينهضـان من الفراش ويقفان لحظة حائرين)

العجوز الأول : نموت هناك ·

العجوز الثاني : ماذا تعنى ؟

العجوز الأول : لا أعنى شيئا

العجوز الثاني : أتمنى أن أقفز قفزة !

العجوز الأول : وأنا أيضا ···

العجوز الثاني : لا ·· ليس الآن !
العجوز الأول : من أيام شبابى ···
العجوز الثاني : لا ··· لا ···
لا تذكرها اللحظة !
العجوز الأول : حين ذهبت اليها ·· أحمل باقة زهر ··
العجوز الثاني : ما زالت تحرقنى الذكرى !
العجوز الأول : وأرى نفسى فجآة
أتحول زهرة ···
آه من تلك النار !
العجوز الثاني : آه ! آه !
العجوز الأول : وأود لو أنى أقفز للأنجم ···
العجوز الثاني : يكفى ! يكفى !
العجوز الأول : من أجل المرأة !
العجوز الثاني : آه ! آه !
العجوز الأول : وتروح السكرة
وتجيء الفكرة !
العجوز الثاني : من أجل الفقراء هناك ،
تعال ! تعال !
العجوز الثاني : أسمع وقع خطى !
(يظهر رجل مبتور الذراعين)
الرجل المبتور الذراعين : أنتم أحياء ؟!
العجوز الأول : أترى ؟
العجوز الثاني : دبت فينا الروح !
العجوز الأول : عدنا أحياء !
الرجل المبتور الذراعين : مبلغ علمى أنكما
من يومين
تحتضران .
العجوز الأول : وبعثنا الآن !
الرجل المبتور الذراعين : ما دامت عندكما القدرة
هيا لوذا بالهرب !

(العجوزان لا يتكلمان)
(هيا ! هيا !
قبل فوات الوقت ·
(العجوزان صامتان)
ما معنى هذه الوقفة ؟
انكما تريان وتستمعان
وفى امكانكما الهرب !
(العجوزان لا يتحركان)
أتظنـــان
بهم الرحمة ؟
أو أنهم يبقون على انسان ؟
أتريدان
أن يصلا بكما
بالاذلال وبالطغيان
فتصيرا مثلهم قتلة ؟!
الرجل المبتور الذراعين : صناع الموت
فى الشارع أو فى البيت
فى كل مكان ، كل مكان ؟
أو لا تدرون
ماذا يجرى فى هذا الحى ؟
هيا ! هيا !
قبل ضياع الوقت !
(فترة صمت)
طالت هذى الوقفة ·
تمتنعان ؟
سيكون الحرق جزاءكما
أحياء ان لم تشتركا
فى سفك الدم ·
هو حقد ،
غضب ،
يأس ·
ويكاد المرء يظن
أن الشر قديم قدم الدهر ·

تمتنعان ؟
عبثا أتكلم وأحذر
فلأمض لحالى ... ووداعا !
انى صاحب عاهة
شلتنى هدت أيامى
ملأتها سخطا ومرارة
لكن ما أعجب ما نلقى
ها هى ذى ترفع أعلامى
تنقذنى تبقينى حيا
تنجينى من أيدى القتلة !
(ينصرف الرجل المبتور الذراعين)

العجوز الأول : أفهمت
العجوز الثانى : أظن .
العجوز الأول : مـاذا ؟
العجوز الثانى : الآن علينا أن نعمل .
العجوز الأول : ملعونون !
العجوز الثانى : ان كان صحيحا ما قاله .
العجوز الأول : ولماذا يكذب ؟
العجوز الثانى : كم أتمنى
لو كانت لهم كلهم
رقبـة ،
كل القتلة ،
الجلادون السفاحون الفجرة ،
رقبـة ،
واحدة لا غير
حتى أخنقهم
بجماع يدى
وأخلص منهم هذا العالم .
العجوز الأول : فلنتوسل بالرفق .
العجوز الثانى : الرفق ؟ ما جدوى هذا ؟
العجوز الأول : ألا نسأل عن جدواه .
العجوز الثانى : ان المسألة هى الخير .

(يبتعد العجوز الأول ناحيــة الجدار
وهناك يعقد يديه يائسا)

العجوز الأول : أعلينا أن نفعل هذا ؟

العجوز الثاني : من يفعله ؟
ان لم نفعله نحن ؟

العجوز الأول : جهال نحن ولا ندرى ٠

العجوز الثاني : لا ندرى ؟

العجوز الأول : لاشيء أكيد ٠

العجوز الثاني : لاشيء ؟
حقا لاشيء

العجوز الأول : قد نضطر ٠٠٠

العجوز الثاني : أن ننقذ أنفسنا ؟

العجوز الأول : لا أقصد هذا ٠

العجوز الثاني : ما تقصد ؟

العجوز الأول : فى أيام شبابى
كم جاهدت وثرت
كيف أفتح عينى
فرأيت
أنى أعمى كنت
كل العمر ٠

العجوز الثاني : أهذا شيء
تذكره فى هذه اللحظة ؟

العجوز الأول : بل هذا شيء أدركته
طول حياتى
طول حياتى
ولقد قلته
لكن عن غير طريق الكلمات

العجوز الثاني : أتظن الآن
أنك تملك أن تختار ،
لا تعجل ، سوف ترى
أنك لا تملك شيئا ٠
اسمع ، اسمع ،

ها هم يأتون ٠
(فترة سكون)

العجوز الثاني : حسن ٠٠ هذا خير ٠
(فترة سكون)

العجوز الأول : أخي !

العجوز الثاني : أسرع ، ماذا تبغي ؟

العجوز الأول : فليرقد كل منا
فوق سريره
وليتعجل موته
ويساعد نفسه
ان لم يسعفه الموت ٠

العجوز الثاني : بل نبذل ما في طاقتنا
لنساعد من يأتي الآن ٠

(يدخل رجلان مسلحان ، لا تظهر عليهما اية علامة اخرى من علامات الحرب)

العجوز الثاني : ماذا أقدر أن أفعل ٠٠ ؟

الرجل الأول : هيا ٠٠

العجوز الثاني : فورا ٠٠٠٠

الرجل الأول : لم لا تتبع يا شيخ ؟

العجوز الأول : والى أين ؟

الرجل الثاني : هل يسكن أحد غيركما في هذا البيت ؟

العجوز الأول : لا ٠٠ نحن الاثنان فقط ٠

الرجل الأول : هذا البيت
معزول وحده
عن كل بيوت الحي ٠

العجوز الثاني : هذا حق ٠

الرجل الأول : اذن فتعالا ٠٠٠

العجوز الأول : ما تصنع ؟

الرجل الأول : سوف ترى ٠٠٠٠

العجوز الثاني : أخى
تعال معى
ولا تجزع ...

(ينصرفون جميعا . بعد قليل يرجع
العجوز الأول مع الرجلين .)

العجوز الأول : العسف ! العسف !
الرجل الأول : اهدأ يا شيخ !
الرجل الثاني : لن يسرق أحد شيئا منك .
العجوز الأول : العنف ! العنف !
الرجل الأول : من ذا يتكلم عنه ؟
العجوز الأول : لا لن أدخل بالاكراه أو القهر !
الرجل الأول : أنت سمعت بأذنيك .
العجوز الأول : أبدا ! أبدا !
ليس هنا فى هذا البيت !
الرجل الأول : سمعت بنفسك
أن لابد !
(سـكون)
العجوز الأول صارخا : ماذا يحدث لصديقى ؟
الرجل الأول : اسمع .
العجوز الأول : ماذا ؟
الرجل الأول : أنت .
العجوز الأول : شيء مفزع . ها ! ها ! ها !
الرجل الأول : كذا تنق الضفدعة
الرجل الثاني : ويشهق السمك
حين يمس اليابسة
العجوز الأول : أجـل .
الرجل الثاني : وتنعق البومة .
العجوز الأول : حقـا .
الرجل الثاني : وتنقر الغربان عينيها
الرجل الأول : حقا .. حقا
العجوز الأول : أما أنتم ...
يا أبناء البشر ...

الرجل الثاني : نعرف هذا .
الرجل الأول : من أيام طفولتنا .
الرجل الثاني : لكن لا نشق أو نزفر ..
الرجل الأول : بل يشغلنا شيء واحد
أن تنتزع القلب
من بين الأعظم واللحم .
الرجل الثاني : من أيام طفولتنا ..
العجوز الأول : وأنا ...
ماذا تبغون ؟
الرجل الأول : سمعت بنفسك .
العجوز الأول : أقتل غدرا ..
هل أقتل ؟
الرجل الأول : أية بلجيكى
يدخل هذا البيت .
الرجل الثاني : مطرود يبحث عن مأوى
يحميه ،
مجروح يلتمس دواء
يشفيه ، يبتهل اليكم
أن تخفوه .
العجوز الأول : شيء مفزع
الرجل الثاني : لن يتغير .
العجوز الأول : بشع ومروع ،
لكمو أنتم
لكمو أنتم أنفسكم .
الرجل الأول : هذا ما فعلوه بنا
واليـــوم
جاء الدور علينا
لنرد الدين .
الرجل الأول : يا شيخ
انا نقتص من القتلة .
هل تسمعنى ؟
ان لم تفعل .

العجوز الأول : قاتل !

الرجل الأول : اهدأ ! اهدأ !

العجوز الأول : قاتل !

الرجل الأول : قلت اهدأ ! اهدأ !

الرجل الثاني : ان لم تفعل ..

الرجل الأول : وتركت البيت .
ان خفت ،
جبنت .
أفهمت ؟

الرجل الثاني : ها هو ذا
يصبح أبكم وأصم !

الرجل الأول : ان لم تفعلها .
أسمعت ؟

الرجل الثاني : ما رأيك فى وقفته تلك ؟

الرجل الأول : قد عرف الآن
ما هو مطلوب منه ...
لا عذر لديه .

الرجل الثاني : تعساء !
تعساء !

الرجل الأول : هل أنت مصر ؟
(العجوز الأول يطرق برأسه موافقا)

الرجل الأول : يمكننا الآن
أن نقضى بالحكم عليك
بالاعـــــدام
(العجوز يطرق براسه موافقا)

الرجل الثاني : تعال ، تعال
هيا ! لا تتأخر !
هو يدرى
ماذا يجب عليه .

(ينصرف الرجلان . العجوز الأول
واقف في مكانه ، وبينما يتكلم ترتفع
قامته شيئا فشيئا حتى تصل الى علو
شاهق)

العجوز الأول : ليتكمو تدرون !
ليتكمو تدرون !
رباه !
سامحهم
ساعدهم
لا تتركهم
لا يدرى أحد منهم
ماذا يفعل

(يرجع الرجل الثانى)

الرجل الثاني : يا شيخ !
أنا لا أقصد الا الخير
نحن كذلك
تفعل ما لا نرضى عنه .

العجوز الأول : قتلة !

(الرجل الثانى يهز كتفيه وينصرف . تسمع ضجة)
لو بات العالم فى أيديكم
لو لم تمتد يد أخرى
تمسك بالمجداف

(يلتقط انفاسه لحظة ثم يستطرد)
ما أبشع هذا ،
ما أبشع !
بالتهديد وبالقوة
بالطغيان وبالشدة
تنتظرون
أن تبقوا ، أن تنتصروا
أن يزدهر الخلق .
لكن أية خلق ؟
أية خلق ؟

(سكون)

أخى !
أين تراك الآن ؟
ماذا يجرى لك ؟
لم لم تصمد وتقاوم ؟
ماذا فعلوا بك ؟
لم تتغير فجأة ؟
هل غلب اليأس عليك ؟
هل غلب اليأس ؟

(تسمع الضوضاء مرة أخرى)

اسمع ! اسمع !

(فترة سكون)

حتى هذا
جربته
فى أيام صباى
مرة ؟ لا بل ألف :
أن لا شىء يعين
الا الموت ·
يا موت
لم لم تدركنى قبل اليوم ؟

(فى هذه اللحظة يظهر العجوز الثانى بالباب ، بعد أن تغير واصـــبح أشبه بالشبح منه بالانسان ·)

العجوز الثانى : الغوث ! الغوث !

العجوز الأول : أخى !

(العجوز الثانى يشير الى فراشه)

العجوز الثانى : هناك ! هناك !

العجوز الأول : حاذر !
لا تدخل هذا البيت !
لا تدخل !

العجوز الأول : بل هو غرضى
لا أتحول عنه !

العجوز الأول : اللعنة ترزح فوق البيت .
فوق بيوت الحى !
العجوز الثاني : دعنى أرقد
فوق فراش الموت !
العجوز الأول : في هذا البيت
يتهددك الويل .
ما بالك ..
ما هذا الوجه ؟
وماذا غير منك ؟
العجوز الثاني : لا تقرب منى !
العجوز الأول : ان أصررت على هذا
متنا شركاء فى الذنب !
العجوز الثاني : أغرب عنى !
أذهب عند الحائط .
العجوز الأول : ما هذه السحنة ؟
العجوز الثاني : قلت أذهب
أو لم تسمعنى ؟
(العجوز الأول يصدع للأمر)
العجوز الثاني : ابق مكانك ! لا تدن !
(يرقد العجوز الثاني على سريره ويظل ينظر امامه بعينين مفتوحتين دون ان يتكلم)
العجوز الأول : أفلا تتكلم ؟!
((العجوز الثاني لا يتحرك)
العجوز الأول : هل تنوى حقا أن تبقى ؟
(لا يتحرك)
العجوز الأول : هل تعرف حقا ما يجرى في هذا البيت ؟
(لا يتحرك)
العجوز الأول : لا تنوى أن تفتح فاك ،
أبدا ، أبدا ؟
(لا يتحرك)
العجوز الأول : أتظل تحدق فى صمت ؟
(لا يتحرك)

العجوز الأول : ماذا قد طرأ عليك ؟
قل لى ، ماذا تم ؟
لا زلت أراهم
حين التفوا حولك ،
ونظرت اليهم
وسكت ،
ثم مضيت ٠
أين ذهبتم ؟
ماذا فعلوا بك ؟
أخى ! لنغادر هذا البيت ٠
تعال معى
ولنرحل عنه ٠
لا تتحرك ؟
انى لا أقدر وحدى
أن أفعل هذا ٠
يا أخلص أحباب القلب !
تعال معى ٠
(فترة صمت)
العجوز الأول : كنت أظن
أنى أعرف
والآن أسائل نفسى
هل أخطأ ظنى ؟
من ذا دبر هذا ،
من مسئول عنه
أمس وقبل الأمس ؟
هل تخطىء عينى ؟
أبسمت ؟
انى أتمنى أن أعطى
لا أبخل عنك ،
أتمنى أن أجد الموت ،
أتمنى ،
أن أفعل ما ترضى عنه
كى تخرج كلمة
من شفتيك ٠

(العجوز الثانى لا يتحرك)

أخى !
مالك لا تحنو
لا ترحم ؟
أنا لا أفهم ·
أأصابك منهم
ما أخشى
ولذلك تأبى أن تتكلم ؟

(يسمع فى هذه اللحظة صوت انسان قريب من الباب)

الصوت : النجدة ! النجدة !

العجوز الأول : صوت يهتف ·

الصوت : الغوث ! الغوث !

العجوز الأول : أنا آت
فاهدأ وتريث !

(ينصرف العجوز الأول ويرجع بعد قليل وهو يسند رجلا مجروحا جرحا بالغا)

الرجل : ربى ! ربى !

العجوز الأول : أو لا تدخل ؟

الرجل : آه !
كنت ضعيفا وصرخت !

العجوز الأول : وعلى الفور جريت
لأعينك ·

الرجل : أعرف ما تعنى بالعون !

العجوز الأول : افعل ! افعل !
ضع حدا لعذاب شقى
خلصنى من خوفى ، رعشاتى
كتب الموت على
أقتلنى !

العجوز : ألهذا ترفض أن تدخل ؟

الرجل : لا تقتلنى
آه ! ولماذا صحت ؟

ندت عني الصيحة فجأة
وبلا قصد ·

العجوز الأول : هيا كي أضعك في الفرش ·

الرجل : بل دعني أخرج !

العجوز الأول : لو طاوعتك في هذا
لانهرت ، سقطت على الأرض ·

الرجل : هناك ستخنقني حتما
وتقول لنفسك
ان لم تقتله قتلك
هذا فعلكم الآن
وهذا ما كنا نفعل ·
آه ! آه ! آه !

العجوز الأول : الويل ! الويل !
هذا ما نجني منكم !

(يقف الرجلان فترة في مواجهة بعضهما البعض ، وفجأة يلقى الجريح نفسه بين ذراعى العجوز)

الرجل : انقـذنى !

العجوز الأول : ما دمت أعيش ،
وما دامت في جسدى قوة
لن يؤذيك أحد ·

الرجل : امنعه أن يدخل !
لا تسمح له !

العجوز الأول : لن يؤذيك أحد
وأنا أقسم !

الرجل : وسيزحف
كالثعبان المتسلل ،
أعرف ، أعرف !
من نظرته أدركت
ما يطلب مني ،
لن يهدأ حتى يخنقني
ونموت معـا ·
لا تتركه يدخل ·

العجوز الأول : مـن ؟
الرجل : الآخـر ،
يجرى فى أعقابى .
العجوز الأول : لا تتكلم !
أنك تهذى
اقبـــل
الرجل : كنت هناك
ورأيت بعينى الدم
ينزف منه ، يتدفق
ينساب برفق
كالموت .
دعنى ! دعنى !
لست أريد الموت !
العجوز الأول : أنظر كيف أقودك فى عطف
الرجل : ارحم ضعفى !
أتوسل لك !
انى أعرف .
العجوز : أو لم تدرك حتى الآن
أنك فى خير
مع أخيار ؟
(فترة صمت . الرجل يلمح العجوز
الثانى)
الرجل : هـذا !
العجوز الأول : هو لى أخ .
هيا أقبل !
الرجل : لم ينظر لى ؟
ما معنى هذا ؟
العجوز الأول : أتظل تسىء الظن ؟
الرجل : دعنى أروى القصة له ،
قد يرحمنى !
هم دفعونا بالاكراه ،
أقسم لك .
عميانا كنا

صدقنا ما قالوه .
أو لا يسمع ؟
أنا ما أذنبت .
أرجوك اسمعنى
غرر بى وخدعت .
(يشير الى قلبه)
هنا فى قلبى لا زالت
من أولها تحيا القصة .
ولذلك أرجو أتوسل
أبقونى حيا !

العجوز الأول : ما أتعس
انسان العصر !
(فترة صمت)

الرجل : ويلى
ما أفظع ما قدمت !

العجوز الأول : ما هذا ؟
ماذا يتحكم فيك ؟
وأية روح تعصف بك ؟

الرجل : روح شرير .
حقا ، حقا ،
أنا نفسى !

العجوز الأول : تعترف بهذا ، وتسدم ؟

الرجل : ويلى ، ويلى !
ما أشقانى !
من ينقذنى ؟
من يقبل أن يمنحنى العون ؟

العجوز الأول : أجاد أنت ؟

الرجل : أنا نفسى ،
أقدمت على هذا الجرم .

العجوز الأول : أخى ..
أسمعت ؟

الرجل : انى أجعل ثقتى فيك وأعتمد عليك .

العجوز الأول : يا للحظ !

هذا يوم يسعد فيه القلب ·
أخي ، أسمعت ؟

الرجل : ضعني في الفرش ·

العجوز الأول : أعـرف ·

سوف تعيش الآن ·

الرجل : لأني مجروح أنزف
ولأني طيب ،
شيء واحد
أتوسل لك
ألا تخلف فيه الوعد :
أغلق هذا الباب
لا تدخل أحدا ،
ان يصرخ صوت
لا تسمع ،
خبئني في ركن مظلم
لا يلمحني أحد منهم
هو أبصرني
سوف يجيء
حين تواتيه الفرصة ·

العجوز الأول : ما دمت أعيش ··

ما دامت في جسدي قوة ··
فستحيا أيضا ··
أقبـل ،
انك أضعف
مما تتصور ·

(ينصرفان الى الناحيـــة اليمـنى · العجوز الثاني يرفع راسه ، ثم يعتدل قليلا في الفراش وينصت باهتمام · يتمدد في فراشه من جديد عنــــدما يسمع ضجة بالباب · بعد قليل يرجع العجوز الأول) ·

العجوز الأول : أنصت هناك ،

أطللت من الشباك ،
مرت خيل الغضب المر .
والآن يسود الصمت .
أخى !
ما أروع هذا
ما أروع !
نحن نجونا
أنقـــذنا .
والآن سأرعى هذا البائس
وسأعنى به .
وستأتى أيام أهدأ .
سيعم الخير ،
وسيسكن هذا الغضب المحموم ..
وتحلو كل الأشياء ..
أخى !
هيا انهض ! انهض ! ..
لما أحسست بأن العمر ..
يكتب لى ،
وبأن حياة تولد فى ،
أجلفت ..
وتولانى الذعر .
قلت لنفسى ،
ما هى الا شبكة
أو فخ ..
فحياة المرء ..
مظلمة تصبح ومخيفة ..
ورهيبة ..
حين نشك ..
فى معنى الخير ..
انتهت الآن ..
متاعبنا ..

وانهزم الشر ..
قتلة ،
أن نصبح قتلة ،
هذا ما يبغون ..
منك ومنى .

(العجوز الثانى يتحرك فى الفراش)

العجوز الأول : الآن ينام .
من أنقذته .
ولدى ! ما أبدعه !
طيب ،
هو فى أعماقه
انسان طيب
أوحت لى هذا
كلمـــاته
واليأس الخانق من نفسه
حين تمكن منه .
أرأيت
كيف تعرف فجأة
وجه الحق ؟
فجأة !
وكذلك يسطع نوره
للأخيار
مثل البرق
أو مثل الفجر ،
وكذلك ..
فى آخر كل مطاف
يأتى الخير .
آه !
ما أسعدنى ..
انى حى !

(يتحرك العجوز الثانى من جديد فى سريره)

العجوز الأول : أنت على حق ؟
(ينتفض العجوز الأول انتفاضة النصر)
قدر الانسان •
أنت مخيف •
وتضل الناس كما شئت !
لكنك بمرور الوقت
تعجز أن تنفع وتضر •
وتظل صغيرا وضئيلا
فى وجه الخير

(يحاول العجوز الأول ان يقترب من العجوز الثاني فيمنعه موقفه السلبى التام •)

العجوز الأول : (يتحول عنه بعد قليل)
أشعر أنى وحدى
فى هذا الكون
وكأنى أسكر فأجن •

(يتحرك العجوز الثانى فى فراشه من جديد)

ساد الصمت •
هذا ما قالوا عنه ،
ليقبل كل قدره ••
أيا كان ،
طيبة كل الأشياء
فى قلب طيب •
أخى ،
ها نحن ضربنا مثلا
يجرى فى كل مكان
ويعم الأرض
فاذا أنكره الناس
وأشاحت عنه الآذان ••
فيكفى انا أوجدناه ••
حتى ينجو هذا العالم •
أخى !
حرك شفتيك ، تحرك !
ماذا تنتظر ؟

ماذا يحدث فى عينيك ؟
أو لا تتخلى عن صمتك
فلأمض أنا
لأؤدى الواجب
نحو الرجل الراقد فى الحجرة .

(ينصرف العجوز الأول . تظل الحجرة للحظة خالية تماما ، ثم يفتح الباب الأيسر وينسل منه رجل نحيف الهيئة .)

الرجل : أين ؟
(يتلفت حوله)
الرجل : أهو هناك ؟
أمات ؟
(يتلفت حوله)
الرجل : أرجوكم
أبتهل اليكم
لا تغتالوه
فلى شأن معه .

(يعتدل قليلا فى وقفته)

الرجل : العين بعين
والسن بسن

(يلمح العجوز الثانى راقدا على سريره)

الرجل : ها هوذا
يرقد فى فراشه
(يسقط مرة أخرى على الأرض)
حق عليك الموت ؟
سنموت سويا !
يقول بهذا العدل .
ونظام الكون الأزلى ..
لهذا جئت ..
أتسلل خلفك ..
ولهذا أدخر القوة ..

هل تسمعنى ..
تفهم عنى ؟
وأنك تفهم لا شك
انسان أنت
مثلى
وعلى ما أسلفت الى
لا يوجد الا رد واحد ..
يعرفه كل منا ..
هل تسمعنى ؟
بالضربات انهلت على
من قدام .. من خلف
.. من أسفل .. من أعلى
وهجمت على
ماذا كان الدافع لك ؟
لم لا تتكلم ،
لم تكذب ؟
لم تستخفى الآن ؟
هل كنت تؤمل أن يدركنى الموت
قبل وصولى لك ؟
لا .. لا ... لن يحدث هذا
لن يلمسنى الموت
قبل الثأر ..
فهناك العدل
والعدل أحق .
(فترة سكون)
أعرف
لم أقدمت على هذا
يا مسكين
يا صاحب أصغر نفس
أضأل نفس ..
لن ينقذك الآن ..
منى شىء ..
فلقد جئت ..
كى أخنقك بنفسى

(يبذل الرجل القعيد جهده لينهض على
قدميه يلمح العجـــوز الثاني فيطلق
صرخة عالية ويسقط مرة اخرى)

هذا رجل زائف !
رجل آخر !
ليس المجرم !
(ســكون)
خدعت سرقت
مكر ودهاء
ما أقذر هذا !
أأموت أموت
والقاتل حى !
(ســكون)
أنت !
يا من ترقد فى هذا الفرش
انى أعرف من أنت .. !
ولقد أبصرتك حين مضيت أمامهم
وانهلت عليهم بيديك .
ثم زحفت على الأرض
وتصارعت صراع الذئب مع الكلب
انك تعلم بمكانه
فتكلم .. أسرع
قبل فوات الوقت .
... حتى لا أصرخ فيجيئوا
أسمع صوتا بالداخل ..
هل يجرى الآن
ما أعنيه ؟
أفصح عما فى نفسك
ولتصح الرحمة فى قلبك !
(ســكون)
سوف أصيح
حتى يأتوا .

(فى هذه اللحظة يرجع العجوز الأول
ويتكلم فى البداية دون ان يلاحظ
الرجل الملقى على الأرض ·)

العجوز الأول : يبكى ··

يبكى ··

لا يبغى أن يتكلم ··
والآن تمكن منه

خوف مرعب ·
رباه !

ماذا يضنى قلبه
ماذا يخفى صدره ؟

ان كانوا مثله
ان كانوا فى الخوف سواء

لا جرم يكون الموت
فى أعينهم نعمة ·

الرجل : هـو ··

العجوز الأول : ماذا ؟

الرجل : مـن ··

العجوز الأول : مسكين مثله ··

الرجل : هو من شأنى ··

العجوز الأول : وضعيف مثله ··

الرجل : أحضره ··

العجوز الأول : رباه !

يا لكم من بؤساء !

تعال معى !

تعال تمدد

فوق سريرك ···

الرجل : أحضره الى ··

(يقترب العجوز الأول من الرجل الذى
يبعده عنه باشارة مخيفة ··)

العجوز الأول : يا أبأس خلق الله
ستموت
وأنت على بؤسك .

الرجل : أحضره هنا ...

العجوز الأول : بم ينطق ..
وبماذا يهرف ؟

الرجل : بم .. بم .. بم ..

العجوز الأول : رباه ! أية رعب !
أية رعب يملككم !

(الرجل الملقى على الأرض يشير اشارات مخيفة مضحكة)

العجوز الأول : تعال ...
ان شئت أعنتك
ومددتك فى هذا الفرش .
(يحمله الى السرير)

العجوز الأول : رؤية هذا
تسلبنى كل قواى
تحبب فى نفسى الموت .
رباه !
ارحم هذا اللحم
انقذ هذى الأرواح .

الرجل : **(من الفراش)** دعنى يا شيخى الطيب
دعنى .
لا بل شدد قبضتك على ..
أنا لا أتحمل هذا الحب ..

العجوز : يا ولدى .. دعنى أمنحك الحب
أترفق بك
أبذل من نفسى لك .

الرجل : يا شيخى الطيب .. من أنت ؟

العجوز الأول : شيخ منهوك مستضعف
لكن الخير يقويه

الرجل : الخير ؟

لا لست أريد ..
دعني .. دعني

(ينتزع الرجل نفسه من السرير)

الرجل : أحضره الآن
أحضره الآن
أو أصرخ .

العجوز الأول : ما هذا ؟
ماذا يجرى لك ؟

الرجل : هو حي ؟
كان عليك
أن تقتله
لكن لم تفعل
ولذا تدفعني الآن الى القتل .

العجوز الأول : ما هذا ؟
ماذا يخرج من شفتيك ؟

الرجل : اني أسمعهم في الشارع
وقع خطاهم أعرفه وسيأتون
لكي ينتقموا لي
ان أصرخ هبوا للثأر
أحضره .. حتى لا أصرخ !
آه ! آه ! آه !

العجوز الأول : ويلي ! ويلي !
أشعر أنك تخنقني

الرجل : هناك .. هناك ..
ألقونا في جحر مظلم
جحر مهجور معتم
ودخلنا فيه
تخبطنا وتعثرنا .
فجأة
أحسست بوجه في وجهي
بشع ممرور يعصره

يأس ويثير بى الشفقه ·
وجهى ، وجهه
امتزجا ، صارا اثنين
فى واحد ،
نفس الوجه ،
وجه القاتل والمقتول ·
مرت لحظة ·
وأشحت بوجهى فأشاح بوجهه
مرت لحظة
وأتت ضربة
تتبعها ركلة
تتلوها لكمة
وانهال الضرب على
يمينا وشمالا
من قدام ·· من خلف
من أسفل ·· من فوق
وبكى وجهى
وبكى وجهه
سلمه لى
سلمه ·
لابد وأن أقتله
لابد
فبهذا وحده
أنقذ نفسى ·
(سـكون)
قد أبصرته
يتسلل من هذا الباب
فتسللت وراءه
وهو الآن هنا ·
لا تنكر
حان الوقت لأثأر ·

دعني معه وحدى
دعنا واذهب !

(العجوز يرفع ذراعيه مفزوعا)

العجوز الأول : سيصيح ويجأر ·

الرجل : لا تهـــذر !
لا تتردد وتفكر
لا تتحسر
حاول أن تفهم أن تعذر ·

العجوز الأول : سيجيء القتلة
لن تنجو منهم
لن ينجو
(فترة صمت)

الرجل : افهم قولى
هذا أمر حتمى
(فترة سكون)
ارفق بى
احن عليه وعلى !

العجوز الأول : سيصيح ويصرخ
(سكون)

الرجل : ارحم ضعفى !
(صمت)
سأموت
(صمت)
أسرع !

العجوز الأول : انى لأريد الخير ·
(صمت)

الرجل : العبء ثقيل والذنب
قد جاوز حده
نحن جميعا نتحمل وزره ·
أما الآن فقد فات الوقت ·

أسرع
فأنا أنتظر الموت ٠
(صمت وسكون)
لا تتدخل في شيء
لا يعنيك !
ان لم تفعل فسأصرخ !

(ينهض قليلا ، يحاول ان يصرخ فلا تخرج منه الا حشرجة ضعيفة)

الرجل : ها !
أو تبغي أن نمكر بي ؟
أو تبغي أن أسلم روحي
قبل الأخذ بثأري
قبل نفاذ العدل ؟
ها أنا ذا أمضي ، أتسلل
حتى أصل اليه
لن يمنعني شيء ٠

(يزحف الرجل حتى يصل الى الباب ٠ وعندما يرى العجوز هـــذا يسقط على الأرض بجانبه ٠)

الرجل : ماذا تفعل ؟

(العجوز يصدر اشارات مخيفة ومضحكة)

الرجل : عن هذا الباب تنح !

(العجوز يواصل اشاراته)

الرجل : أتحاول أن تفزعني
باشاراتك ؟
أنت ؟

(يستمر العجوز في اصدار اشاراته)

الرجل : هل تعجز أن تخرج كلمة ؟

(فترة صمت طويلة ٠ العجوز الثاني يعتدل جالسا في سريره ٠ العجـــوز الأول يطرق براسه ٠)

العجوز الأول : اهدأ
أرجوك
واترك هذا الأمر ٠

الرجل : بل تهدأ أنت ٠
هل صليت ؟

العجوز الأول : ما عادت تسعفنى القدرة

الرجل : وأنا أيضا ٠

العجوز الأول : هذا العبء ثقيل ٠
أثقل مما يحمل قلب !

الرجل : هو ٠٠ هو ٠٠ هو !

(يحرك يده اليمنى فى أثناء هذا حركة دائرية)

العجوز الأول : ما أبغى الا الخير ٠٠

الرجل : أحقا تبغى هذا ؟

العجوز الأول : أن أنقذ كل الناس
وأنقذك وأنقذ نفسى ٠

الرجل : تنقذنى أيضا ؟

العجوز الأول : نحن جميعا
نحن جميعا

الرجل : هل بقى سبيل ٠٠ ؟

العجوز الأول : فى هذى الحجرة
كنا نرقد
أنا وأخى
داخل هذى الحجرة
فوق فراش الموت
حتى جئتم
فبعثتم فينا الروح ،
حركتم فينا النبض ٠

الرجل : نحن ؟

العجوز الأول : جنونكم ٠

الرجل : أى جنون ؟

العجوز الأول : وهناك بعثنا

لنكون شهودا بالخير

ونخلص هذا الكون !

(الرجل يصــــدر براسه وذراعيــه حركات تدل على الرفض والاستنكار)

العجوز الأول : ان شئت ..

الرجل : ماذا ؟

العجوز الأول : ان صدقت

الرجل : ماذا تعنى ؟

العجوز الأول : أن الخير ..

الرجل : الخير ؟

أو لا تدرك —

العجوز الأول : ماذا ؟

الرجل : انى أحتضر الآن ؟

(فترة صمت أطول)

العجوز الأول : سأضمك بين ذراعى

فتعود اليك حياة أخرى

وسأرعاك ...

الرجل : طول العمر ؟

العجوز الأول : سأعلمك

الرجل : الرقة ؟

العجوز الأول : لا داعى أبدا

صدقنى

لا داعى أن ينتشر الرعب

وتبدو كل الأشياء مخيفة

أتحب ؟ ..

(ينظر الرجل للعجوز نظرة طويلة)

الرجل : أنت ؟

العجوز الأل : أجل !

الرجل : كذاب !

العجوز الأل : رباه ! ربي في عليائك !

الرجل : لست أريد .

العجوز الأول : لست تريد ؟

الرجل : لا أقدر

دعني أفتح هذا الباب

العجوز الأول : رباه ! ربي في عليائك !

(يتلفت الرجل حوله)

العجوز الأول : قد يمكن ..

(الرجل يحملق في نقطة معينة)

العجوز الأول : لو تخلو الدنيا ..

(الرجل يحدق خلفه ..)

العجوز الأول : لو أمكننا ببساطة

أن نفهم بعضا .. نتفاهم .

(الرجل يلمح العجوز الثاني ويطلق صرخة عالية)

الرجل : هذا يعرف !

لا يخفى عنه شيء !

دعني أذهب !

(يبدأ الرجل في التحرك نحو الباب .
يتحرك العجوز الأول أيضا .)

العجوز الأول : للخلف .

الرجل : يمينـا .

العجوز الأول : ويسارا

الرجل : أسرع

العجوز الأول : أبطيء

الرجل : ملعون أنت !

العجوز الأول : وعليك اللعنة !

(يبدآن في صراع وحشي حتى يصرخ الرجل فجأة)

الرجل : انى أحتضر ·· أموت !
انى أحتضر ·· أموت !

(العجوز يتركه وينهض واقفا ويبتعد تجاه الحائط · يقف صامتا لا يتكلم · ثم يسير فى بطء الى سريره ويرقد عليه · تمر فترة سكون طويلة · ثم يسمع صراخ الرجل الآخر فى الحجرة المجاورة · يلتفت العجوز الثانى فجأة للعجوز الأول) ·

العجوز الثانى : وهناك على أرض الشارع ·
كانت خطواتى تسبقهم
ويداى الى أعلى رأسى ·
وأقول لنفسى :
فلأضرب مثلا
وتلفت
فرأيت اثنين
يصطرعان
كالأحباب أو العشاق ·
وتملكنى السخط
حاولت أفرق بينهما
ومددت يدى
فخنقتهما ·
قلت لنفسى
قضى الأمـر ·
قضى الأمـر ·
هناك فهمت ·
قضى الأمـر ·
قضى الأمـر ·
هناك فهمت ·
من يصمت
من لا يفعل
يعرف عنه الناس
أن قد فهما ·

(العجوزان يرقدان الآن رقدتهما التى بدات بها المسرحية • وفجاة يدخل شاب وفتاة من الباب وكلاهما يبدو فى هذا المكان وكانه هبط من عالم آخر • لا يلتفتان لشىء فى الحجرة فهما مشغولان بنفسهما تماما ، وكانه لاوجود الا للعالم الذى يعيشان فيه وحدهما •)

الشاب : حين مضينا

الفتاة : أعرف ، يا حبى أعرف •

الشاب : دعينى

أكمل قولى •

الفتاة : أكمل •

أكمل •

الشاب : حين أتينا للأشجار

الفتاة : أعرف أعرف

الشاب : حين وقفت هناك

فجـأة

بدأت أعضاؤك تتحرك

رحت تحاكين

رقصة تلك الأشجار

الفتاة : كانت فى عينيك النظرة

الشاب : حين رقصت •••

والأشجار •••

الفتاة : كم كانت نظرتك غريبة

الشاب : كيف ؟

الفتاة : كما نتمنى ونحب !

الشاب : وهناك رأيتك

وأنا أرقد فى حضنك •

الفتاة : أنت !

الشاب : حين رقصت هناك
رقصة تلك الأشجار
خيل لى فجأة
أن الأشجار
تولد ، تخلق ، تحدث فجأة ٠

الفتاة : دعنا نرقص
وليحدث أبدا ما يحدث ٠

الشاب : كما تهوين ٠٠

(يقفان لحظة وكأنهما يحاولان أن ينصتا لما يجرى فى نفسهما ويستغرقان فيه تماما ، ثم يبدآن حركاتهما الراقصة التى لا تتصل بالرقص المألوف فى شيء ٠٠)

الشاب : هنـا
هناك
فوقى
تحتى
فى كل مكان
كل مكان ٠

الفتاة : هنـا
وهناك
فوقى
تحتى
فى كل مكان
كل مكان ٠

(يكفان عن الرقص)

الشاب : لما أن هبت فى الغابة
عاصفة ورياح حمر ٠٠٠

الفتاة : واصطدمت بجبينك ٠٠

الشاب : لما مات الجدول
غنى الطـير
فى دوامات صفر ٠٠

الشاب : تم الأمر .
تم الأمر
الفتاة : فليجرى الآن
ما يجرى
دعنا نرقص !
(يقتربان من بعضهما البعض ويتلامسان
ثم يتباعدان)
الشاب : حدثت أشياء كثيرة
الفتاة : فلنبق الآن بعيدين
الشاب : وقريبين
الفتاة : فى كل طريق
الشاب : نتلاقى
الفتاة : نتشابه .. دوما نتشابه
الشاب : فى كل وجود ومصير
الفتاة : أنت ؟
الشاب : نعم ؟
الفتاة : ياليت نعيد الكرة
(نبدأ فى الرقص)
أحرار أحرار
وقصار العمر
نعرف
أو لا نعرف :
ما يبقى
لا يعنينا ،
لا يعنينا نفع أو ضر .
نحن نحب ونحيا
نحيا ونحب
لا يعنينا
مايجرى فى أذهان الناس

أوما يبصره الناس
لايعنينا الخير أو الشر
قصار العمر
وأحرار ٠
نسمة
رقة نسمة
لا شيء سواها ٠
لا نسأل
هل يبقى العالم أو يفنى
لا يعنينا
لا يعنينا شيء
لا نتفكر
لا نتدبر
نحيا وفق طبيعتنا
كحياة الورد
بل أقصر من عمر الورد
لا نشتهى
لا نتألم
نرقص
نحيــا
أو نصبح عدما
لا يعنينا شيء
الا أن نحيا ونحب ٠
هل تصحبنى يا حبى
يا حبى هل تصحبنى ؟

الشاب : لك ما شئت
افعل ما يرضيك ٠

العجوز الأول : قف :
الخطر هناك !

(يختفى العاشقان ٠ يجلس العجوزان
فى فراشهما جامدين ٠ تمر لحظات)

العجوز الأول : من هذان ؟

العجوز الثاني : وماذا رأت العينان ؟

العجوز الأول : (صارخا) كانت تلك حياتي !

العجوز الثاني : بل كانت أى حياة !

العجوز الأول : لو كنا عشناها حقا ٠

العجوز الثاني : من يدرى ؟ فلعلى عشت ٠

العجوز الأول : لكن لم نعرف شيئا ٠

العجوز الثاني : لكن لم نفهم شيئا ٠

العجوز الأول : هم جعلونا عميانا ٠

العجوز الثاني : كان العبء ثقيلا ٠

العجوز الأول : كان ٠٠

العجوز الثاني : وكان ٠٠

(يقفزان من فراشيهما ويقلدان رقص العاشقين)

العجوزان : نرقص ٠٠ نرقص ٠
أحرار ٠٠ أحرار
وقصار العمر
ندرى
أو لا ندرى
قدر الانسان
أواه منك !

العجوز الأول : قدر الانسان
قدر الانسان
ضاع العمر
احترق العمر

العجوز الثاني : ها نحن نموت

العجوز الأول : يثقلنا الذنب
يأكلنا الحقد أو الرعب
آه ! آه !

العجوز الثاني : والآن الآن

يا حسرة عمر قد كان ·
يجرى هذا كله

العجوز الأول : ويدور أمام العين

العجوز الثاني : ويقال تعلم !

العجوز الأول : ويقال انظر !

العجوز الثاني : كى تتعلم
تتألم
تحلم

العجوز الأول : بعد فوات العمر !

العجوز الثاني : بعد فوات العمر !

(يبكيان ويعودان كل الى سريره)

العجوز الأول : والآن نعود
منكسرين ومهزومين
كى نتمدد فوق فراش الموت !

العجوز الثاني : فوق فراش الموت
لا نبغى آن نعرف شيئا
لا نبغى أن نسمع شيئا
لنموت نموت أخيرا ·

العجوز الأول : آه من يقوى
أن يدرك سره
من يقوى أن يكبح شره

العجوز الثاني : القدر ! القدر !

العجوز الأول : شدوا شعره !
أدموا ظهره !
دوسوا فوقه
بالأقدام !

العجوز الثاني : حتى يرقد رقدتنا
ينتظر الموت !

(سـكون)

العجوز الأول : لا زلنا مع ذلك نحيا !

العجوز الثاني : لا زلنا آه ! لا زلنا !

(سـكون)

العجوز الأول : أخي ...
أنا أيضا ... فجأة
أصبحت وديعا

العجوز الأول : يكفي أنا

العجوز الثاني : يكفي أنا
لم نحرم منه
بل واتتنا الفرصة

العجوز الأول : ورأيناه رأى العين .

العجوز الثاني : يمكننا تصديق الحلم
(يصمتان)

العجوز الأول : أخي .

العجوز الثاني : أنا أيضا جمدت أعضائي .

العجوز الأول : أواه !
لو كان خداعا ما نلقى
ومجرد وهم !

(يموت الرجلان العجوزان .)
(تسمع طلقتا رصاص . يظهر العاشقان مرة اخرى . لا يكادان يلتفتان لما حولهما الا بقدر ما فعلا في المرة السابقة او اقل . هناك جرحان داميان في جنبيهما .)

الفتاة : ما أعجب كل الأشياء .
تنسكب .. تسيل .

الشاب : حقا .
كل الأشياء عجيبة .

الفتاة : قد يوجد شيء
واذا هو فجأة
يصبح شيئا آخر .
كل الأشياء تزول

الشاب : تنسكب .. تسيل .

الفتاة : تومض فجأة

تبرق فجأة
ترعد فجأة
تصرخ فجأة

الشاب : انطلق رصاص

الفتاة : وتعود الكرة

ويحل ظلام
يتبعه النور

الشاب : ويجيء الضعف

تتبعه القوة

الفتاة : تعال .

(يرقصان . يلمحان البقع الحمراء في جنب كل منهما ، يتزعجان لحظة ثم يستمران في الرقص. يتوقفان فجأة.)

الشاب : أحس الخوف .

الفتاة : وأنا أيضا .

الشاب : ولدت في نفسي رغبة .

الفتاة : وأنا أيضا .

الشاب : أقوى رغبة .

الفتاة : كل الأشياء عجيبة .

الشاب : نامي ...

الفتاة : نم ..

الشاب : **(الذى لا يدرك حالته كما لا تدرك هي أيضا حالتها)**
فلنرقد في حضن الرغبة !

(يلتفتان حولهما ويلمحان العجوزين يقـــذفان بجثتيهمـــا من على الفراش ويرقدان في مكانهما . كلاهما صامت وعيناه مفتوحتان)

الفتاة : نفسى تشتاق لرقصة .

الشاب : وأنا يضا .

الفتاة : ما رأيك أنت ؟

الشاب : ما رأيك ؟

(يضحكان)

الفتاة : فى هذا الألم .

الشاب : ألمى ؟

الفتاة : لا أقدر أن أرفع جسدى

ولذلك سأحرك كفى .

الشاب : وأنا رأسى

(تحرك أصبعها ويحرك رأسه . فترة صمت)

الفتاة : خطرت لى فكرة

الشاب : الهام ؟!

الفتاة : ويلى ! ويلى !

بل نبوءة !

الشاب : يجب علينا أن ننهض ..

الفتاة : فلنفعل هذا يا حبى ..

(ينهضان من الفراش . البقعة الحمراء
انتشرت على جانبيهمـــا كله ، وهما
يدركان ذلك الآن)

الشاب والفتاة : لا بأس ....

يمكن مع ذلك أن نرقص !

(يرقصان)

الشاب : (فجأة) أنت !

الفتاة : هنا بجوارك !

الشاب : (وهو يواصل رقصه) أين ؟

الفتاة : (وهي تواصل رقصها) هنا ..
وقريب منك .

الشاب : حسن .

الفتاة : (فجأة) أنت ؟

الشاب : ماذا ؟

الفتاة : حســن

الشاب : (فجأة) يا طيبة القلب ،

حبى أنت ،

يا نبع حنان لا ينضب .

الفتاة : ما هذا ؟

لا .. لا .

أنسيت الرقصة ؟!

الشاب : لك ما شئت .

(يتحركان الحركة الأخيرة . تبـــدأ
الفتاة فى الغناء بصوت خافت .)

الشاب : أسمع صوتك .

(تبدأ الفتاة فى الكلام مع نفسها بصوت خافت)

الشاب : أسمع همسك .

(تسقط الفتاة ميتة . الشاب يغـــنى
ويكلم نفسه . يصل بصــــعوبة الى
الحائط . يستند اليه ويقـــول للمرة
الأخيرة :)

الشاب : أسمع ؟!

(ثم يسقط ميتـــا)

برتولت برشت

« بعـــــل »

(مهداة لصديقي جورج فلانسلت)

هذه اول مسرحية كتبها برشت (أو برخت !) وهو فى الحادية والعشرين من عمره (١٩١٨) ٠ لم يكن قد كتب قبلها سوى مجموعة من الأغانى والقصائد القصصية (البالاد) ٠ ولكنه كان قد شعر بالوحدة القاتلة فى مجتمع يتنكر له ويدينه ، وتشرد بين المقاهى والكباريهات والحانات والشوارع والغابات ، وخالط من الصعاليك والشحاذين والمغنين المتجولين فى الحارات والملاكمين والعمال العاطلين والخارجين على المجتمع البرجوازى المطمئن بالقدر الذى يكفى للتعبير عن حياة شاعر وحشى يعيش ويموت وحيدا كما عاش « بعل » ومات ٠٠

صدرت الطبعة الأولى للمسرحية سنة ١٩٢٢ فى مدينة بوتسدام لدى الناشر جوستاف كيبنهوير ثم عرضت فى نفس السنة على أحد مسارح مدينة ليبزج ، وهناك سقطت سقوطا شنيعا وأثارت فضيحة مشهورة لا زال الناس يتحدثون عنها الى اليوم ٠٠

والمسرحية تنتمى للمرحلة التعبيرية الباكرة فى حياة برشت وانتاجه ، وتفيض كعادة التعبيريين بالعنف والشاعرية والهجوم المر على القيم البرجوازية المريضة ، والشوق الى عالم أفضل وأعدل ٠٠

كان هذا هو الجو السائد فى الحياة الأدبية بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان من الطبيعى أن يتأثر برشت بكتابات معاصريه فى الشعر والقصة والمسرح من أمثال فيرفل وهازنكليفر وأنروه وزورجه وكايزر ودوبلن وكافكا ٠ ولا شك أن هذه المسرحية تنطوى على ملامح كثيرة من الحركة التعبيرية التى كانت فى صميمها نوعا من الصراخ والاعتراف (وأشهر المجموعات المنتخبة من المسرح التعبيرى تحمل هذا العنوان) ، وتميز انتاج أصحابها بالغنائية والخطابية وتفجر الكلمة المعبرة عن احتجاجهم على قسوة الحروب وضياعهم فى المدينة الكبيرة ، وخوفهم من الحضارة الآلية وانكارهم لكل أنواع السلطة وشوقهم الى الانسان الجديد والمجتمع الجديد الذى تسوده المحبة ويتآخى فيه البشر ٠ وهى لذلك جزء لا يتجزأ من هذه الحركة التى ألهبت الأدب الألمانى ـ والأوروبى والأمريكى من بعده ـ وهبت عليه كعاصفة موارة بالتحرر والسخط والتحدى لعصر منتظر يزحف بالبطش والقتل والتضليل ٠ ولكن المسرحية تنطوى كذلك فيما أعتقد على نوع من السخرية بالحركة

التعبيرية بنفسها أو الرد عليها ·· يتجلى هذا فى التهكم المتصل من الشخصيات الشاعرية الحالمة (مثل يوهانيس) والهجوم على النزعة العدمية بل الفرار منها كما يفر السليم من الأجرب (كما فى مشهد الحانة الرخيصة التى يجتمع فيها المرضى) ، وتمجيد الواقع والأرض والجسد والشهوة ، والاستهزاء بنموذج الشاعر التعبيرى نفسه وأشواقه وأحلامه الساذجة (على نحو ما يتضح فى سلوك بعل بوجه عام وفى القصائد المقتبسة من بعض الشعراء التعبيريين فى المشهد الأول) ·

وهى تنطوى أخيرا على بذور التطور الفكرى والمسرحى الذى سيعرف به برشت فيما يسمى بالمسرح الملحمى · انها حافلة بالهجوم على المجتمع البرجوازى ونقد قيمه الغيبية المقدسة ، ولكنه لم يصبح بعد ذلك النقد القائم على النظرة الماركسية التى سيؤمن بها برشت بعد ذلك بسنوات ، كما أن تحليله للشخصيات لم يرتفع فوق حدود الفرد ولم يصبح ذلك التحليل الأجتماعى الذى سنعرفه فى أعماله المتأخرة · وهى فى نفس الوقت تفوح بأنفاس العدمية التى لم يستطع التخلص منها طوال حياته ، على الرغم من سخريته بها فى هذه المسرحية كما أشرت من قبل ، ومن ايمانه بعد ذلك بالواقعية والاشتراكية العلمية والتبشير بهما فى أعماله الكبرى · والمهم أن المسرحية تثبت الرأى المشهور الذى يقول انه لا شىء يأتى من العدم ، وان الأديب مهما تغير أو تطور فان بذور هذا التغير والتطور كامنة فى أعماله الأولى ، بل لعلها أن تكون موجودة فى أول سطر من النثر يجرى به قلمه أو أول بيت من الشعر يجود به الوحى عليه ··

وأكثر ما يسترعى الانتباه فى « بعل » هو أنها تكشف عن تجربة كاملة لشاب متطرف فى ذاتيته وفرديته وثقته فى نفسه ، فى مشاهد متتابعة تكشف انطلاقه الغريزى بصورة لم تحدث من قبل فى الأدب المسرحى · صحيح أننا نتعرف على ملامح من هذه التجربة فى بعض أعمال رامبو ووالت وايتمان ، أو فى حياة وقصائد الشاعر الفرنسى المتمرد الشريد فرانسوا فيون (١٤٣١ الى حوالى ١٤٦٣) الذى أحبه برشت ولم يخف سرقاته منه · ولكننا نظلم المسرحية اذا حاولنا أن ندينها بسبب ما فيها من فحش وبعد عن الاحتشام · فربما كانت تعبر عن هذه الحقيقة القديمة أو هذه الحكمة الصوفية المقلوبة التى آمن بها « الشعراء الملعونون » فى مختلف العصور والآداب : « أثقل روحك بالخطايا والآثام لتزداد قربا من الله » ·· صحيح أن « بعل » لا يقترب من الله بل من الطبيعة · ولكنه يثقل نفسه وجسده بكل الآثام والخطايا الممكنة من أجل الوصول الى حريته الفردية المطلقة · ولذلك تشبه المسرحية أن تكون أغنية طويلة تترنم بشوقه الى الحرية العظيمة التى يحس قرب انتهائها وضياعها على يد القطعان النازية الزاحفة ··

ومهما يختلف رأى الشراح والنقاد فى ولاء برشت للشيوعية التى انضوى بعد ذلك تحت لوائها ، فلا شك أنه ظل فى أعماق نفسه اشتراكيا صادقا يؤمن بالخلاص الأكبر ويحلم به ، ولا شك أنه ظل فى كل انتاجه شديد التعاطف مع الفقراء والبؤساء والمضطهدين ··

واذا كان ايمانه بهذا الخلاص المنتظر هو الذى جعله فى بعض الأحيان يضع موهبته فى خدمة الحزب والدولة والدعاية ، فان الفنان والشاعر فيه ظل أقوى وأبقى من رجل السياسة والمذهب والحزب ..

ونخطىء لو تصورنا أن « بعل » شىء مختلف كل الاختلاف عن انتاجه المتأخر أو مناقض له . فالواقع أنها كما قلت جزء لا يتجزأ من هذا الانتاج ، وهى فى نفس الوقت جزء من الحركة التعبيرية التى غلبت على الحياة الأدبية فى الوقت الذى كتبت فيه . انها أغنية شاعر تعبيرى يودع الحرية ويحذر من سحب الخطر الفاشى الأسود التى بدأت تتجمع فى الأفق . وهى بهذا تكشف عن مقدرة على الاستشراف والتنبؤ نجدها فى كل فن عظيم ..

وصف برشت مسرحيته بأنها « سيرة حياة » (*) درامية . ولا ريب فى أنها تعكس حياة الشباب الألمانى فى العشرينات ، بكل ما فيها من ضياع وعذاب وكفر بالقيم الاجتماعية التى أثبتت الحرب فسادها ، وشوق الى المتع الحيـــة المباشرة ، وتحد للمجتمع والحضارة القائمة وانتظار لقيم جديدة وعهد انســانى جديد . ولا ريب أيضا فى أنها تعكس شيئا أو أشياء من حياة برشت نفســه وأفكاره ومشاعره فى هذه الفترة المضطربة التى كانت تموج بالفوضى والثــورة ومظاهرات العمال المطالبين بالاشتراكية ، كما كانت كذلك فترة خصبة الى أبعد حد فى العلم والفلسفة والأدب ..

ولكن هل أراد برشت أن يصدم البرجوازى الخدوع المطمئن بهذه الشخصية الوثنية المغرقة فى فجرها وانطلاقها وحبها للطبيعة الى درجة الاتحاد بها فى الحياة والموت ؟ هل كان كل همه أن يعرض على الناس صورة شاعر فردى متشرد يموت كالكلب وحيدا فى ظلام الغابة التى عشقها وعانق أشــجارها وأنهارها وتغنى بسحبها وأمطارها وعواصفها ؟ وهل يجوز لنا الآن أن نجدد الصدمة التى أرادها برشت لقرائه البرجوازيين غداة الحرب الأولى ـ وكلنا للأسف برجوازيون ، سواء كنا من القراء أو الكتاب ؟

أحس برشت بهذه الأسئلة والمشكلات التى ستواجه قارىء اليوم وحاول أن يجيب عليها فى مراجعة لمسرحياته المبكرة دونها سنة ١٩٥٤ ـ أى بعـد كتابة «بعل» وعرضها بأكثر من ثلاثين سنة . يقول برشت (*) ان «بعل» تهيىء صعوبات عديدة لكل من لم يتعلم كيف يفكر تفكيرا جدليا ، اذ تصور له أنها مجرد تمجيد للأنانية البحتة . والحقيقة أن « الأنا » هنا تواجه عالما لا يعترف الا بالانتاج الذى

(*) أوبيوجرافيا .

(*) انظر المقدمة التى كتبها برشت لمسرحياته المبكرة (وهى بعل وطبول فى الليل وفى أحراش المدن) وظهرت فى طبعة زوركامب سنة ١٩٥٣ المجلد الأول ، ثم أعيد نشرها فى دار نشر الجيب سنة ١٩٦٢ تحت عنوان « عند مراجعة مسرحياتى المبكرة » ..

يمكنه أن يستغله لا أن يستفيد به · وهذا العالم لا يريد الاستفادة من مواهب بعل وانما يسعى لافسادها وتعطيلها · وهو لا يكتفي بمحاربة فنه ، بل يحارب أسلوب حياته ، شأنه في هذا شأن العالم الرأسمالي في كل مكان · واذا صح القول بأن « بعل » انسان غير اجتماعي ، فمن الصحيح أيضا أنه يحيا في مجتمع غير اجتماعي وغير انساني · ولعل حياته البهيمية وميتته البهيمية أيضا كالوحش الوحيد الجريح أن يكونا صرخة احتجاج على الرأسمالية والبرجوازية · وهو في هذا يتفق مع الشخصيات التعبيرية ويختلف عنها في آن واحد ، ولعله أيضا ـ وهو الذى يعلمنا درسا قاسيا ومخيفا في ضرورة البحث عن السعادة الشخصية والكفاح من أجلها ـ أن يكون الخطوة الأولى على طريق الشخصيات « التعليمية » التى خلقها خيال برشت بعد ذلك والتى ستقف على خشبة المسرح وتعلم الجمهور كيف يكشف عن تناقضات المجتمع الرأسمالي ويحارب الاقطاع ويسعى الى تحقيق الاشتراكية العلمية والانسانية · والغريب أن برشت يعترف بفظاعة مسرحيته فهو يقول في نهاية مراجعته القصيرة انه يسلم بأن المسرحية تنقصها الحكمة ، ويحذرنا أيضا من ذلك ـ فلنسلم نحن أيضا بما فيها من شذوذ ، ولنحذر أنفسنا مما فيها من تطرف ، ولنذكر أن المسرحية نص أدبي أصبح الآن جزءا من تاريخ الأدب وتراثه الحديث ، ومن حقه علينا ومن واجبنا أيضا أن نزنه بميزان الفن لا بميزان الأخلاق · أقول هذا وأعترف بأنني اضطررت الى التخفيف من حدة النص أو شذوذه وتطرفه في المواضع القليلة التى أشرت اليها في مكانها ، كما أعترف بأنني سمحت لنفسي باسقاط مشهد كامل ، وهو المشهد الخامس الذى بدا لى بالغ الفحش ورأيت أنه لا يضيف جديدا الى المسرحية التى تضم مواقف أخرى تعبر عن نفس المعنى بصورة أقرب الى الفن وأجدر به · ولست أدرى ان كنت قد أصبت في هذا أو أخطأت ، فالمهم أننى أكرر تحذير «برشت» من الوقوف عند الظواهر السلوكية والخلقية في المسرحية حتى لا يتسبب هذا في اغفال قيمتها الشعرية والفنية العالية ··

انها مسرحية قد تنقصها الحكمة ، ولكنني اعتقد ـ وأرجو أن يشاركني القارىء هذا الاعتقاد ـ أنه لا ينقصها الفن ·· ولعلها تذكرنا بالأبيات المشهورة التى قالها **المؤلف عن نفسه سنة ١٩٢٧ :**

أنا برتولت برخت ، ولدت في الغابات السوداء ·
حملتنى أمي الى المدينة
وأنا بعد جنين في أحشائها
وسوف تلازمني برودة الغابات
الى يوم أموت ·

هذا وقد اخترت الطريق الوسط في الترجمة ، وراعيت أن تكون اللغة التى تنطق بها الشخصيات ـ وأغلبها من الطبقة الفقيرة المريضة الكادحة ـ لغة

وسطا بين الفصحى الرصينة والعامية ، كما حاولت نقل المقطوعات الشعرية القصيرة في قالب شعرى حافظت فيه على المعنى الأصلي بقدر الامكان ، مع اضافات طفيفة لا تغير منه كثيرا ..

وقد رجعت الى الترجمة الفرنسية التى قام بها « بيير هينو » ونشرت فى الجزء الرابع من أعمال برشت الكاملة التى صدرت عن دار « لارش » فى باريس ، وذلك فى بعض المواضع التى تعذر على فهمها ولجأت فيها الى تصرف المترجم الفرنسى ..

كما استفدت أيضا من الدكتور « جنتر هينزه » الأستاذ بكلية آداب القاهرة ويسعدنى أن أتقدم له بالشكر القلبى على مساعدته القيمة ..

الأشخاص :

بعل ، شاعر غنائي ـ مثى ، تاجر جملة ، وناشر ـ اميليا زوجته ـ الدكتور بيلر ، ناقد ـ يوهانس شميت ـ بشيرر ، مدير الخزانة ، سيد شاب ـ سيدة شابة ـ يوهانا ـ اكارت ـ لويزه ، خادمة فى مطعم ـ صوفيا بارجر ـ الصعلوك ـ لوبو ـ ميورك ـ المغنية ـ عازف البيان ـ القسيس ـ بوليبول ـ جوجو ـ الشحاذ العجوز ـ المتشرد ـ مايا ، شحاذة ـ المرأة الشابة ـ فاتسمان ـ خادمة فى حانة أو مطعم ـ صيادان ـ سائقون ـ فلاحون ـ قاطعو أخشاب .... الخ ..

كورال بعـل العظيم

فى حجــر الأم الأبيض عنــدما شــب بـال(١)
كانت الســماء هائلة وســاكنة وشـاحبة
شــابة كانت الســماء وعـارية وعجيبــة
كمـا أحبهـا عنـدئذ بال ، عنـدما جـاء بال
والسـماء بقيت على حالها فى الأفـراح والأحـزان
حتى عنــدما كان بال ينام ناعم البال ولا يراها :
بالليــل تكون بنفسـجية ويــكون هـو ســكران
فى الصــباح تقيــا وهــى شــاحبة الألوان .
وفى الخمــارات ، والكنيســــة ، والمســتشفى
يتخبط بال معتــدل المزاج ويعتــاد الأشياء .
لكن بال متعبــا يا صغار ، أبدا لا يسقط بال :
فهو يأخــذ سماءه كلما انحـدر الى الحضيض .
فى زحام الخطـاة الذى يفيض بالخجـل والعــار
رقــد بال عـاريا وتمـرغ بـكل هـدوء :
السـماء وحــدها ، لكنهــا هى دائمـا السـماء
دثرت عــريه بقـوة وسحبت عليـه الغطــاء .
والعــالم ، هــذه الأنثى العظيمة التى تسلم نفسها ضاحكة
لكل مــن يقبــل أن تســحقه بين ســاقيها ،
أعطتــه بعضــا مــن النشــوة التى يهواها
لكن بال لم يمت ، وانما راح يتطلع اليهــا .

---

(١) بعل ، هو عند الشعوب السامية الغربية اله يطلق اسمه على « هداد » اله الطقس ، وهو كذلك كبير الآلهة عند الكنعانيين ، ولعله هو الاسم الكنعانى للإلهة المصرية هاتور والكتاب المقدس يجعله علما على كل الآلهة المزيفين . وقد فضلت كلمة « بال » بهذا الاسم حرصا منى على الايقاع فى القصيدة ..

وحين كان بال لا يرى سوى الجثث حواليه
كانت شهوته تتضاعف على الدوام ٠
هناك مكان لي ، كما يقول بال فليس عددها كبيرا ٠
هناك مكان في حجر هذه الأنثى ، كما يقول بال ٠
وسواء أكان الله موجودا ، أم لم يكن هناك اله
فما دام بال موجودا ، فالأمر سواء عند بال ٠
أما الذى لا يقبل فيه بال المزاح
فهو هل هناك خمر أم لا خمر هناك ٠
ان أعطتكم امرأة كل شيء على حد قول بال ،
فدعوها تذهب ، اذ لم يبق عندها ما تعطيه !
لا تخافوا الرجال وهم في أحضان النساء ، فكلهم سواء
أما الأطفال ، فحتى الأطفال يخشاهم بال ٠
كل الرذائل لا تخلو من خير في نهاية المطاف
الا الرجل الذى يقدم عليها ، كما يقول بال ٠
والرذائل لها شأنها ، ان عرف الانسان ما يريد
فاختاروا منها اثنتين ، لان واحدة تفيض عن حاجتكم !
لا تكونوا كسالى ، والا حرمتم من الاستمتاع !
ان ما يريده المرء كما يقول بال ، هو بعينه ما ينبغي عليه ٠
واذا أفرزتم البراز فذلك — وانتبهوا لما يقوله بال —
خير من ألا تفعلوا شيئا على الاطلاق !

المهم ألا تكونوا بهذه الطراوة وهذا الخمول
فليس الاستمتاع ، بحق السماء ، بالأمر اليسير !
يحتاج الانسان لأعضاء قوية كما يحتاج للتجربة ٠
وقد يزعجه كرش منتفخ وسمين :
يجب على المرء أن يكون قويا ، لأن المتعة تضعف ٠
فان سارت الأمور على غير مايشتهى ، فعليه أن يفرح ولو بالضوضاء !
ومن يخص نفسه بنفسه عند كل مساء
يحتفظ دائما بشبابه ، وليكن — فعله ما يكون ٠
وعندما يحطم بال شيئا من الأشياء
لكى يرى ما قد يكون بداخله
فتلك خسارة حقا ، ولكنه مزاح
وانه لكوكب بال ، وما أعظم ما كانت حريته ٠
وحتى لو كان هذا الكوكب قذرا
فهو بكل ما فيه ملك لبال ٠
أجل ، ان كوكبه يعجبه ، وقد تيم به بال

إذ ليس هنـــاك من كوكب آخر ســواه •
وبـال يتطـلع للصـــقور الســمينة
التى تنتظر فى السماء المزدهية بالنجوم جثــة بال •
أحيـانا يتظـاهر بال بأنه قـــد مــات
فاذا ما حط عليه صقر أكله صامتا فى وجبة العشاء !
تحت النجـوم الخابية فى وادى الأحـــزان
يرعى بال الحقـول الفسـيحة متلمظـا •
ان كانت خاوية ، راح بال يركض وهو يترنم بالغنـــاء
منحـــدرا الى الغـــابة الأزلية لينـــام •
واذا الحجر المعتـم جـــذب اليه بال :
فما قيمــة العالم فى نظر بال ؟ انه شبعان •
ما أكثــر ما يحمل بال تحت جفنيــه من سماوات
بحيث لو مات لكان عنـــده منها ما يكفيــه •
لمــا تعفن فى حجر الأرض المعتــم بال
كانت السماء لا تزال هائلة وســاكنة وشــاحبة
شابة كانت الســماء وعــارية وعجيبــة
كمثل ما أحبها ذات يوم بال ، عندما كان بال ••

غرفة الطعام

(مش ، اميلياش ، بشيرو ، يوهانس شميت ،
الدكتور بيلر ، بعل يدخل من الباب مع بعض الضيوف).

مش : (لبعل) هل لك في جرعة من النبيذ يا سيد بعل ؟ (الجميع يجلسون ، بعل هو ضيف الشرف) ..
هل تأكل الكابوريا (١) ؟ هذه جثة قرموط (٢) ..

بيلر : (لمش) يسعدني أن قصائد السيد بعل الخالدة التي تشرفت بالقائها عليكم قد حازت اعجابكم .. (لبعل) يجب أن تنشر شعرك . ان السيد مش يدفع كما يدفع رعاة الفنون (٣) . هذا هو الذي سيخرجك من غرفتك المنزوية في السطوح ..

مش : انني أشترى أخشاب القرفة . غابات بأكملها من هذه الأخشاب تسبح لحسابي فوق أنهار البرازيل . ولكني سأنشر شعرك أيضا .

اميليا : هل تسكن في غرفة على السطوح ؟

بعل : (يأكل ويشرب) ٦٥ شارع كلوكه ..

مش : ان سمنتي لا تسمح لي بتذوق الشعر . ولكن لك جمجمة تذكرني بجمجمة رجل من جزر الملايو كان من عادته ألا يعمل الا اذا جلد . وكلما أقبل على العمل كشف عن أسنانه ..

بشيرو : سيداتي وسادتي .. أعترف لكم صراحة بأن العثور على رجل كهذا في مثل هذه الظروف البائسة قد هزني تماما . تعلمون أنني اكتشفت

(١) هو السرطان أو السلطعون المعروف بالكابوريا .

(٢) مولدة وافق عليها المجمع اللغوى ، وهو نوع من سمك الماء أو ثعبان الماء ويسمى كذلك الجريث أو الانقليس .

(٣) الكلمة الأصلية تدل على اسم ميسين أو ميسينيوس الذى كان فارسا رومانيا (ولد في اريزو وعاش من سنة ٦٩ الى سنة ٨ قبل المسيح) على عهد أغسطس واشتهر برعايته لفرجيل وهوراس وبروبيرس حتى أصبح اسمه علما على كل رعاة الفنون والآداب في كل العصور ..

معلمنا العزيز عندما بدأ .. مستخدما بسيطا في مكتبي .. واني لأعلن بلا أدنى خوف أن من العار على مدينتنا أن تترك مثل هذه الشخصيات تعمل باليومية . واني أهنئك يا سيد مش بأن صالونك سيصبح مهد الشهرة العالمية لهذا العبقري ، أجل هذا العبقري ، في صحتك ، يا سيد بعل ..

(بعل يشيح بيده ويواصل الأكل)

بيلر : سأكتب مقالا عنك .. هل معك نسخة مخطوطة من شعرك ؟ ان الصحف تحت تصرفي ..

شاب : أيها المعلم العزيز ، كيف توصلت الى هذه السذاجة اللعينة (١) ؟ ان هذا من وحي هوميروس . أنا شخصيا أعتبر هوميروس واحدا أو مجموعة من ذوي الثقافة العالية الذين أعدوا الملاحم الشعبية الأصلية ووجدوا في بساطتها وسذاجتها متعة خارقة ..

سيدة شابة : بل انك تذكرني بوالت ويتمان . ولكنك أعظم منه . هذا هو رأيي ..

بيلر : فيرلين .. فيرلين .. حتى تقاطيع الوجه .. لا تنس لومبروزو (٢) .

بعل : من فضلك .. ناولني قطعة من القرموط ..

السيدة الشابة : ولكنك تمتاز عليهم بالغلظة الشديدة ..

يوهانيس : السيد بعل يلقي أشعاره على أسماع السائقين في حانة تقع على شاطيء النهر ..

الشاب : رباه .. انك تتفوق على كل هذه الاسماء .. والشعراء المعاصرون عاجزون عن اللحاق بك ..

الرجل الآخر : هو أمل كبير على كل حال .

بعل : شيئا من النبيذ ، من فضلك .

الشاب : في رأيي أنك تمهد للمخلص العظيم الذي نتوقع ظهوره في وقت قريب جدا لانقاذ الادب الاوربي .

---

(١) السذاجة هنا بمعنى البساطة والبراءة والتلقائية ، وهي ميزة كل الشعراء الاصلاء . وأما وصفها باللعينة فهو نوع من المدح في صورة الذم ..

(٢) شيزار لومبروزو طبيب وعالم اجتماعي مشهور ولد في فيرونا (بايطاليا) سنة ١٨٣٥ ومات سنة ١٩٠٩ . ابحاثه في الجريمة معروفة ، وقد ذهب الى أن المجرمين مرضى في حاجة للعلاج لا للعقاب ..

السيدة الشابة : أيها المعلم الجليل · سيداتي سادتي · اسمحوا لي أن أقرأ عليكم من مجلة الثورة قصيدة أعتقد أنها ستثير اهتمامكم · (تنهض وتلقى القصيدة) :

الشاعر يجتنب الأنغام المرحة ·
ينفخ في الابواق ، يجلد ظهور الطبول ·
يثير الشعب بعباراته المتقطعة ·
العالم الجديد
يطمس عالم العذاب والشقاء ،
هو جزيرة البشرية السعيدة ·
خطب · بيانات ·
أناشيد تلقى
من فوق المنصات ··
طوبى للدولة الجديدة المقدسة
التي يجري فيها دم الشعوب ،
وهو من دمكم ·
الفردوس ابتدأ ·
هيا بنا نمهد للثورة العارمة !
تعلموا ·· أعدوا ! تدربوا ! (١)
(تصفيق)

السيد الشابة : (في لهفة) اسمحوا لي · لقد وجدت قصيدة أخرى في هذا العـدد (تقرأ) :

الشمس أحرقته
والريح جففته ·
ما من شجرة رحبت به ·
سقط في كل مكان ··
الا شجرة أجاص(٢) واحدة
غنية بثمار حمراء
أشبه بألسنة من نار
آوته تحت ظلها ·

---

(١) هذه أبيات للشاعر يوهانيس بيشر (١٨٩١ ـ ١٩٥٨) الذي بدأ حياته متأثرا بالحركة التعبيرية وختمها وهو من أخلص دعاة الاشتراكية ، ومن أبرز المسئولين في حكومة ألمانيا الديمقراطية· ولعل برشت يريد التهكم بما في هذا الشعر من نزعة خطابية تثير السخرية ··

(٢) يسـمـيه علماء النبات غبيراء الحابلين أو شجر السمن وهو نبات أحمر الثمار ·

وهناك تعلق بأغصانها
وقدماه على العشب ٠
شمس الأصيل الدامية
رطبت ضلوعه ،

هبت على غابات الزيتون
التى تغمر الحقول ،
الرب تجلى بين السحب
فى ثيابه البيضاء ٠

فى الأغوار المفروشة بالورد
تصفر صغار الأفاعى ،
فى الرقاب الفضية
تتردد أصداء الهمس ٠

وارتجفوا جميعا
فى مملكة النبات
عندما سمعوا يد الخالق
ترف فى العروق الشفيفة ٠

(تصفيق)

أصوات تهتف : رائع ٠ عبقرى ٠ قصيدة مخيفة ، ومع ذلك فهى تدل على ذوق رفيع ٠ معجزة الهية !

السيدة الشابة : أعتقد أنها قريبة جدا من بعل وعالمه الشعورى ٠

مش : يجب أن تسافر ٠ جبال الحبشة مثلا ٠ هذا شىء يناسبك ٠

بعل : ولكنها لن تأتى الى ٠٠

بيلر : وما الداعى ؟ مع احساسك هذا كله بالحياة ٠ لقد أثرت قصائدك تأثيرا قويا على نفسى ٠٠

بعل : كلما أعجبت السائقين دفعوا لى شيئا ٠٠

مش : (وهو يشرب) سأقوم بنشر أشعارك ٠ وسأترك أخشاب القرفة تسبح كما تشاء أو أجمع بين الأمرين ٠٠

اميليا : لا تسرف فى الشرب ٠٠

بعل : ليس لدى قمصان ٠٠ ربما احتجت لقمصان بيض ٠

مش : ألا يهمك أن تنشر أشعارك ؟

بعل : ولكن يجب أن تكون طرية ٠

بيلر : (ساخرا) ما هى الخدمة التى يمكننى أن أؤديها لك ؟

اميليا : ان قصائدك رائعة يا سيد بعل ٠ وهى تدل على رقتك الشديدة ٠

بعل : (لاميليا) ألا تعزفين على الأرغن (اميليا تعزف) ٠٠

مش : أنا أحب الأكل على أنغام الأرغن ٠

اميليا : (لبعل) أرجوك يا سيد بعل ٠٠ لا تسرف فى الشرب ٠

بعل : (ينظر لاميليا) هل تسبح أخشاب القرفة لحسابك يا مش ؟ غابات بأكملها ؟

اميليا : يمكنك أن تشرب كما تشاء ٠ كان مجرد رجاء منى ٠

بيلر : حتى طريقتك فى الشرب تنبىء بمستقبلك الزاهر ٠

بعل : (لاميليا) استمرى فى العزف ٠ ان ذراعيك جميلتان ٠

(تتوقف اميليا عن العزف وتقترب من المائدة)

بيلر : لعلك لا تحب الموسيقى ؟

بعل : انى لا أستطيع أن أسمعها ٠ أنت تثرثر كثيرا ٠

بيلر : أنت قنفذ مضحك يا بعل ٠ يظهر أنك لا تريد نشر شعرك ٠

بعل : مش ٠٠ هل تتاجر أيضا فى الحيوانات ؟

مش : وهل لديك اعتراض ؟

بعل : (يمر بيده على ذراع اميليا) وماذا تهمك أشعارى ؟

مش : أردت أن أقدم لك خدمة ٠ اميليا ، هل تسمحين بتقشير شىء من التفاح ؟

بيلر : انه يخاف من استغلال الناشرين ٠ ألم تخطر على بالك خدمة يمكن أن أؤديها لك ؟

بعل : اميليا ، هل تسيرين دائما بأكمام مفتوحة ؟

اميليا : يجب أن تكف عن الشرب ٠٠

بشيرر : يصح أن تكون أكثر حرصا مع الكحول ٠ ان بعض العباقرة ٠٠

مش : ألا تحب أن تستحم ؟ هل آمرهم باعداد فراشك ؟ ألم تنس شيئا ؟

بيلر : الآن تغوص القمصان الى القاع يا بعل ٠ والشعر غاص بالفعل ٠

بعل : (وهو يشرب) ما الداعى للاحتكارات ؟ اذهب أنت للفراش يا مش ٠

مش : (ينهض واقفا) كل الحيوانات التى خلقها الله تعجبنى ٠ أما هذا الحيوان فلا يمكن التعامل معه ٠

تعالى يا اميليا ٠٠ تعالوا أيها السادة ٠٠

(الجميع ينهضون ساخطين)

نداءات : وقاحة ٠٠ ان هذا ٠٠٠٠٠٠

بشيرر : يا سيد مش ٠٠ أنا آسف أشد الأسف ٠٠

بيلر : ان شعرك ينطوى أيضا على نزعة الشر ٠

بعل : (ليوهانيس) ما اسم السيد ؟

يوهانيس : بيلر ٠

بعل : بيلر ، يمكنك أن ترسل الى الصحف القديمة !

بيلر : (وهو ينصرف) أنت بالنسبة لى هواء ٠٠ وبالنسبة للأدب هواء ٠

(الجميع ينصرفون ٠٠ يدخل أحـــد الخدم ويقول لبعل : معطفك يا سيدى ٠٠٠)

غرفة بعل على السطوح

« ليل تلمع فيه النجوم .. بعل يقف امام النافذة مع الفتى يوهانيس . يتطلعان للسماء »

بعل : عندما يتمدد الانسان ليلا على العشب ، يدرك بعظامه أن الأرض كروية ، وأننا نطير ، وأن على هذا الكوكب حيوانات تفترس نباتاته .. انه من أصغر الكواكب ..

يوهانيس : هل تفهم فى الفلك ؟

بعل : لا .. (صمت)

يوهانيس : لى حبيبة ، هى أطهر النساء جميعا .. لكننى رأيت مرة فى المنام شجرة عرعر (١) تضاجعها . أقصد أن جسدها الأبيض كان ممددا على الشجرة وكانت الفروع الغليظة تطوقها .. من تلك الليلة وأنا لا أعرف النوم ..

بعل : هل رأيت جسدها الأبيض ؟

يوهانيس : لا .. انها طاهرة .. حتى ركبتيها — هناك درجات مختلفة من الطهر ، أليس كذلك ؟ — ومع هذا فكلما طوقتها بذراعى وأنا أسير معها بضع خطوات فى الليل ارتعشت كورقة الشجر .. ولكن لا يحدث هذا الا فى الليل .. اننى أضعف من أن أفعلها .. فهى لا تزال فى السابعة عشرة .

بعل : هل أعجبها الحب فى المنام ؟

يوهانيس : نعم .

بعل : أترتدى ثيابا بيضاء تلتف حول جسدها ، وقميصها أبيض كالثلج ينسدل حتى ركبتيها ؟ لو ضاجعتها لأصبحت كومة من اللحم بلا وجه ولا ملامح .

---

(١) شجر من الفصيلة الصنوبرية يستخرج منه زيت يستعمل فى بعض المسكرات .

يوهانيس : أنت دائما تعبر عما أشعر به ·· لقد تصورت أنني جبان ·· أراك تتفق معى فى أن اتحاد الرجل بالمرأة شيء قذر ·

بعل : هذه هى الصرخة التى تطلقها الخنازير العاجزة · لو طوقت الجسد العذرى لخيل اليك من فرط الخسوف والسعادة أنك أصبحت الها ·· ولصرتما فى الفراش الواحد كشجرة العرعر التى تمد جذورها العديدة المتشابكة فى باطن الأرض ، ولأحسستما بأعضائكما الكثيرة التى تخفق فيها القلوب ويجرى فيها الدم ·

يوهانيس : ولكن القانون يعاقب على هذا والأبوان ·

بعل : أبواك – (يتناول القيثارة) مخلوقان محكوم عليهما بالزوال ·· كيف يجرؤان على فتح أفواههما التى تبدو منها الأسنان المتخوية ليحتجا على الحب الذى يمكن أن يستشهد فى سبيله كل انسان ؟ ان كنتم لا تقوون على الحب ولا تحتملونه فأولى بكم أن تتقيأوا أنفسكم(١) ··

(يضبط أوتار القيثارة)

يوهانيس : هل تقصد الوحم أثناء الحمل ؟

بعل : (يوقع على القيثارة ايقاعات حادة) اذا تسرب الصيف الشاحب اللطيف وتشبعن كالأسفنج بالحب ، انقلبن الى حيوانات شريرة ساذجة منتفخة البطون مترهلة الأثداء ، متشنجة الأذرع كالحيوانات المائية اللزجة المتعددة الأرجل ، وتضمر أجسامهن ويصيبهن اعياء كالموت ، ثم يلدن وهن يصرخن صراخا رهيبا ، وكأن هناك عالما جديدا يولد أو ثمرة صغيرة يبصقنها فى ألم وعذاب ، بعد أن التهمنها من قبل بلذة واشتهاء · (يوقع نغمات مختلفة على القيثارة) يجب أن تكون الأسنان قوية ، حتى يحب الانسان كما لو كان يقضم برتقالة فتندفع عصارتها لتنفذ بين أسنانه ··

يوهانيس : ان أسنانك تشبه أنياب الوحوش : صفراء داكنة ، ضخمة ، مخيفة ·

بعل : والحب يشبه ترك الذراع العارية تسبح فى ماء البركة ، بينما تتخلل الأصابع نباتات الماء ، ويشبه عذاب الشجرة السكرى التى تبدأ غناءها الخشن حين تركض فوقها الريح الوحشية ، وعب الخمر فى يوم حار عندما ينفذ جسد الأنثى كالنبيذ الرطب المنعش فى كل

---

(١) هكذا هو التعبير الأصلى ، وقد أبقيت عليه لطرافته ولم أشأ التصرف فيه ·

ثنيات الجلد وتحس المفاصل ناعمة كالنباتات التى تداعبها نسمات الريح ، والمقاومة تتهاوى كما يتطاير الذباب فى وجه العاصفة ، وجسـدها يتمرغ فوقك كالحصى الرطب . لكن الحب يشـبه كذلك جوزة الهند التى تظل طيبة ما بقيت طازجة ، والتى تجد نفسك مضطرا الى بصقها بعد أن تعتصرها ولا يبقى منها الا اللحم المر ..
(يطرح القيثارة بعيدا عنه) أما الآن فقد شبعت من الغناء ..

يوهانيس : من رأيك أن أفعلها ، ما دامت ممتعة الى هذا الحد ؟ ..

يعل : رأيى أن تحترس من ذلك يا يوهانيس ! ..

حـانة

(بعل .. سائقون ـ اكارت ـ صديق بعل الشـاب ـ يجلس الى الخلف مع خادمة الحانة لويزة . ترى سحب بيضاء من خلال النافذة ـ الوقت ضحى .)

بعل : (وهو يحكي للسائقين) طردني من بيته الفخم (١) لأنني بصقت الخمر التي شربتها عنده .. ولكن زوجته جرت ورائي ، وفي المسـاء كانت ليلة حمراء . انها الآن تجثم على أنفاسي وقد شبعت منها .

سائقون : لا ينفع معها الا الضرب (٢) . المرأة شرهة كالمهرة ، ولكنها أغبى . يجب أن تذيقها المر (٣) . انني أضرب امرأتي دائما حتى يزرق جلدها (٤) .

يوهانيس : (يدخل مع صديقته يوهانا) هذه هي يوهانا .

بعل : (للسائقين الذين يتحركون الى الخلف) سأحضر اليكم وأغني . صباح الخير يا يوهانا ..

يوهانا : يوهانيس قرأ علي بعض أغانيك .

بعل : صحيح ؟ كم تبلغين من العمر اذن ؟

يوهانيس : أتممت في شهر يونية الماضي سبع عشرة سنة .

يوهانا : انني أغار منك . فهو متحمس لك دائما .

بعل : وأنت مغرمة به . نحن الآن في الربيع . اني أنتظر اميليا ـ الحب أفضل من المتعة

يوهانيس : أفهم أن تميـل اليـك قلوب الرجال ، ولكن ما سر نجـاحك مع النساء ؟

اميليا : (تدخل مسرعة) ..

---

(١) حرفيا : من غرفه البيضاء ، وقد تصرفت فيه خشية ألا يفهم المعنى .

(٢ و ٣ و٤) لجأت هنا وفي مواضع أخرى قليلة الى شيء من التصرف للتخفيف من لغة الأصل النابية .

بعل : ها هي ذي ·· صباح الخير يا اميليا ·· يوهانيس أحضر عروسه معه ·· اجلسي ·

اميليا : كيف تعطيني موعدا هنا ·· في هذه الحانة الرخيصة ، وسط هؤلاء الرعاع ·· ولكن هذا هو ذوقك ·

بعل : لويزه ·· ويسكي للمدام ·

اميليا : أتريد أن تضحك الناس علي ؟

بعل : لا ·· بل ستشربين ·· الانسان دائما هو الانسان ·

اميليا : ولكنك لست انسانا ·

بعل : هذا ما تعرفينه · (يمد يده بالكأس للويزه) لا تكوني بخيلة يا عذراء (يطوقها بذراعه) أنت طرية اليوم كالبرقوقة ·

اميليا : وأنت اليوم معدوم الذوق ·

بعل : ارفعي صوتك قليلا يا حبيبتي ·

يوهانيس : ومع هذا فالجو هنا لطيف ·· الشعب البسيط ·· أنظر اليه كيف يشرب ويمزح ·· ثم السحب التي تبدو من النافذة ·

اميليا : هل شدك أنت أيضا لأول مرة الى هنا ؟ الى السحب البيضاء ؟

يوهانا : أليس الأفضل أن نتمشى على ضفاف النهر يا يوهانيس ؟

بعل : النهر ؟ ليس هناك شيء ·· لا تتحركوا ·· (يشرب) السماء تبدو بنفسجية ، خصوصا حين يسكر الانسان ·· السرير على العكس أبيض ·· في البداية ·· الحب يجمع بين السماء والأرض ·· (يشرب) ما هذا الجبن ان السماء مفتوحة الأبواب ، أنتم أيها الأشباح الصغار ·· مزدحمة بالأجساد ·· شاحبة من الحب ··

اميليا : ها أنت ذا قد أسرفت في الشرب من جديد ، والآن تهذي بكلام فارغ ·· وبهذا الهذيان البديع يشد الضحايا الى طوالته (١) ·

بعل : والسماء (يشرب) تكون أحيانا صفراء تحوم فيها طيور جارحة ·· يجب أن تسكروا (ينظر تحت المائدة) من الذي يحك رجله في بطن ساقي ؟ أنت يا لويزه ؟ آه ·· أنت يا اميليا ·· لا بأس ·· اشربي ·

---

(١) محدثة وافق عليها المجمع لشيوعها في اللهجة العامية ، وهي مذود البهائم ·

اميليا : (وهى تحاول النهوض) لا أدرى ماذا جرى لك اليوم ٠٠ ربما أخطأت بالحضور الى هنا ٠

بعل : ألم تدركى هذا الا الآن ؟ يمكنك أن تبقى فى هدوء ٠

يوهانا : حرام عليك يا سيد بعل ٠

بعل : قلبك طيب يا يوهانا ٠٠ انك لا تخونين زوجك ٠٠ أليس كذلك ؟

سائق : (بصوت مجلجل) يا خنزير ٠٠ كسبت اللعبة ٠

سائق ثان : استمر ٠٠ هكذا قالت البغى ٠٠ نحن فى القمة ٠٠ (ضحك) عليك بالضرب ٠

سائق ثالث : أخجل من خيانتك ٠٠ هكذا قالت المرأة للخادم ، الذى رآته راقدا مع الخادمة ٠ (ضحك)

يوهانيس : (لبعل) لأجل يوهانا فقط ، فهى لا تزال طفلة ٠

يوهانا : (لاميليا) هل تحبين أن تأتى معى ؟ سننصرف سويا ٠

اميليا : (تنشج ورأسها على المائدة) اننى أخجل الآن من نفسى ٠

يوهانا : (تطوقها بذراعها) أنا أفهم حالتك تماما ٠٠ لا تحزنى ٠

اميليا : لا تنظرى الى هكذا ٠٠ لا زلت صغيرة ٠٠ أنت لا تفهمين شيئا ٠

بعل : (يقف متجهما) مهزلة ٠٠ الأختان فى هاديس (١) ٠

(يتجه الى السائقين ، يتنـاول القيثـارة من على الحائط ويضبط أوتارها) ٠

يوهانا : لقد سكر يا سيدتى ٠٠ وغدا سيندم على ما فعل ٠

اميليا : ليتك تعلمين ٠٠ انه لا يتغير ٠٠ وأنا أحبه ٠

بعل : (يغنى) قال لى أورجه :

أحب مكان فى الأرض الى نفسه
ليس بمتكأ العشب على قبر أبويه ٠

ليس بكرسى اعتراف ، ولا فراش عاهرة
ولا هو حجر ناعم ، أبيض ودافىء وسمين ٠

قال لى أورجه : أحب مكان الى نفسى
كان دائما هو المرحاض ٠

---

(١) هاديس : اله الجحيم فى الأساطير اليونانية ، يقابل بلوتو عند الرومان وقد يدل كذلك على الجحيم ٠

فهو مكان يغتبط فيه الانسان
لأن النجوم من فوقه ، ومن تحته الأقذار ٠
انه مكان رائع وكفي ، ففيه يستطيع الانسان
أن ينفرد بنفسه حتى فى ليلة الزفاف ٠
مكان يتواضع فيه المرء ، فهناك تعرف على اليقين
أنك مجرد انسان ، لا يحق له أن يحتفظ بشيء حقير ولا ثمين ٠٠
مكان تسكنه الحكمة ٠٠ فهناك يمكنك بغير قيود
أن تهييء كرشك للمتع واللذات من جديد ٠
وهناك تريح جسمك فى سرور ونعيم
وتجاهد لتخدم نفسك بعزيمة وتصميم ٠
بيد أنك ستعرف نفسك هناك وتقول :
أنا فى المرحاض ولد نهم وآكول !

السائقون : (يصفقون) برافو ٠٠ أغنية ظريفة ٠٠ كأس براندى للسيد بعل ، اذا تفضل بقبوله ٠٠ وهو الذى ألفها بنفسه ـ تحياتى واحترامى ٠

لويزه : (فى وسط الحجرة) أنت رجل بحق ، يا سيد بعل ٠

سائق : فى امكانك أن تخدم نفسك وتعيش فى نعيم ٠٠ يمكنك أن تعمل شيالا (١) ٠

السائق الثانى : الواحد يتمنى هذا الدماغ ٠

بعل : أرح نفسك ولا تسرح فى الخيال ٠٠ ليس الدماغ هو كل شيء ٠٠ فى صحتك يا لويزه ٠٠ (يعود الى مائدته) فى صحتك يا اميليا ٠٠ اشربى على الأقل ، ما دمت لا تحسنين شيئا آخر ٠٠ قلت لك اشربى ٠

اميليا : (تشرب والدموع فى عينيها)

بعل : عظيم ٠٠ ليدخل على الأقل شيء من النار فى جوفك ٠

اكارت : (ينهض ويسير ببطء متجها الى بعل ٠٠ وهو فتى نحيل قوى البنية) بعل ٠٠ دعك من هذا ٠٠ تعال معى يا أخى ٠٠ الى الشوارع المفروشة بالحصى ٠٠

---

(١) من شاله شيلا أى رفعه (مولدة) وهو الحمال فى اللهجة المصرية ، والمراد هو الحمال الذى يعمل فى نقل الأثاث ٠

في المساء يصبح الهواء بنفسجيا ·· الى الحانات المزدحمة بالسكارى في الأنهار السوداء تسقط نساء حملن منك ·· الى الكنائس العامرة بالنســاء البيض الصغيرات ·· تقول : هل يستطيع الانســان أن يتنفس هنا ؟ فلنذهب الى حظائر البقر حيث ننام وسط البهائم ·· انها مظلمة لا تسمع فيها غير خوار الأبقار ·· ولنمض الى الغابات حيث يتردد الدوى في الأفق وينسى الانسان نور السماء ·· نسى الله الانســـان ·· ألا زلت تذكر منظـر السماء ؟ لقـد أصبحت مغنيا (١) (يفتح ذراعيه) تعال معى يا أخى ·· للرقص والشرب والموسيقى ·· المطر يسقط على جلدنا ·· الظلام والنور ·· النساء والكلاب ·· هل فسدت الى هذا الحد ؟

بعل : لويزه ·· لويزه ·· أين كأسى ؟ لا تتركينى مع هـــذا ·· أغيثـــونى يا أولاد ·

يوهانيس : قاوم الاغراء ·

بعل : يا بجعتى الحلوة ·

يوهانيس : فكر فى أمك وفنك ·· كن قويا ·· (لاكارت) اخجل من نفسك ·· أنت الشيطان نفسه ·

اكارت : بعل ·· تعال يا أخى ·· سنرفرف كحمامتين بيضاوتين تحت السماء الزرقاء ·· الأنهار فى نور الفجر ·· المروج الالهية فى الريح ·· وعطر الحقول الفسيحة اللامتناهية قبل أن يخربها الانسان ·

يوهانا : لا تضعف يا سيد بعل ··

اميليا : (تلتصق به) حذار أن تذهب معه ·· أتسمعنى ؟ خسارة أن تفعل هذا بنفسك ؟

بعل : لا يزال الوقت مبكرا يا اكارت ·· هناك طريق آخر ·· لن ترافقنى يا أخى ·

اكارت : فلتذهب للجحيم ، أيها الأبله ذو القلب السمين ·
(ينصرف)

السائقون : ارم بياضك (٢) ، عليك اللعنة ·· ادفع الحساب ·· كفى ··

يوهانا : انتصرت فى هذه المرة يا سيد بعل ··

---

(١) حرفيا : من طبقة التينور وهو أعلى أصوات الرجال فى الغناء الأوبرالى ·

(٢) معناها فى اللهجة المصرية أبرز نقودك ·

بعل : غرقت الآن فى عرقى ‥ هل أنت حرة اليوم يا لويزه ؟ ‥

اميليا : لا يصح أن تتحدث بهذه الطريقة يا بعل ‥ أنت لا تدرى كم تؤذينى بهذا الكلام ·

لويزه : أترك المدام يا سيد بعل ‥ حتى الطفل الصغير يرى أنها ليست على ما يرام ‥

بعل : اسكتى يا لويزه ‥ هورجاور ·

سائق : ماذا تريد منى ؟

بعل : هنا سيدة أسيئت معاملتها وتطلب الحب ‥ أعطها قبلة يا هورجاور ·

يوهانيس : بعل · (يوهانا تضم اميليا الى صدرها) ‥

سائقون : (يضربون بأيديهم على المائدة وهم يضحكون) أعد يا أندرياس ‥ أمسكها ‥ صنف ممتاز ‥ تمخط أولا يا أندرياس ‥ أنت بهيم يا سيد بعل ‥

بعل : هل أنت باردة يا اميليا ؟ أتحبيننى ؟ انه خجول يا « امى » ‥ قبليه أنت ‥ اذا لم تشرفينى أمام الناس فسيكون ماتياس آخر واحد ‥ واحد ‥ اثنان ·
(السائق يميل عليها)

اميليا : (ترفع اليه وجهها الغارق فى الدموع ‥ هورجاور يقبلها قبلة مدوية ‥ ضحكات عالية) ·

يوهانيس : هذا ظلم يا بعل ‥ ان الشرب يجعله يسىء للناس ، ولكنه يسترد نفسه اذا أفاق ‥ انه قوى جدا ‥

السائقون : برافو ‥ مالها هى والحانات ‥ هكذا الرجولة ‥ انها خائنة ‥ هذا جزاؤها ‥ (يتهيأون للانصراف) الضرب هو علاجها ·

يوهانا : أف ‥ اخجل من نفسك ·

بعل : (ملتصقا بها) ما الذى يجعل ركبتيك ترتعشان يا يوهانا ؟

يوهانيس : ماذا تريد ؟

بعل : (يضع يده على كتفه) عليك أنت أيضا أن تنظم الشعر ‥ عندما تكون الحياة مواتية ، وينزلق المرء على سطح تيار جارف وهو ملقى على ظهره وتبدو السماء لعينيه بنفسجية ثم سوداء أشبه بجحر ‥ أو عندما يسحق الانسان عدوه ‥ أو يحول أحزانه الى أنغام ‥ أو

يلتهم تفاحة وهو ينشج باكيا من خيبته فى الحب ·· أو يلوى جسد امرأة على الفراش ··

يوهانيس : (يدفع يوهانا أمامه ويخرج فى صمت)

بعل : (مستندا الى المائدة) فهمتم اللعبة ؟ هل نفذت فى جلدكم ؟ هـذا هو السيرك ·· يجب أن يتعلم الانسان كيف يغرى الحيوان بالخروج من جحره ·· الى الشمس مع الحيوان ·· الحساب ·· الى ضوء النهار مع الحب ·· عراة ·· فى الشمس تحت قبة السماء ·

صاتقون : (يصافحونه ويهزون يده مهنئين) تحياتى يا سيد بعل ·· خادمكم المطيع يا سيد بعل ــ اسمع يا سيد بعل ·· أنا من ناحيتى حسبت المسألة : قلت لابد أن دماغ السيد بعل فيها عفاريت ·· أقصـد الأغانى وخلافه ·· المهم أن قلبك فى مكانه الصحيح ــ يجب أن يعامل الانسان صنف النساء المعاملة التى يستحقها ــ تصبح على خير يا بهلوان (١) ··

بعل : تصبحوا على خير يا أحبابى ·· (فى هذه الأثناء تكون اميليا قد ألقت بنفسها على الأريكة وراحت تنشج باكية ·· يمسح بعل بظهر يده على جبهتها) ·· امى ·· يمكنك الآن أن تهدئى ·· انتهت الحكاية ·· (يرفع وجهها ، ويزيح شعرها المنسدل على وجهها المبتل بالدموع) انسى ما حدث ·· (يلقى بنفسه عليها ويقبلها) ··

---

(١) حرفيا : يا سيد سيرك ، وقد حذفت عبارة نابية جاءت قبلها ·

غرفة بعل على السطوح

١

« فى الفجر . بعل ويوهانا جالسان على حافة الفراش » .

يوهانا : آه .. ماذا فعلت ؟ انى سيئة .

بعل : الأفضل أن تغتسلى .

يوهانا : لا أتصور كيف حدث هذا .

بعل : يوهانيس هو المسئول .. يجرك الى هنا ثم يهرب كالصفيق حين يلاحظ أن ساقيك ترتعشان .

يوهانا : (تقف ، بصوت خافت) واذا رجع ....

بعل : رجعنا للكلام فى الأدب .. (يميل للوراء) مطلع الفجر على جبل أرارات (١) .

يوهانا : هل أقوم ؟

بعل : بعد الطوفان .

يوهانا : ألا تحب أن نفتح النافذة ؟

بعل : بل أحب الرائحة .

يوهانا : كيف تصل بك الحقارة الى هذا الحد ؟

بعل : (فى كسل) بعل يطلق أفكاره لترفرف كالحمام فوق المياه السوداء . بعد أن طهره الطوفان ونقاه .

يوهانا : لن أستطيع وأنا فى هذه الحالة ..

بعل : ما الذى لا تستطيعينه يا حبيبتى ؟

يوهانا : أن أعود للبيت .... (بعل يرتدى ملابسه) .

---

(١) مجموعة جبال بركانية تقع فى شرق تركيا (أرمينيا) ، وقد جاء فى العهد القديم ان سفينة نوح كانت موجودة بها .

بعل : (يصفر) أنت متوحشة ·· أشعر أن عظـامى كلها مفككة ·· أعطنى قبلة ·

يوهانا : (فى وسط الحجرة ، مستندة للمائدة) قل كلمة (بعل يسكت) هل ما زلت تحبنى ؟ تكلم · (بعل يصفر) ألا يمكنك أن تنطق بها ؟

بعل : (ينظر لغطاء السرير) لقد شبعت وسئمت ·

يوهانا : وما فعلناه الليلة ؟ والليالى التى قبلها ؟

بعل : يوهانيس غبى ويمكن أن يثير الدنيا ويقلبها ·· اميليا تلف وتدور حول البيت كالمركب الشراعى الواقف فى الميناء ·· وأنا ·· من الممكن أن أموت هنا من الجوع فلا تحرك احداكن أصبعها من أجلى ·· شىء واحد هو الذى تطلبنه دائما ·

يوهانا : (تنظف المائدة وترتبها وهى مضطربة) وأنت ·· ألم تحس نحـوى بشىء آخر أبدا ؟

بعل : هل اغتسلت ؟ لا داعى للصراحة ·· ألم تتمتعى أنت أيضا ؟ هيا أسرعى لتعودى للبيت ·· يمكنك أن تقولى ليوهانيس اننى أوصلتك أمس للبيت وأننى ساخط ومغتاظ منه ·· لقد سقط المطر (يلف نفسه فى الأغطية) ··

يوهانا : يوهانيس ؟ (تتجه الى الباب بخطى ثقيلة ·· تنصرف)

بعل : (يستدير فجأة ثم ينهض من الفراش) يوهانا ·· (يسرع الى الباب) يوهانا ·· (يطل من النافذة) ها هى ذى تجرى ·· ها هى ذى تسرع (يحاول أن يعود للفراش ولكنه يتناول مخدة ويقذف بها على الأرض ثم يطرح نفسه فوقها وهو يتأوه وينشج ·· ينتشر الظلام ·· يسمع صوت غناء شحاذ على الأرغن آتيا من الفناء ··)

مساء ·· بعل جالس الى المائدة

٢

بعل : (يضم زجاجة الحمر · يقول على فترات متقطعة) منذ أربعة أيام وأنا ألطخ الورق بالصيف الأحمر : وحشى أنا ، شاحب ، نهم ، وأصارع زجاجة الحمر ·· هنا جربت الهزائم ، لكن الأجساد أخذت تفر هاربة للجدران

في جنح الظلام ، في العتمة المصرية (١) . اننى أجعلها تلتصق بالجدران الخشبية ، ولكن يجب أن أمتنع عن الشراب (يهذى ويثرثر) الحمر البيضاء عصاى وعكازى .. منذ أن بدأ الثلج يذوب وهي تعكس أوراقى وقد ظلت عذراء لم تمس .. أما الآن فان يدى ترتعشان وكأنما الأجساد مختبئة فيها (ينصت) قلبي يخفق مثل حافر جواد راكض .. (يحلم) آه يا يوهانا .. ليلة أخرى في حوض مياهك كانت كفيلة بأن تجعلنى أتعفن بين الأسماك (٢) . لكن رائحة ليالى الربيع العذبة ما زالت تنبعث منى .. انى عاشق بلا معشوقة .. أنحدر وأسقط .. (يشرب .. يقوم من مكانه) لابد أن أخلع ملابسى .. ولكن فلأبحث أولا عن امرأة .. من المحزن أن يخلع الانسان ملابسه وحده .. (يطل من النافذة) أية امرأة لها وجه يشبه وجوه النساء ..

(ينصرف وهو يدندن بأغنية .. فى الشارع يسمع لحن ترستان لفاجنر) ..

يوهانيس : (يدخل من الباب شاحبا منهارا .. يقلب فى الأوراق الموضوعة على المائدة .. يرفع الزجاجة .. يتجه للباب فى خجل وينتظر هناك .. ضجة على السلم .. صفير) ..

بعل : (يجر صوفى بارجر الى داخل الحجرة) كونى لطيفة يا حبيبتى .. هذه هى حجرتى (يجلسها .. يلمح يوهانيس) ماذا تفعل هنا ؟

يوهانيس : كنت أريد ..

بعل : تريد ؟ ماذا تريد ؟ لماذا تلف هنا وتدور ؟ شاهد قبر على يوهانا الراحلة ؟ أم جثة يوهانيس القادم من عالم آخر ؟ سأطردك من هنا أخرج فى الحال .. (يلف حوله) هذه وقاحة .. سأكسر دماغك على الحائط .. هوب ..

يوهانيس : (ينظر اليه ثم ينصرف)

بعل : (يصفر)

صوفى : ماذا صنع لك الفتى ؟ دعنى أذهب .

بعل : (يفتح الباب على مصراعيه) اذا وصلت الدور الأول فاتجهى لليمين .

صوفى : كانوا يسيرون وراءنا عندما التقطتنى من أمام الباب .. سيجدوننى هنـا .

---

(١) تعبير يرجع للعهد القديم ويدل على الظلام المطبق الكالح السواد .
(٢) المقصود هو الاكواريوم أى الحوض الذى تربى فيه الأسماك والحيوانات المائية .

بعل : لن يجدك أحد ٠

صوفي : أنا لا أعرفك على الاطلاق ٠٠ ماذا تريد منى ؟

بعل : ما دمت تسألين هذا السؤال فيمكنك أن تذهبى ٠

صوفي : لقد هجمت على فى الطريق العام ٠٠ حسبتك من نوع الأورانج ٠٠ أوتان (١) ٠

بعل : لا تنسى أننا الآن في الربيع ٠٠ كان لابد من دخول شيء أبيض الى هذه الحجرة الملعونة ٠٠٠ سحابة ٠ (يفتح الباب ويتسمع) البلهاء ضلوا الطريق ٠

صوفي : سيطردوننى من البيت اذا رجعت متأخرة ٠

بعل : خصوصا بهذا المنظر ٠

صوفي : كيف ؟

بعل : منظر الذين أحبهم ٠

صوفي : لا أدرى لماذا بقيت عندك حتى الآن ٠٠

بعل : يمكننى أن أخبرك ٠

صوفي : أرجوك ، لا تسىء الظن بى ٠

بعل : ولم لا ؟ أنت امرأة ككل النساء ٠٠ قد تختلف الرؤوس أما السيقان فكلها ضعيفة ٠

صوفي : (تستعد للخروج ، وعندما تصل للباب تلتفت وراءها وتقول لبعل الذى ينظر اليها وهو جالس على كرسيه) الوداع ٠٠

بعل : (بغير اكتراث) نفسك مضطرب ؟؟

صوفي : لا أدرى ٠ أشعر باعياء شديد (تستند للحائط) ٠

بعل : أما أنا فأعرف ٠٠ ابريل هو السبب ٠٠ سيسود الظلام وتشمين رائحتى ٠٠ هكذا تفعل الحيوانات ٠٠ (يقف) والآن طرت في الهواء ، أيتها السحابة البيضاء ٠٠

(يندفع نحوها ٠٠ يغلق الباب بعنف ٠٠ يأخذها بين ذراعيه)

صوفي : (متقطعة الأنفاس) دعنى ٠

---

(١) تدل الكلمة فى اللغة الماليزية على « انسان الغابة » وهو من أهم أنواع القرده العليا التى تعرف بالقردة الانسانية ٠ يبلغ طوله ما بين ١ر٢٠ الى ١ر٥٠ مترا ويوجد فى غابات سومطره وبورينيو ٠

بعل : اسمى بعل ٠

صوفى : دعنى ٠

بعل : يجب أن تواسينى ٠٠ الشتاء أضعفنى ٠٠ وأنت تشبهين امرأة ٠

صوفى : (تتطلع الى وجهه) اسمك بعل ؟

بعل : ألا تحبين أن تعودى لبيتك ؟

صوفى : (تتطلع اليه) انك قبيح ٠٠ قبيح ٠٠ الى حد مخيف ٠٠٠ ولكن ٠٠٠

بعل : ولكن ٠٠

صوفى : لا يهم ٠٠

بعل : (يقبلها) هل ساقاك قويتان ؟

صوفى : هل تعرف اسمى اذن ؟ اننى صوفى بارجر ٠

بعل : انسى هذا ٠٠ (يقبلها) ٠

صوفى : لا ٠٠ لا ٠٠ أتعلم انه لم يسبق لأحد ٠٠٠٠

بعل : هل ما زلت عذراء ؟ تعالى ٠٠ (يسوقها للفراش فى الخلف يجلسان) ٠٠ أرأيت ؟ فى هذه الحجرة الخشبية تفجرت شلالات من الأجساد ٠٠ أما الآن فانى فى حاجة الى وجه ٠٠ سنخرج بالليل ٠٠ سنرقد تحت الأشجار أنت امرأة ٠٠ وأنا تلوثت ٠٠ يجب أن تحبينى ، لفترة محدودة ٠

صوفى : أهذا أنت ؟ أحبك ٠

بعل : (يضع رأسه على صدرها) السماء فوقنا ، ونحن وحدنا ٠

صوفى : ولكن يجب أن تظل هادئا ٠

بعل : كالطفل ٠

صوفى : (تنهض واقفة) لابد أن أرجع ٠٠ أمى فى البيت ٠٠

بعل : عجوز ؟

صوفى : فى السبعين ٠٠

بعل : اذن فهى متعودة على الأخبار السيئة ٠

صوفى : ليت الأرض تبتلعنى ٠٠ ليتهم ألقوا بى عند المساء فى مغارة لا أخرج منها أبدا ٠

بعل : أبدا ؟ (صمت) هل لك اخوة وأخوات ؟

صوفى : نعم ٠٠ وهم محتاجون الى ٠٠

بعل : الهواء فى الحجرة كاللبن ٠ (ينهض ويقف بجوار النافذة) العشب على ضفاف النهر مبتل ، وأعواده تنفث من المطر ٠٠ لابد أن فخذيك شاحبان ٠٠ (يضع يده عليها ٠٠ يعود الظلام ٠٠ من الفناء يسمع غناء شحاذ على أرغن) ٠٠

بيوت مطلية بالجير (*) ، تراكمت أمامها جذوع أشجار بنية
(دقات أجراس كئيبة ٠ بعل ٠ متشرد سكير شاحب الوجه)

بعل : (يدور فى نصف دائرة بخطى واسعة حول المتشرد الذى يجلس على حجر ويرفع وجهه للسماء) من الذى قذف بجثث الأشجار على الجدران ؟

المتشرد : الهواء الشاحب كالعاج حول جثث الأشجار : موكب جسد يسوع المقدس ٠٠

بعل : ولهذا تدق الأجراس عندما تموت الأشجار ٠٠

المتشرد : رنين الأجراس يرفع روحى المعنوية ٠

بعل : ألا تحزنك الأشجار ؟

المتشرد : جثث الأشجار ٠٠ (يشرب من زجاجة فى يده) ٠٠

بعل : ليست أجساد النساء أفضل منها ٠

المتشرد : وما الصلة بين أجساد النساء والمواكب الجنائزية ؟

بعل : هذا كلام خنازير ٠٠ أنت لا تعرف الحب ٠٠

المتشرد : جسد يسوع الأبيض : اننى أحبه ٠٠ (يناوله الزجاجة) ٠٠

بعل : (أكثر هدوءا) كتبت بعض الأغانى على الورق ٠٠ ولكننى سأعلقها الآن فى المرحاض ٠٠

المتشرد : (فى تجل وصفاء) العبادة والصلاة ٠٠ لسيدى يسوع المسيح ٠٠ انى أرى جسد يسوع الأبيض ٠٠ أرى جسد يسوع الأبيض ٠٠ يسوع أحب الشر ٠٠

بعل : (يشرب) مثلى ٠٠٠

المتشرد : أتعرف قصته مع الكلب الميت ؟ قال الناس : انه أصبح جثة عفنة ٠٠

(*) هو عيد تحتفل فيه الكنيسة الكاثوليكية بجسد المسيح المقدس وذلك بتنظيم مواكب جنائزية تسير فى الشوارع ويأتى فى يوم الخميس بعد عيد التثليث ٠

نادوا الشرطة والحراس ·· ان رائحته لا تحتمل ·· لكنه قال : ان أسنانه جميلة بيضاء ··

بعل : ربما دخلت الكنيسة الكاثوليكية ··

المتشرد : لكنه لم يدخلها ·· (يأخذ الزجاجة منه)

بعل : وما كنت لأقذف بأجساد النساء عرض الحائط كما فعل ··

المتشرد : ضرب بها عرض الحائط ·· ولكنها لم تسبح مع الأنهار ·· لقد ذبحت من أجله ·· من أجل جسد يسوع الأبيض ··

بعل : (يأخذ منه الزجاجة ·· يدير له ظهره) لقد أتخمت جسدك بالتقوى أو بالخمرة ·· (ينصرف ومعه الزجاجة) ··

المتشرد : (يصيح في جنون) ألا تريد أن تجاهد في سبيل مثلك ، يا سيد ؟ ألا تريد أن تنضم للموكب المقدس ·· أتحب النباتات ولا تفعل شيئا في سبيلها ؟

بعل : سأهبط الى النهر وأغتسل ·

أنا لا أكترث أبدا بالجثث ·· (ينصرف) ·

المتشرد : أما أنا فالخمرة في جوفي ·· انى لا أحتمل هـذا ·· لا أحتمل هـذه النباتات اللعينة الميتة ·· لو كان في جوفي المزيد من الخمر ·· فربما استطعت أن أحتملها ··

احدى ليالى الربيع تحت الأشجار

بعـل ـ صـوفى

بعل : (فى كسل) الآن انقطع المطر ·· لابد أن يكون العشب رطبا ····· لم يجر الماء فى أوراقنا ·· الزرع الأخضر يبلله القطر ، أما هـذه الجـذور فجافة ·· (بغضب) لم لا يستطيع الانسان أن يضاجع النباتات ؟

صوفى : اسمع ··

بعل : رفيف الريح الوحشية فى الأشجار السوداء الرطبة ·· أتسمعين قطرات المطر فوق الأوراق ؟

صوفى : أحس قطرة على رقبتى ·· آه ·· دعنى ··

بعل : الحب كالدوامة ، ينزع ثياب الانسان عن جسده ويدفنه عاريا مع جثث الأوراق ، بعد أن يرى السماء ٠

صوفى : ليتنى أختبىء فيك لأستر عريى يا بعل ٠٠

بعل : نشوان أنا ، وأنت تترنحين ٠٠ السماء سـوداء ونحن نهتز معـا فوق الأرجوحة ، بالحب فى أجسادنا والسماء السوداء فوق رءوسنا ٠٠ أحبـك ٠

صوفى : آه يا بعل ٠٠ أمى تبكى الآن على جثتى ٠٠ تحسب أننى غرقت فى الماء ٠٠ كم أسبوعا مضت الآن ؟ لم يكن الربيع قد جاء ٠٠ لعلها ثلاثة أسابيع ٠

بعل : مرت الآن ثلاثة أسابيع ٠٠ هكذا قالت الحبيبة المدفونة بين جذور الأشجار، وكانت قد مرت ثلاثون سنة ٠٠ وكانت هى أيضا قد أوشكت على التحلل والفساد ٠

صوفى : ما أجمل أن نرقد هكذا كالفريسة ، والسماء من فوقنا ، فنحس أننا لم نعد وحدنا ٠

بعل : الآن أنزع عنك ثيابك ٠

فى المقهى الليلى « سحابة فى الليل »

(مقهى صغير قذر « كاباريه » أشبه بحظيرة الخنازير ٠٠ حجرة ملابس جدرانها بيضاء ٠٠ الى الخلف على اليسار ستارة بنية غامقة ٠٠ الى اليمين باب خشبى أبيض يؤدى الى المراحيض ٠٠ باب للخلف على اليمين كلما فتح ظهر الليل الأزرق من ورائه ٠٠ يسـمع صوت مغنية من الكومبارس من المقهى فى الخلف) ٠

بعل : (يتجول فى المكان وهو يشرب ويدندن بأغنية ونصفه الأعلى عار) ٠

لوبو : (فتى سمين شاحب الوجه شعره أسود لامع مفروق من الوسط ، ينسدل على وجهه الشاحب المبتل بالعرق ، يقف موليا ظهره للجمهور عند الباب الأيمن) :

خفت ضوء المصباح من جديد ٠

بعل : الزبائن هنا كلهم خنازير ٠٠ أين الكونياك ؟

لوبو : شربته كله ٠

بعل : كن حذرا فى كلامك ..

لوبو : السيد ميورك يشبهك بالأسفنجة ..

بعل : أفهم من هذا أننى لن أحصل على كأسى ؟

لوبو : لا شرب قبل العرض .. هكذا قال السيد ميورك .. أنا آسف ..

ميورك : (من خلال الستارة) أسرع يا لوبو ..

بعل : ميورك .. لابد من الكونياك ، والا فلن أغنى :

ميورك : يجب عليك ألا تسرف فى الشرب ، حتى لا تجد نفسك عاجزا تماما عن الغناء .

بعل : ولماذا أغنى اذن ؟

ميورك : انت بجانب المغنية سافيتكا ألمع نمرة فى « سحابة الليل » .. أنا الذى اكتشفتك بنفسى .. متى وجدت مثل هذه الروح اللطيفة فى مثل هذا البرميل من الشحم واللحم ؟ الشحم واللحم هو سر نجاحك ، لا الشعر .. ان سكرك يخرب بيتى .

بعل : سئمت من الشجار المستمر كل ليلة على الكونياك المتفق عليه فى العقد .. سأذهب لحالى .

ميورك : البوليس فى صفى .. ارحم نفسك ونم ليلة واحدة .. انك تجر رجليك جرا .. اهرب بنفسك من هذه المرأة (*) .. (تصفيق فى المقهى) جاءت نمرتك .

بعل : سئمت ومللت ..

المغنية : (تخرج من وراء الستارة مع عازف البيان ، وهو رجل شاحب الوجه ثقيل الظل) انصراف ..

ميورك : (يضع سترة سوداء على كتفى بعل ، على الرغم من مقاومته) لا أحد عندنا يدخل المسرح نصف عار .

بعل : معتوه .. (يقذف السترة بعيدا ويتجه الى المسرح وهو يجرجر القيثارة الصغيرة وراءه)

المغنية : (تجلس وتشرب) انه لا يعمل الا لأجل حبيبته التى يعيش معها .. انه عبقرى ... لوبو يقلده بلا حياء .. انه يسطو على أنغامه ويتخذ له صديقة مثله .

(×) حرفيا : فرقع حبيبتك فى الهواء ..

عازف البيان : (مستندا بظهره الى باب المرحاض)
ان أغانيه سماوية ومع هذا فهو يتشاجر مع لوبو منذ احدى عشرة ليلة على كأس كونياك واحد ٠

المغنية : (تشرب) حياتنا كلها نكد ٠

بعل : (خلف الستارة)
انى صغير
قلبى غرير
وأود أحيا
فى سرور ٠٠
(تصفيق ٠٠ يستمر فى الغناء على ايقاع القيثارة)
فى الحجرة تسرى الريح
والطفل النهم الجائع
قد افترس البرقوق
واللحم العذب الرائع
أبقاه كى يتسلى
بحلاوته ويذوق
فى وقت جد مريح ٠٠
(تصفيق وهتافات استحسان فى المقهى ٠٠ يستمر بعل فى الغناء ويزداد الاضطراب كلما ازدادت الأغنية وقاحة ٠٠ وأخيرا تصل الضوضاء الى حد مخيف)

عازف البيان : اللعنة ٠٠ انه يغادر المسرح ٠٠ رجال الاسعاف ٠٠ ها هو ذا ميورك يحاول تهدئتهم ، ولكنهم ينقضون عليه ٠٠ لقد عرى التاريخ وقدمه لهم ٠

بعل : (يخرج من وراء الستار وهو يجرجر قيثارته)

ميورك : (وهو يتبعه) سأقطعك كالبصل أيها البهيم ٠٠ ستغنى نمرتك حسب العقد ٠٠ والا أبلغت البوليس ٠٠
(يرجع الى الصالة)

عازف البيان : أنت تخرب بيوتنا يا بعل ٠

بعل : (واضعا يده على رقبته ، يتجه لباب المرحاض على اليمين)

عازف البيان : (الذى لم يوسع له) الى أين ؟

بعل : (يزيحه بعيدا ·· يدخل من الباب ومعه القيثارة)

المغنية : أتأخذ القيثارة معك الى المرحاض ؟ أنت رائع !

زبائن من المقهى : (يطلون برءوسهم) أين الخنزير الكلب ؟ لابد أن يغنى ·· الاستراحة ممنوعة ·· هذا الخنزير الملعون ·· (يرجعون للصالة)

ميورك : (يدخل) خطبت فيهم كضباط جيش الخلاص ·· البوليس معنا ولكن الأولاد يطبلون ويهتفون ·· أين الوغد ؟لابد أن يظهر

عازف البيان : العرض انتقل للمراحيض · (تسمع صيحات آتية من الصالة) بعل ··

ميورك : (يدق الباب بعنف) أنت يا بعل ·· لا تمثل على ·· اننى أمنعك أن تغلق الباب على نفسك ·· فى الوقت الذى أدفع لك فيه من جيبى ·· العقد موجود ·· أنت يا نصاب (يدق بعنف أشد)

لوبو : (يظهر واقفا عند الباب الأيمن ·· يرى الليل الأزرق)
شباك المرحاض مفتوح ·· الصقر طار ·· لا شعر بلا شرب ··

ميورك : مفتوح ؟ طار ؟ من المراحيض ؟ المجرم المحتال ·· سأبلغ البوليس ·· (يندفع خارجا ·· هتافات من الصالة ·· **بعل ·· بعل ·· بعل**)

حقول خضراء ·· أشجار برقوق زرقاء

بعل ·· اكارت

بعل : (يقطع الحقول فى بطء)
منذ اخضرت السماء وحملت ، ومنذ هبت الريح وأنسام يوليه وأنا أمشى بالقميص على اللحم ·· (عائدا الى اكارت) جمجمتي نفختها الريح ·· الشعر الغزير تحت ابطى يفوح برائحة الحقول ·· الهواء يرتعش كأنه سكران ·

اكارت : (وهو يتبعه)
لماذا تجرى كالفيل بعيدا عن أشجار البرقوق ؟

بعل : ضع يدك على جمجمتى ·· انها تنتفخ مع كل نبضة عرق ثم تتكور كالفقاعة ·· ألا تحس هذا بيدك ؟

اكارت : لا ··

بعل : أنت لا تفهم سر روحى ·

اكارت : أليس الأفضل أن نستلقى فى الماء ؟

بعل : روحى يا أخى هى نحيب حقول القمح عندما تترنح فى مهب الريح ، وهى الشرارة التى تنطلق من عيون حشرتين تريد كل منهما أن تفترس الأخرى ·

اكارت : أنت ولد شهم ومعدتك تهضم الحديد ·· (١)
كتلة من الشحم واللحم ، ستترك آثارها على صفحة السماء ··

بعل : كلام جرائد ·· ولكن لا بأس ··

اكارت : جسدى خفيف كالبرقوقة الصغيرة على جناح الرياح ·

بعل : نسمات الصيف الشاحبة يا أخى هى السبب فى هذا ·· ألا تحب أن تنزلق على صفحة الماء الفاتر فى بركة زرقاء ؟ حتى لا تشدنا

الشوارع الريفية البيضاء كالجبال التى تجذبها الملائكة الى السماء ؟

حانة فى قرية ·· الوقت مساء

(بعل وحوله جماعة من الفلاحين ·· اكارت جالس وحده فى الركن) ··

بعل : جميل أن أراكم جميعا أمامى ·· غدا مساء يحضر أخى الى هنا ·· يجب أن تكون الثيران موجودة ·

فلاح : (بفم مفتوح) ما نوع الثور الذى يعجب أخاك ؟

بعل : أخى وحده هو الذى سيقرر هذا ·· لابد أن تكون ثيرانا جميلة ·· والا فلا فائدة ·· واحد كونياك ··

الفلاح الثانى : هل ستشترونه على الفور ؟

بعل : سنشترى أقواها ·

الفلاح الثالث : سنحضر الثيران من احدى عشرة قرية ، بالسعر الذى تدفعه ·

(١) حرفيا وباللهجة العامية المصرية : أنت جدع شهم مجنون بشهر يولية ولك أحشاء خالدة ··

الفلاح الأول : القى نظرة على ثورى ..

بعل : واحد كونياك ..

الفلاحون : ثورى هو أحسنها جميعا .. مساء غد ، اتفقتم على هذا ؟ (يتهيأون للانصراف) هل تبيتون الليلة هنا ؟

بعل : أجل .. (ينصرف الفلاحون)

اكارت : ما غرضك من هذا ؟ أجننت ؟

بعل : ألم يكن منظرهم بديعا وهم يطرفون بعيونهم ويحملقون فى دهشة ثم يفهمون اللعبة ويبدأون فى الحساب ؟

اكارت : أقل ما فيها أننا أفرغنا بعض الكئوس فى جوفنا أما الآن فيجب أن نهرب ..

بعل : نهرب ؟ هل جننت ؟

اكارت : أجل .. وهل أنت مخبول ؟ ماذا سنفعل بالثيران ؟

بعل : ولماذا احتلت عليهم اذن ؟

اكارت : طبعا لنشرب كأسين ؟

بعل : لا تخرف .. سأقيم لك حفلا يا اكارت (يفتح النافذة التى وراءه .. يحل الظلام .. يعود للجلوس) .

اكارت : سكرت من ست كئوس .. اخجل من نفسك ..

بعل : ستكون فرصة عظيمة .. اننى أحب هؤلاء البسطاء وسأقيم لك حفلة رائعة يا أخى .. فى صحتك ..

اكارت : انك تتسلى بالضحك على ذقون السذج .. سيكسر هؤلاء المساكين دماغى ودماغك .

بعل : وسيأخذون من هذا درسا لهم .. اننى أتخيلهم الآن فى هذا المساء الدافىء وأفكر فيهم بشىء من الحب والحنان .. أتصورهم قادمين للنصب والاحتيال بطريقتهم الساذجة وهذه الصورة تعجبنى ..

اكارت : (يقف) .. اسمع .. أنا أو الثيران .. سأذهب قبل أن يشم صاحب الحانة الرائحة ..

بعل : (متجهما) المساء دافىء جدا .. ابق معى ساعة أخرى .. وسنذهب بعد ذلك معا .. أنت تعلم أننى أحبك .. رائحة الروث تصل من

الحقول الى هنا ·· هل يمنحنا صاحب الحانة كأسا أخرى بعد أن عقدنا صفقة الثيران ؟

اكارت : أسمع وقع أقدام ··

القسيس : (يدخل) هل أنت المسئول عن حكاية الثيران ؟

بعل : نعـم أنا ··

القسيس : وما غرضك من هذا النصب والاحتيال ؟

بعل : نحن لا نملك فى هذا العالم شيئا ·· ما أقوى رائحة التبن والعلف ·· هل تشمونها كل ليلة ؟

القسيس : يظهر يا صاحبى أن عالمك بائس جدا ··

بعل : سمائى مملوءة بالأشجار والأجساد ··

القسيس : لا تتكلم عن السماء ·· ليس العالم سيركا تلعب فيه ·

بعل : وما هو العالم اذن ؟

القسيس : وفر هذا على نفسك ·· ليكن فى علمك أننى رجل حسن النية جدا ·· ولست أريد أيضا أن أسىء الظن بك ·· لقد صفيت المسألة ·

بعل : اكارت ·· العادل لا يعرف المزاح ··

القسيس : ألا ترى أن خطتك كانت فى غاية السذاجة (لاكارت) ماذا يريد الرجـل ؟

بعل : (مستندا الى الخلف) مساء ، فى ساعة الشفق ـ لابد بطبيعة الحال أن يكون ذلك مساء ، ولابد أن تكون السماء مغطاة بالسحب ، وعندما يفتر الهواء وتسرى أنفاس الريح ، تأتى الثيران ·· ان منظرها رائع وهى تتقدم من كل ناحية ·· هناك يقف المساكين ولا يدرون ماذا يصنعون بالثيران ويشعرون أنهم أخطأوا الحساب : ولكنهم يرون منظرا عجيبا · اننى أحب المخطئين فى الحساب ·· وأين يتاح للانسان أن يرى كل هذا العدد من الحيوانات ؟

القسيس : ولهذا أردت أن تزعج سبع قرى كاملة ؟

بعل : وماذا تساوى سبع قرى بجانب هذا المنظر ؟

القسيس : الآن فهمت ·· أنت انسان مسكين ·· ولهـذا تحب الثيران بوجه خاص ؟

بعل : تعال يا اكارت ·· لقد أفسد التاريخ ·· لم يعد المسيحى يحب الحيوانات·

القسيس : (يضحك ثم يقول بصوت جاد) .. اذن فقد خسرت هذا أيضا ..
اذهب ولا تلفت الأنظار اليك .. أعتقد انني قدمت لك خدمة كبيرة .

بعل : تعال يا اكارت .. حرمت من الحفل يا أخى ..

(ينصرف فى خطوات بطيئة مع اكارت)

القسيس : (لصاحب الحانة)
مساء الخير .. سأدفع حساب السادة ..

صاحب الحانة : (من وراء المائدة)
أحد عشر كأسا يا صاحب النيافة ..

أشجار فى المساء

(ستة او سبعة من قاطعى الأشجار يجلسون مستندين بظهورهم الى جذوع الأشجار ـ بعل ـ على العشب جثة ممددة) ..

قاطع أخشاب : كانت شجرة بلوط .. لم يمت على الفور .. بل ظل يتعذب .

قاطع الأخشاب الثانى : سمعته صباح اليوم يقول : يبدو أن الجو سيتحسن ..
أراد فكان له ما أراد : الخضرة مع قليل من المطر ، والخشب ليس شديد الخشونة .

قاطع الأخشاب الثالث : تيدى كان ولدا طيبا .. كان له فى الماضى دكان صغير فى مكان ما .. هناك عاش أسعد أيام حيـــاته .. فكان سمينا كالقسيس .. ولكن تجارته أفلست بسبب النساء فجاء الى هنا وفقد كرشه مع الزمن .

قاطع أخشاب آخر : ألم يرو شيئا عن مسألة النساء هذه ؟

قاطع الأخشاب الثالث : لا .. ولا أعلم شيئا عن عزمه على الرجوع الى هناك ..
لقد ادخرت كثيرا .. ولكن ربما كان ميله الى الاعتدال هو السبب فى هذا .. ليس ما نحكيه الآن سوى مجموعة من الأكاذيب ..
لعل حاله الآن أفضل بكثير .

قاطع أخشاب : منذ أسبوع سمعته يقول انه سيسافر فى الشتاء الى الشمال ..
يظهر أنه يملك كوخا هناك .. ألم يقل لك أين يقع هذا الكوخ ؟..
أنت يا فيل ؟ (لبعل) لقد تكلمتما عن هذا الموضوع .

بعل : اتركني في حالي ·· لا أعلم شيئا ·

قاطع الأخشاب السابق : تريد أن تحتله ·· أليس كذلك ؟

قاطع الأخشاب الثاني : الفيل لا يعتمد عليه ·· أتذكرون كيف تعمد في احدى الليالي أن يضع أحذيتنـــا في الماء فلم نستطع الذهاب للغاية ، لأنه كان كسلانا كعادته ؟

قاطع أخشاب آخر : انه لا يفعل شيئا من أجل المال ·

بعل : كفوا عن هذا الشجار ·· ألا يمكنكم أن تفكروا قليلا في تيدى المسكين ؟

قاطع أخشاب : أين كنت اذن عندما كان يحتضر ؟

(ينهض بعل من مكانه ويتخبط في سيره على العشب حتى يصل الى جثة تيدى ويقعد بجانبه) ·

قاطع أخشاب : بعل لا يمشي في خط مستقيم يا أولاد ··

قاطع أخشاب آخر : اتركوه ·· الفيل في غاية التأثر ··

قاطع الأخشاب الثالث : يمكنكم أن تهدأوا اليوم حقا ما دام هذا راقدا هناك ·

الآخـــر : أنت يا فيل ·· ماذا تفعل مع تيدى ؟

بعل : (يخاطب الجثة) هو في هدوء ، ونحن في اضطراب ·· وكلاهما خير ·· السماء سوداء ·· الأشجار ترتعش ·· السحب تنتفخ في مكان ما ·· هذا هو المنظر ·· يمكننا أن نأكل ·· وبعد النوم نستيقظ ·· أما هو فلا يستطيع ·· نحن ·· وكلا الأمرين خير ·

الآخـــر : ماذا تقول عن السماء ؟

بعل : السماء سوداء ·

الآخـــر : ليست قوتك في عقلك ·· والموت يصيب دائما من لا يستحقونه ·

بعل : أجل ·· هذه حكمة عالية ·· معك الحق يا عزيزى ·

قاطع أخشاب : بعل يصيبه الموت لانه لا يذهب أبدا الى حيث يعمل الناس ·

بعل : أما تيدى فكان نشيطا ·· تيدى كان كريما ·· تيدى كان ودودا وأنيسا ·· من هذا كله لم يبق سوى شيء واحد : تيدى كان ···

الثاني : أين هو الآن يا ترى ؟

بعل : (مشيرا الى الميت) ها هو ذا يرقد هناك ·

الثالث : أقول لنفسى دائما : الأرواح المسكينة ، تلك هي الريح ·· خصوصا في أمسيات الربيع ·· وكذلك في الشتاء ·· هذا ما أقوله لنفسى ·

بعل : وفى الصيف ·· فى وهج الشمس ·· فوق حقول القمح ·

الثالث : ليس هذا مناسبا لها ·· لابد أن يسود الظلام ·

بعل : لابد أن يسود الظلام ، يا تيدى ·

(صمت)

قاطع أخشاب : لمن نسلمه يا أولاد ؟

الثالث : ليس له أحد ·

الآخــر : كان يعيش لنفسه فى هذا العالم ·

قاطع أخشاب : وأشياؤه ؟

الثالث : ليست كثيرة ·· المال وضعه فى البنك ·· سيبقى هناك مهما طالت غيبته ·· أتدرى يا بعل ؟

بعل : انه لم يتعفن بعد ·

قاطع أخشاب : خطرت لى فكرة رائعة يا أولاد ·

الآخــر : هاتها ··

قاطع الأخشاب الذى خطرت له الفكرة : ليس الفيل وحده هو الذى تخطر الأفكار على باله يا أولاد ·· ما رأيكم فى أن نشرب كأسا فى صحة تيدى ؟

بعل : هذا شىء ينافى الأخلاق ·

الآخرون : كلام فارغ ·· ولكن ماذا نشرب ؟ ماء ؟ اخجل من نفسك يابنى ··

الرجل الذى خطرت له الفكرة : كونياك ··

بعل : أنا موافق على الفكرة ·· الكونياك لا ينافى الأخلاق ·· أى صنف ؟

الرجل الذى خطرت له الفكرة : كونياك تيدى ·

الآخرون : كونياك تيدى ؟ فكرة ·· الكوانت ·· تيدى كان مدبرا وحريصا ·· هذه فكرة موفقة من أحمق ··

الرجل : رائعة ·· بديعة ·· فلتة من أدمغتكم الغليظة ·· كونياك تيدى فى جنازة تيدى ·· فكرة سليمة ·· ومشرفة ·· ألم يلق أحدكم خطبة فى تأبين تيدى ؟ أليس هذا هو الواجب ؟

بعل : أنا ألقيتها ·

أصوات : متى ؟

بعل : من لحظات ·· قبل أن تبدأوا كلامكم الفارغ ·· كان مطلعها هو الآن يرقد في هدوء ·· انكم لا تنتبهون لشيء الا بعد فواته ··

الآخرون : يا أبله ·· لنحضر الكونياك ···

بعل : هذا عار ··

الآخرون : ولماذا ؟ أيها الفيل الضخم ؟

بعل : انه ملك تيدى ·· لا يجوز فتح البرميل الصغير ·· لتيدى زوجة وخمسة أطفال أيتام ·

قاطع أخشاب : أربعة ·· انهم أربعة فحسب ·

قاطع أخشاب آخر : الحقيقة تظهر الآن فجأة ··

بعل : أتريدون أن تحرموا أبناء تيدى الأيتام المساكين من كونياك أبيهم المسكين؟ أهذا من الدين ؟

الرجل السابق : أربعة ·· أربعة أيتام ··

بعل : تنهبون الكونياك من أفواه الأيتام الأربعة ؟

قاطع أخشاب : تيدى لم تكن له أسرة على الاطلاق ·

بعل : ولكن عنده أيتام يا اخواتى ، عنده أيتام ·

قاطع أخشاب آخر : هل تعتقدون بعد مضايقات هذا الفيل المعتوه أن أبناء تيدى الأيتام سيشربون كونياك تيدى ؟ حسن انه ملك تيدى ··

بعل : (يقاطعه) كان ملكه ··

الآخــر : ماذا تقصــد ؟

قاطع أخشاب : انه يخرف ·· ليس له عقل على الاطلاق ··

الآخــر : اسمعوا : لقد كان ملك تيدى ، ولذلك سندفع ثمنه · سندفعه بالمال ، المال الحلال يا أولاد ·· بهذا يستفيد الأيتام ··

الجميع : فكرة وجيهة ·· أفحمت الفيل ·· ان كان لا يريد أن يشرب فلابد انه مجنون ·· فلنتركه ونذهب لكونياك تيدى ··

بعل : (يناديهم) ارجعوا يا لصوص الجثث ·· (لتيدى) يا تيدى المسكين ·· والأشجار اليوم قوية ، والهواء طيب ورقيق ، وأنا أشعر أنى منتعش من الأعماق ، يا تيدى البائس ، ألا تحس بشيء يدغدغك ؟ لقد انتهيت تماما ·· اسمع هذا منى ، ستفوح رائحتك بعد قليل ، وستواصل الريح هبوبها ، ويسير كل شيء فى طريقه ، وكوخك

ــ لست أدرى أين هو ــ وكل ما تملكه سيسطو عليه الاحياء ، وقد تركت كل شيء وتريد الآن أن تستريح ٠٠ لم يكن جسدك قد فسد يا تيدى ، وهو الآن لم يفسد بعد ، انما أصابه بعض الأذى ، من جانب واحد ، ثم الساقان ــ ما كنت لتستطيع أن تفعل شيئا مع النساء ٠٠ (يرفع ساق الميت) والخلاصة أن جسدك كان فى امكانه أن يواصل الحياة ، بشيء من العزيمة يابنى ، أما روحك فكانت روحا نبيلة الى أبعد حد ، المسكن كان متداعيا ، والجرذان تفر من السفينة الغارقة ، لقد استسلمت لعادتك فحسب ، يا تيدى ٠

الآخرون : (يرجعون) ضبطناك يا فيل ٠٠ أين برميل البراندى الصغير الذى كان تحت سرير تيدى القديم ؟ أين كنت يا محترم عندما انشغلنا بتيدى لم يكن قد مات تماما يا حضرة ٠٠ أين كنت يا كلب يا خنزير ٠٠ أين كنت يا من تدنس حرمة الجثث وتزعم أنك تحمى أبناء تيدى الأيتام ؟ هه ؟

بعل : لم يثبت شيء يا أعزائى ٠٠

الآخرون : أين الكونياك اذن ؟ هل يتصور عقلك النجيب أن البرميل هو الذى شربه ؟ المسألة جد يابنى ٠٠ قف على رجليك ، قم ٠٠ امش أربع خطوات ثم انكر انك فى غاية التأثر ، وانك مخرب من الداخل والخارج ٠٠ أنت أيها الخنزير العجوز ٠٠ عليه يا أولاد ٠٠ ودغدغوه قليلا يا أولاد ، من لوث شرف تيدى المسكين ٠٠٠

(يوقفون بعل بالقوة)

بعل : يا عصابة الخنازير ٠٠ ابتعدوا عن تيدى ولا تدوسوا عليه ٠٠٠٠٠٠٠ (يجلس ويتناول ذراع الميت تحت ذراعه) سيقع تيدى على وجهه اذا أسأتم معاملتى ٠٠ أهذه هى الرحمة ؟ أهذه هى التقوى ؟ اننى أدافع عن نفسى ٠٠ أنتم سبعة ٠٠ سبعة ٠٠ ولم تشربوا ٠٠ وأنا بمفردى وقد شربت ٠٠ أهذا عدل ؟ أهذه معاملة ؟ سبعة ضد واحد ؟ هدءوا أنفسكم ٠٠ تيدى قد هدأ أيضا ٠٠

بعض قاطعى الأخشاب : (فى حزن وغضب) الوغد لا يقدس شيئا ــ ليرحم الله روحه السكيرة ــ انه أعتى المذنبين بين يدى الرحمن ٠٠

بعل : اجلسوا ٠٠ اننى لا أطيق ألاعيب القساوسة ٠٠ لابد من وجود أذكياء ضعاف العقول ٠٠ وهؤلاء هم أحسن العمال ٠٠ لقد رأيتم أننى أعمل بعقلى ٠٠ (يدخن) انكم يا أعزائى لم تشعروا أبدا بالخشوع الحقيقى ٠٠ وما الذى سيتحرك فيكم ، حتى ولو غيبتم الكونياك

الجيد فى بطونكم ؟ أما أنا فأبدع وأكتشف ·· افهموا هذا ·· لقد قلت لتبدى أشياء فى غاية الأهمية ·· (يجذب من جيبه أوراقا يتأملها) ولكنكم هرعتم الى الكونياك الحقير ·· اجلسوا ·· أنظروا للسماء التى تظلم الآن بين الأشجار ·· ألا يؤثر هذا عليكم ؟ هل نزعت التقوى من أجسادكم ··

كوخ

يسمع صوت المطر – بعل ·· اكارت

بعل : هذا هو نوم الشتاء فى الوحل الأسود الذى تغوص فيه أجسامنا البيضاء ·

اكارت : ألم تحضر اللحم الى الآن ؟

بعل : أما زلت مشغولا بقداسك ؟

اكارت : ما الذى يدعوك للتفكير فى قداسى ؟ أولى بك أن تفكر فى زوجتك ·· أين رميتها ·· فى المطر ؟

بعل : انها تلاحقنا كالمجنونة ، وتتعلق برقبتى ··

اكارت : أنت تسقط كل يوم ··

بعل : ولكن جسمى ثقيل جدا ··

اكارت : ألم يخطر ببالك انك يمكن أن تجوع وتعض فى العشب ؟

بعل : اذا لزم الأمر فسأقاتل ولو بالسكاكين ·· يمكننى أن أستغنى عن جلدى وأنكمش فى أصابع قدمى ·· اننى أسقط كما يسقط الثور على هذا العشب الطرى ·· أستطيع أن أزدرد الموت ولا أكترث بشىء ··

اكارت : منذ جئنا الى هنا وأنت تزداد سمنة ·

بعل : (يمد يده الى ما تحت ابطه الأيسر) ولكن قميصى اتسع ·· كلما سمنت زاد اتساعا · بل انه ليتسع لشخص آخر ·· بشرط ألا يكون سمينا ·· ولكن لماذا ترقد على جلدك الكسول وأنت بهذا الهزال ؟

اكارت : فى دماغى سماء شديدة الخضرة وشاهقة العلو ، تعبر بها الأفكار كما تعبر السحب الخفيفة فى الريح · ولكنها لا تعرف لها وجهة ·· كل هذا أحسه فى كيانى ·

بعل : هذا هو الهذيان ·· انك مدمن على شرب الخمر ·· أرأيت النتيجة ؟ ان الطبيعة تنتقم لنفسها ·

اكارت : كلما انتابنى الهذيان لاحظت أثره على وجهى ··

بعل : لك وجه تسرح فيه الرياح على هواها ·· محدب (ينظر اليه) ليس لك وجه على الاطلاق ·· لست شيئا على الاطلاق ·· أنت شفاف ·

اكارت : ان شغفى بالرياضيات يزداد كل يوم ·

بعل : لا أحد يعلم شيئا عن أسرار حياتك ·· لماذا لا تتكلم أبدا عن نفسك ؟

اكارت : لن تكون لى أسرار ·· خطوات من هذه ؟

بعل : سمعك قوى ·· فى أعماقك شىء تتعمد أن تخفيه ·· أنت شرير مثلى ·· شيطان ·· ولكنك سترى الجرذان ذات يوم ·· وستصبح عندئذ انسانا طيبا ·

صوفى : (بالبـــاب)

اكارت : انت يا صوفى ؟

بعل : ما الذى جاء بك الآن ؟

صوفى : هل تسمح لى بالدخول يا بعل ؟

سهل ·· سماء ·· مســاء

بعــل ·· اكارت ·· صوفى

صوفى : ركبى سقطت منى ·· لماذا تجرى كالمجنون ؟

بعل : لأنك تتعلقين برقبتى كحجر الطاحونة ·

اكارت : كيف تعاملها هذه المعاملة وهى حامل منك ؟

صوفى : أنا التى أردت هذا يا اكارت ·

بعل : هى نفسها التى أرادت هذا وهى الآن تجثم على نفسى ·

اكارت : هذه عيشة بهائم ·· اجلسى يا صوفى ·

صوفى : (تجلس بصعوبة) دعه ينصرف ·

اكارت : (لبعل) لو طردتها فى الشارع فسأبقى معها ·

اكارت : طردتني مرتين من فراش الحب ‥ لم تترك صديقاتي أي أثر عليك ‥ وفي كل مرة كنت تقتنصهن مني دون أن تكترث بحبي لهن ٠

بعل : بل بسبب حبك لهن ‥ لقد انتهكت حرمة الجثث مرتين ، لانك أردت أن تظل طاهرا ‥ انني لا أستغني عن هذا وما وجدت فيه لذة ، علم الله ٠

اكارت : (لصوفي) هل ما زلت تحبين هذا البهيم ؟

صوفي : ليس لي حيلة في هذا يا اكارت ‥ ما زلت أحب جثته ‥ ما زلت أحب قبضة يده ‥ ليس لي حيلة في هذا يا اكارت ٠

بعل : لا أريد أن أعرف ماذا فعلتما عندما كنت في السجن ٠

صوفي : وقفنا معا أمام السجن الأبيض وتطلعنا للزنزانة التي كنت فيها ٠

بعل : كنتما معا ٠

صوفي : اضربني ان شئت ٠

اكارت : (صائحا) ألم ترمها علي ؟

بعل : لكي لا أحرم منك ٠

اكارت : ليس لي جلدك ، جلد الفيل ‥

بعل : وهذا ما يعجبني فيك ‥

اكارت : حاول أن تسد فمك القذر ، في أثناء وجودها على الأقل ‥

بعل : يجب عليك أن تغور من وجهي ‥ لقد بدأت تتعلم اللؤم ‥ (يضع يده على رقبته) ‥ انها تغسل ملابسها القذرة بدموعك ‥ ألا ترى أنها تسير عارية بيننا ؟ انني صبور كالحمل ، ولكنني لا أستطيع الخروج من جلدي ٠

اكارت : (يقترب من صوفي ويكلمها)
ارجعي لأمك ‥

صوفي : لا أستطيع ٠

بعل : لا تستطيع يا اكارت ٠

صوفي : اضربني ان شئت يا بعل ‥ لن أطلب منك أن تمشي ببطء ‥ أنا لم أقصد هذا ‥ اسمح لي أن أسير معك ، ما دمت أستطيع السير على قدمي ، وسوف أرقد بين الأشجار ولن تضطر للالتفات الى ‥ لا تطردني يا بعل ٠٠٠

بعل : القى كرشك السمين هذا فى الماء ٠٠ انت السبب ٠

صوفي : أتريد أن تتركنى هنا ؟ لن يرضيك أن تتركنى هنا ٠٠ لا زلت تجهل كل شيء يا بعل ٠٠ ان كنت تقصد هذا فأنت طفل صغير ٠٠

بعل : شبعت منك ٠٠ شبعت ٠٠

صوفي : ولكن لا تتركنى بالليل ، لا تتركنى بالليل يا بعـل ٠٠ اننى أخاف الوحدة ٠٠ أخاف الظلام ٠

بعل : وأنت فى هذه الحالة ؟ لن يلمسك أحد ٠

صوفي : والليل ؟ ألا تقضيان الليلة هنا ؟

بعل : اذهبى لقاطعى الأخشاب عند النهر ٠٠ اليوم هو عيد القديس يوحنا ٠٠ سيكونون سكارى ٠

صوفي : ربع ساعة ٠٠

بعل : تعال يا اكارت ٠٠

صوفي : وأين أذهب ؟

بعل : الى السماء يا حبيبتى ٠٠

صوفي : وطفلى معى ؟

بعل : ادفنيه ٠٠

صوفي : أتمنى ألا تضطرك الأيام الى تذكر ما تقوله لى الآن ، تحت السماء الجميلة التى تعجبك ٠٠ هذا ما أتمناه وأصلى من أجله ٠

اكارت : سأبقى معك ٠٠ ثم أذهب بك الى أمك ، بشرط أن تقولى انك لن تحبى هذا البهيم بعد اليوم ٠

بعل : انها تحبنى ٠

صوفي : أحبـه (١) ٠

اكارت : ألا زلت واقفا أيها البهيم ٠٠ أليس لك ركبتان تركع عليهما ؟ هـل غرقت فى الخمرة أم فى الشعر ؟ أيها الحيوان المنحل ٠٠ أيها الحيوان المنحل ٠٠

بعل : يا أبله ٠٠٠ (اكارت يهجم عليه ٠٠ يتصارعان) ٠

صوفي : يا يسوع المسيح ٠٠ الوحوش ٠٠

---

(١) الضمير هنا يدل على معنى جنسى

اكارت : (وهو يصارعه) أتسمع ما تقوله فى الغابة بينما يظلم الليل الآن ؟ أيها الحيوان المنحل ·· أيها الحيوان الفاجر ··

بعل : (يتمكن منه ·· يشده اليه) أنت الآن على صدرى ·· أتشم رائحتى ؟ الآن أمسك بك (يتوقف عن مصارعته) الآن ترى النجوم فوق الأشجار ·

اكارت : (يحملق فى بعل الذى يتطلع للسماء) اننى عاجز عن ضربه ··

بعل : (يضع يده على كتفه) حل الظلام ·· يجب أن نبحث عن مكان نقضى فيه الليل ·· فى الغابة شقوق لا تنفذ اليها الريح ·· تعال ·· سأحكى لك عن الحيوانات ·· (يجره معه الى الخارج) ·

صوفى : (وحدها فى الظلام ·· تصرخ) بعل ···

قاعة من ألواح خشبية بنية اللون فى حانة رخيصة ·· ليل ·· ريح

(جوجو وبوليبول يجلسان الى المائدة · الشحاذ العجوز والشحاذة مايا ومعها الطفل الراقد فى الصندوق ·)

بوليبول : (يلعب الورق مع جوجو) فلوسى كلها راحت ·· فلنلعب على أرواحنا ··

الشحاذ : أختنا الريح تريد الدخول ·· لكننا لا نعرف أختنا الباردة ·· هاهاها ·

الطفل : (يبكى) ··

مايا : (الشحاذة) اسمعوا ·· شىء يطوف حول البيت ·· المهم ألا يكون وحشا ··

بوليبول : لماذا ؟ هل تحركت فيك الشهوة من جديد ؟ (طرق على الباب)

مايا : اسمعوا ·· لن أفتح الباب ··

الشحاذ : ستفتحينه ··

مايا : لا ·· لا ·· أيتها العذراء المحبوبة ·· لا ··

الشحاذ : افتحى ··

مايا : (تزحف الى الباب) من ؟

الطفل : (يبكى) ··

مايا : (تفتح الباب) ..

بعل : (يدخل مع اكارت وقد بللهما المطر) أهذه حانة المرضى ؟

مايا : نعـم .. ولكن ليس عندنا سرير خال .. (بلهجة أشد وقاحة) وأنا مريضـة .

بعل : معنا شمبانيا .. (اكارت يتجه الى الموقد)

بوليبول : تعال .. من يعرف قيمة الشمبانيا يستحق أن يجلس معنا

الشحاذ : يا بجعتى العزيزة .. الزبائن اليوم من الصنف الراقى .

بعل : (يتجه نحو المائدة .. يخرج من جيوبه زجاجتين) هـه ؟

الشحاذ : الأشباح ..

بوليبول : أنا أعرف من أين حصلت على الشمبانيا .. ولكنى لن أفضحك .

بعل : تعال يا اكارت .. هل عندكم أكواب ؟

مايا : كئوس ، يا سيدى ، كئوس .. (تحضر بعض الكئوس)

جوجو : يلزمنى كأس خاص .

بعل : (مرتابا) هل يسمحون لك بالشمبانيا ؟

جوجو : أرجوك .. (بعل يصب له كأسه)

بعل : ما المرض الذى عندك ؟

جوجو : التهاب رئوى .. شيء بسيط .. بلغم عادى .. مسألة تافهة .

بعل : (لبوليبول) وأنت ؟

بوليبول : قرحة فى المعدة .. لا ضرر منها .

بعل : (للشحاذ) عسى أن تكون مريضا بشيء ؟

الشحاذ : أنا مجنـون .

بعل : فى صحتك .. نحن معارف .. وأنا سليم ..

الشحاذ : عرفت رجلا كان يزعم أيضا انه سليم .. مجرد زعم .. كان يعيش أصلا فى الغابة ثم رجع اليها عندما احتاج أن يخلو الى نفسه .. وجد الغابة غريبة جدا ولا تكاد تربطه بها صلة .. وظل لعدة أيام يصعد الى القمم الموحشة فقد أراد أن يعرف الى أى حد يمكنه أن يعتمد على غيره أو يستقل بنفسه ، وهل ما زالت لديه القوة التى تعينه على التحمل .. ولكن لم يكن قد بقى منهـا الا القليل .. (يشرب) ..

بعل : (قلقا) هذه الريح ·· ولابد أن نرحل الليلة يا اكارت ·

الشحاذ : أجل ، الريح ·· وذات مساء ، ساعة الشفق ، عندما شعر أنه لم يعد وحيدا ، أخذ يسير وسط السكون الشامل بين الأشجار ، ثم وقف تحت شجرة منها كانت ضخمة جدا · (يشرب)

بوليبول : لابد أن القرد الأصلي الموجود فيه هو الذى فعل هذا ·

الشحاذ : نعم ·· لعله القرد ·· استند اليها ، والتصق بها ، وأحس بالحياة التى تجرى فيها ، أو تصور ذلك وقال : انت أعلى منى ، تقفين ثابتة فى مكانك وتعرفين الأرض لأنك تمتدين الى أعماقها ، وهى تحميك وترعاك ·· انى أستطيع أن أسـير وأتحرك أفضل منك ، ولكنى لا أقف ثابتا فى مكانى ، ولا أقدر أن أبلغ الأعماق ، ولا شىء يحمينى ويرعانى ·· ثم أننى أجهل كل شىء عن الهدوء العميق الذى يخيم على ذراك الساكنة الممتدة فى السماء غير المتناهية ·· (يشرب)

جوجو : وماذا قالت الشجرة ؟

الشحاذ : أجل ·· هبت الريح ·· سرت فيها رعشه احسها الرجل ·· هناك ألقى بنفسه على الأرض وطوق الجذور الوحشية الخشنة وبكى بكاء مرا · ولكنه فعل ذلك مع أشجار عديدة ·

اكارت : هل شفى من مرضه ؟

الشحاذ : لا ·· ولكنه مات ميتة أخف ·

مايا : لم أفهم شيئا ·

الشحاذ : ما من شىء يفهمه الانسان ولكنه قد يشعر بأشياء قليلة ·· القصص التى نفهمها هى دائما القصص الرديئة ·

بوليبول : هل تؤمنون بالله ؟

بعل : (بعد جهد مضن) لقد آمنت دائما بنفسى ·· ولكن التجديف ممكن ·

بوليبول : (يضحك ضحكة مدوية) بدأ مزاجى ينشرح ·· شامبانيا ·· حب ·· ريح ومطر ·· (يحاول أن يشد مايا)

مايا : ابتعد عنى ·· فمك كله عفن ··

بوليبول : وهل أنت سليمة ؟ (يضمها)

الشحاذ : احترسى ·· (لبوليبول) دماغى يلف من الشرب ·· واذا سكرت تماما فلن تستطيع أن تخرج اليوم فى المطر ··

جوجو : (لاكارت) كان أجمل منى ، ولذلك فاز بها ..

اكارت : وأين تفوقك العقلى ؟
أين شخصيتك الرفيعة ؟

جوجو : لم تكن كما تراها الآن .. كانت طاهرة .

اكارت : وماذا فعلت ؟

جوجو : خجلت من نفسى .

بوليبول : انصتوا .. الريح تلتمس الهدوء من الله ..

مايا : (تغنى) :

في الخارج تعوى الريح
نم يا ولدى ..
وهنا نلعب ونصيح
نم يا ولدى ..
نسكر والدفء مريح
نم يا ولدى ..

بعل : لمن هذا الطفل ؟

مايا : ابنتى ، يا سيدى .

الشحاذ : عذراء الآلام .. (١)

بعل : (يشرب) : كان هذا فى الماضى يا اكارت .. نعم وكان جميلا ..

اكارت : ماذا ؟

بوليبول : لقد نسى .

بعل : الماضى .. ما أغربها من كلمة ..

جوجو : (لاكارت) أجمل شىء هو العدم ..

بوليبول : هش .. سنسمع الآن نشيد جوجو ..
كيس الديدان يغنى ..

جوجو : أشبه برعشات النسيم فى أمسيات الصيف ، شمس .. ولكنه لا يرتعش .. لا شىء .. لا شىء أبدا .. كل شىء يتوقف فحسب .. تهب الريح ، فلا نشعر بالبرد .. يسقط المطر فلا نبتل .. تتردد النكات .. فلا نضحك .. نتعفن ، لا نحتاج للانتظار .. اضراب عام .

---

(١) فى الأصل باللاتينية .

الشحاذ : وهذه هى جنة الجحيم ..

جوجو : أجل .. هذه هى الجنة . ما من رغبة لم تتحقق .. لا يحس الانسان أنه يرغب فى شىء .. يتخلص من كل عاداته .. حتى الرغبات .. وهكذا يصبح حرا .

مايا : وفى النهاية .. ماذا يحدث ؟

جوجو : (يضحك فى شماتة) لا شىء .. لا شىء على الاطلاق .. ليست هناك نهاية .. العدم مستمر الى الأبد .

بوليبول : آمـــين .

بعل : (ينهض فجأة ويقول لاكارت) : اكارت .. قم .. لقد وقعنا فى أيدى قتلة .. (يضع ذراعيه على كتفى اكارت ويتشبث به) الدودة تنتفخ .. العفن يزحف علينا .. الديدان تغنى وتتباهى بنفسها .

اكارت : ما العمل معك ؟ هذه هى المرة الثانية .. هل الشرب وحده هو السبب؟

بعل : انهم يستعرضون أحشائى ويتفرجون عليهـــا .. ليس هذا حمـــام الطين (١) ..

اكارت : أقعد .. اشرب واملأ بطنك .. أدفىء نفسك ..

مايا : (تغنى وقد لعبت الخمر برأسها قليلا)

فى الصيف والشتاء
والثلج والمطـر
وكلما شربنا لم نعرف الكدر

بوليبول : (يطوق مايا ويدغدغها) نشيدك يدغدغنى دائما هكذا .. يا جوجو الصغير .. أليس كذلك يا مايا ؟

الطفل : يبـكى ..

بعل : (يشرب) من أنت ؟ (ثم فى غضب لجوجو) أنت دودة .. كيس ديدان .. هل تنبأ الأطباء بموتك ؟
فى صحتك .. (يجلس)

الشحاذ : خذ بالك يا بوليبول .. أنا لا أحتمل الشمبانيا كثيرا ..

مايا : (لبوليبول .. تغنى) ..
أغمض عينيك

---

(١) اشارة الى الخنازير التى تستمتع بالخوض فى الطين .

لا تفسد حلمك
الرؤية تؤذى
وتضاعف ألمك
فتعال ونم
كى تنسى همك

بعل : (فى وحشية) ان غصت فى النهر يوما
والفأر يقضم شعرك
تبقى السما فى بهاها
والنجمع يلمح فوقك ..
(يقف والكأس فى يده)

سوداء هى السماء .. ما الذى يفزعك ؟ (يدق على المائدة) لابد من الدوران مع الأرجوحة الى النهاية .. ما أروع هذا! .. (يترنح) أريد أن أكون فيلا ، يبول فى السيرك ان لم يعجبه شىء (يبدأ فى الرقص ويغنى) ..

أرقص مع الريح
يا ساكن الأكفان
وضاجعى السحبا
أيتها الأوثان (١) (يتجه للمائدة وهو يترنح)

اكارت : (ينهض وهو سكران) لن أمشى معك بعد اليوم .. أنا أيضا لى روح .. وأنت أفسدت روحى .. انك تفسد كل شىء .. وسأبدأ أيضا فى تلحين قداسى .

بعل : أحبك .. فى صحتك ..

اكارت : ولكنى لن أمشى معك .. (يجلس)

الشحاذ : (لبوليبول) أيها الخنزير .. ارفع يديك ..

مايا : وما شأنك أنت ؟

الشحاذ : أسكتى يا منحوسة ..

مايا : يا مجنون .. أنت تخرف ..

---

(١) حرفيا : ارقصى مع الريح ، أيتها الجثة المسكينة . ضاجع السحاب ، أيها الاله الفاجر ..

بوليبول : (بغل) غشاش ·· ليس مريضا على الاطلاق ·· الحكاية كلها غش في غش ··

الشحاذ : وأنت عندك سرطان ··

بوليبول : (في هدوء مخيف) أنا عندي سرطان ؟

الشحاذ : (في جبن) أنا لم أقصد شيئا ·· أترك البنت في حالها ··

مايا : (تضحك)

بعل : لم يبكي الطفل ؟ (يتعثر في خطواته نحو الصندوق في الخلف)

الشحاذ : (بحقد) ماذا تريد منه ؟

بعل : (ينحني على الصـندوق) لم تبكي ؟ ألم تر هـذا أبدا ؟ أم تبكي في كل مـرة ؟

الشحاذ : قلت لك ابتعد عنه ·· (يقذفه بالكأس)

مايا : (تقفز من مكانها) يا خنزير ··

بوليبول : انما أراد أن يرى عورته ·

بعل : (ينهض في بطء) آه يا خنازير ·· تجردت قلوبكم من الانسانية ·· اكارت ! هيا بنا نغتسل في النهر ··

(ينصرفان)

أيكة خضراء كثيفة الشجر ·· وراءها نهر

بعـل ·· اكارت

بعل : (يجلس على الأرض المغطاة بأوراق الشجر) الماء دافيء ونحن نرقد على الرمال كالكابوريا ·· ثم هذا الدغل وأغصانه الكثيفة ، وهذه السحب البيضاء في السماء ·· اكارت ··

اكارت : (الذي يختفي وراء الشجر) ماذا تريد ؟

بعل : أحبـك ··

اكارت : أشعر هنا بالراحة ··

بعل : هل لاحظت السحب التي عبرت الآن ؟

اكارت : نعم ·· انها وقحة ·· (صمت) من لحظات مرت من هناك امرأة ··

بعل : لم أعد أحب النساء ··

طريق ريفى ·· مراعى

ريح ·· ليل ·· اكارت نائم فوق العشب

بعل : (يضرب فى الحقول بثياب مفتوحة كأنه سكران أو كمن يسير فى نومه)
اكارت ·· اكارت ·· لقد وجدتها ·· استيقظ ·

اكارت : ماذا بك ؟ أعدت الى الكلام أثناء النوم ؟

بعل : (يجلس تجاهه) ها هى ذى (١)

لماذا غرقت وسبح جسدها
من الجداول الى الأنهار الكبيرة

بدت زرقة السماء رائعة الجمال
كأنها تبارك جثمانها ·

تشبثت بها الطحالب والأعشاب
فزادت ثقلها شيئا فشيئا

الأسماك الرطبة سبحت حول ساقها
والنباتات والحيوانات أبطأت رحلتها الأخيرة

وبالليل كانت السماء مظلمة كالدخان
والنور يرف بين النجوم

ولكن عندما طلع النهار أشرقت صفحتها
حتى يكون لها صباح ومساء

عندما فسد جسدها الشاحب فى الماء
حدث ــ ولكن على مهل ــ أن نسيها الله :

نسى فى البداية وجهها ، ثم يديها ، وأخيرا شعرها ·

هناك أصبحت جثة فى الأنهار بين جثث كثيرة ·

اكارت : هل عاد الشبح يطاردك ؟ انه ليس بأسوأ منك ·· كل ما هناك أن النوم طار ، والريح تعزف من جديد على أعواد المراعى الجافة · لم يبق اذن الا ثدى الفلسفة الأبيض ، والظلام ، والرطوبة التى تصحبنا الى نهايتنا المباركة ، بل لن يبقى من عجائز النساء الا نظرة ثانية ·

---

(١) تذكر هذه القصيدة فى طبعة أشعار برشت تحت عنوان « الفتاة الغريقة » كما يعرفها بعض النقاد باسم « اوفيليا » وهى الشخصية النقية البريئة فى مسرحية هاملت لشكسبير · ولا شك عندى أن برشت قد تأثر فيها بقصيدة رامبو المعروفة عن أوفيليا ، وحبه لرامبو أشهر من أن يذكر ــ ولعله كذلك قد تأثر بقصيدة أخرى للشاعر جورج هايم عن هذه المجنونة البائسة ··

بعل : هذه الريح تسكر فلا يحس الانسان حاجة للخمر .. انى أرى العالم فى نوز وديع (١) (يرقد على العشب) كل هذا جميل . (ريح)

اكارت : المراعى أشبه بالأسنان المتسوسة فى فم السماء الأسود .. سأبدأ العمل بعد قليل فى تلحين القداس .

بعل : هل فرغت من الرباعية .

اكارت : ومن أين لى الوقت الكافى ؟ (ريح)

بعل : ها هى ذى الفتاة الشاحبة ذات الشعر الأحمر ، انك تجرها وراءك أينما سرت .

اكارت : جسدها طرى أبيض ، وهى تأتى به فى ساعة الظهر الى المراعى .. والمراعى تتدلى فروعها كخصلات الشعر .. وهناك نتعانق كزوجين من السنجاب .

بعل : أهى أجمل منى ؟

(ظلام .. الريح تواصل عزفها وصفيرها)

أيكة من أشجار البندق

تتدلى فروع طويلة حمراء ، يجلس بعل وسطها وقت الظهيرة

بعل : الحمامة البيضاء .. سأروى عطشها (يتأمل المكان من حوله) من هنا تبدو السحب البديعة بين أعواد الأعشاب .. لو جاء فلن يجد أمامه الا الجلد .. اهدئى يا نفسى .

امرأة شابة : (حمراء الشعر ، ممتلئة ، شاحبة ، تظهر آتية من الدغل)

بعل : (لا يلتفت اليها) انت ؟

بعل : (يلحن قداسا من مقام اس مول) (٢)

المرأة : قل له انى كنت هنا ..

بعل : لقد افتضح أمره تماما .. انه يلوث نفسه(٣) (يرجع للحالة الحيوانية) اجلسى (ينظر حوله)

---

(١) صرفت النظر عن بعض السطور القليلة من هذا المشهد ، لما فيها من تجديف وشذوذ .

(٢) أو من مقام مى بى مول من الديوان الصغير .

(٣) يريد أن يرتكب العادة السرية .

المرأة : أفضل أن أبقى واقفة ٠

بعل : (يجذب اليه الفروع المتدلية وينهض واقفا) انه يكثر من أكل البيض في الأيام الأخيرة ٠

المرأة : أنا أحبه ٠

بعل : وما شأني بك ٠٠ (يمسك يدها)

المرأة : لا تلمسني ٠٠ قذارتك لا تحتمل ٠٠

بعل : (يرفع يده ببطء حتى يضع يده على رقبتها) أهذه رقبتك ؟ أتدرين كيف يخنقون الحمام والبط الوحشى فى الغابة ؟

المرأة : يا يسوع المسيح ٠٠ (تحاول التخلص منه) ابتعد عنى ٠٠

بعل : وأتركك لتقعى على الأرض ؟ ركبتاك ترتعشان ٠٠ انت فى حاجة للراحة ٠ الرجال هم الرجال ٠٠ أغلبهم فى هذا سواء ٠٠ (يضمها اليه)

المرأة : (مرتجفة)أرجوك ٠٠ دعنى ٠٠ أرجوك ٠٠

بعل : دجاجة وقحة ٠٠ تعالى ٠٠ لن تفلتى منى ٠٠
(يشدها من ذراعيها ويجرها الى الأيكة)

أشجار الدلب فى مهب الريح ٠٠ سماء تكسوها السحب

بعل واكارت يجلسان على جذوع الشجر

بعل : العطش شديد يا اكارت ٠٠ هل بقيت معك نقود ؟

اكارت : لا ٠٠ أنظر شجر الدلب فى الريح ٠

بعل : انه يرتعش ٠٠

اكارت : أين الفتاة التى جررتها وراءك فى الحانات ؟

بعل : كن سمكة مثلها واذهب للبحث عنها ٠

اكارت : أنت تفترس كثيرا يا بعل ٠٠ سوف تنفجر ٠

بعل : أتمنى أن أعيش حتى أسمع صوت الانفجار ٠

اكارت : ألا يحدث لك أحيانا أن تظل فى ماء أسود عميق لا يسبح فيه السمك ؟ لا تسقط أبدا فيه ٠٠ يجب أن تكون حذرا ٠٠ انك ثقيل جـدا يا بعل ٠٠

بعل : سأحذر شخصا آخر ·· لقد ألفت أغنية ·· أتحب أن تسمعها ؟
اكارت : اقرأها لأتعرف عليك ·

بعل : عنوانها « الموت فى الغابة » ··
ومات رجل فى الغابة الأزلية
ومن حوله تدوى العاصفة والأنهار
مات كحيوان تشبثت مخالبه بالجذور
تطلع لقمم الأشجار ، حيث كان زئير العاصفة فى الغابة
يعلو منذ أيام فوق كل الأصوات ··
ووقف بعض الرجال من حوله
وقالوا له لكى يهدئوا من روعه :
تعال يا رفيق ، سنحملك الآن الى وطنك ··
غير أنه رفسهم بركبتيه ·
بصق وقال : والى أين ؟
فلم يكن له وطن ولا أرض ·
كم عدد الأسنان التى بقيت فى فمك ؟
وما حالك الآن ، دعنا نرى ··
مت فى هدوء ولا تكن كسولا ··
بالأمس أكلنا حصانك العجوز
لم لا تريد أن تذهب للجحيم ؟

* * *

والغابة ارتفع صوتها حولهم وحوله
ورأوه وهو يتشبث بالشجرة
وسمعوه وهو يصرخ فيهم ويصيح
وأصابهم جزع لم يعهدوه
حتى كوروا قبضاتهم وهم يرتجفون
فقد كان ــ مثلهم ــ رجلا كبقية الرجال ·

* * *

قالوا له : عقيم أنت يا حيوان ، أجرب ومسعور ··
صديد أنت ، عفن ، أيها الصعلوك ··
الهواء تخطفه منا بجشعك الفظيع
أما هو ، هذا الورم الخبيث فقال :

أريد أن أعيش أن أشم شمسكم ..
وأركض فى النور كما تركضون ..

* * *

كانت كلمة لم يفهمها صديق
فوجموا من التقزز وأخذوا يرتعشون
الأرض شدت قبضتها على يده العارية
ومن بحر لبحر فى مهب الرياح تمتد اليابسة :
ويكتب على أن أرقدها هنا فى هدوء

* * *

أجل ، أن فيض حياته البائسة
قد غلب عليه بحيث استطاع
أن يضغط فى قشرة الأرض جثته ،
فى غبش الفجر سقط على العشب المظلم ميتا
وبقلوب يملؤها الحقد والاشمئزاز
دفنوه تحت الشجرة ، فى أعمق الجذور
وركبوا خيولهم وغادروا الدغل صامتين
ثم التفتوا للشجرة التى دفنوه تحتها
واستولت عليهم الدهشة والذهول
فقد أضاءت الشجرة هالة من النور
ورسموا على وجوههم الشابة علامة الصليب
وانطلقوا يركضون فى الشمس والمروج

* * *

اكارت : أجل .. أجل .. هكذا وصلت بك الحال .
بعل : كلما انتابنى الأرق ليلا تطلعت للنجوم .
اكارت : حقـــا ؟
بعل : (مرتابا) ولكنى لا أفعل هذا كثيرا .. حتى لا أضعف ..
اكارت : (بعد فترة) كتبت فى الأيام الأخيرة قصائد كثيرة .. ألم تجتمع بامرأة من مدة طويلة ؟
بعل : ولماذا تسأل هذا السؤال ؟
اكارت : خطر لى هذا .. قل لا ..
بعل : (يقف يمد ذراعيه ويتمطى ، يتطلع الى أعالى شجرة الالب (١) ويضحك)

---

(١) أو شجر القيقب أو الاسفندان .

حـــانه

(مساء . اكارت . الخادمة . فاتسمان . يوهانيس ممزق الثياب ، عليه سترة بالية مرفوعة الياقتين ، في حالة انهيار تام . الخادمة تشبه « صوفى » فى ملامح وجهها)

اكارت : مرت الآن ثمانية أعوام (يشربون .. صوت الريح)

يوهانيس : لا تبدأ الحياة الا فى الخامسة والعشرين .. هناك يسمن الأزواج وينجبون الأطفال (صمت) .

فاتسمان : ماتت أمه أمس .. وهو يدور على الناس ليجمع مصاريف الدفن . سيأتى بعد ذلك الى هنا .. عندئذ يمكننا أن ندفع الحساب .. صاحب الحانة رجل طيب .. انه يقرض فى مقابل جثة كانت أما . (يشرب)

يوهانيس : بعل ... لم تعد الريح تجرى فى شراعه ..

فاتسمان : (لاكارت) يظهر أنك تتحمل منه الكثير ؟

اكارت : من المستحيل أن تبصق فى وجهه .. انه يغطس دائما .

فاتسمان : (ليوهانيس) أيؤلمك هذا ؟ هل يشغل بالك ؟

يوهانيس : خسارة .. هذا رأيى .. (يشرب)
(صمت)

فاتسمان : ان منظره يثير التقزز كل يوم .

اكارت : لا تقل هذا الكلام فلا أحب أن أسمعه .. اننى أحبه ، ولا أغضب منه لأى سبب ، لانه أحبه .. انه طفل .

فاتسمان : انه لا يعمل الا عند الضرورة .. لانه فى غاية الكسل .

اكارت : (يدخل من الباب) الليل لطيف جدا والريح دافئة كاللبن .. أحب هذا كله .. يجب أن يمتنع الانسان عن الشرب .. أو لا يكثر منه (يعود الى المائدة) الليل لطيف جدا .. يمكننا من الآن ولمدة ثلاثة أسابيع أخرى فى الخريف أن نعيش براحتنا فى الشوارع .. (يجلس) .

فاتسمان : هل تنوى أن ترحل الليلة ؟ تريد أن تتخلص منه ؟ يجثم على نفسك ؟

يوهانيس : احترس فى كلامك ..

بعل : (يدخل ببطء من الباب) ..

فاتسمان : أهذا أنت يا بعل ؟

اكارت : (بقسوة) ماذا تريد الآن ؟

بعل : (يدخل ويجلس) الحانة تحولت الى جحر حقير .. (الخادمة تحضر الكونياك)

فاتسمان : لم يتغير هنا شيء .. الظاهر أنك أنت الذى تغيرت .. صرت من الأكابر .

بعل : أهذه أنت يا لويزه ؟

(صمت)

يوهانيس : أجل .. الجو هنا مريح ـ أنا مضطر أن أشرب .. أشرب كثيرا .. الشرب مقو ، يجعل الواحد يمشى الى الجحيم ولو على السكاكين فعلا .. ولكن بطريقة أخرى .. كما يخر المرء على ركبتيه .. سمعتم ؟ بحيث لا يشعر بشيء . أقصد بالسكاكين .. على فكرة .. فى الماضى لم تكن تخطر لى مثل هذه الأفكار ، هذه الأفكار العجيبة عندما كنت أعيش فى ظروف برجوازية طيبة .. أما الآن فقد بدأت هذه الأفكار تخطر على بالى بعد أن أصبحت عبقريا ..

اكارت : (منفجرا) أريد الآن أن أعود الى الغابات ، الى الفجر .. النور بين جذوع الأشجار بلون الليمون .. أريد أن أرجع للغابات الشامخة ..

يوهانيس : نعم .. انى لا أفهم هذا .. بعل .. يجب أن تسقينى واحدا على حسابك .. الجو هنا مريح للغاية .

بعل : واحـــد له ..

يوهانيس : لا داعى للأسماء .. نحن نعرف بعضنا .. صدقنى .. فى بعض الأحيان أحلم بالليل أحلاما فظيعة .. ولكن فى بعض الأحيان فقط .. أما الآن فأنا مستريح جدا . (يسمع صوت الريح) (يشربون)

فاتسمان : (يدندن)

هناك أشجار

لم نحصها عدا

وريفة الظل

عادية جدا ..

* * *

وتسعد الانسان
بالقلب والعقل
كالشنق فى الأغصان
والنوم فى الظل !

بعل : أين كان هذا ؟ فقد كان ذات يوم ٠

يوهانيس : انها لا تزال تسبح فى الأنهار ٠٠ لم يعثر عليها أحد حتى الآن ٠٠ تصوروا ٠٠ اننى أشعر أحيانا كأنها تسبح مع الخمرة التى أشربها وتغوص فى جوفى ، جثة صغيرة جدا ، شبه متعفنة ٠٠ ولم تكن قد تخطت السابعة عشرة ٠٠ الآن تتشبث الأعشاب والطحالب بشعرها الأخضر ٠٠ شيء يليق بها ٠٠ باهتة ومتورمة قليلا ٠٠ منتفخة بأوحال النهر العطنة ، سوداء تماما ٠٠ كانت طاهرة على الدوام ٠٠ لهذا غاصت فى النهر وتعفنت ٠

فاتسمان : ما هو الجسد ؟ انه يتحلل كالروح ٠٠ سادتى ، لقد سكرت تماما ٠٠ اثنان فى اثنين يساوى أربعة ٠٠ ولكننى أشعر بوجود عالم أسمى ٠ انحنوا ٠٠ واتضعوا ٠٠ تحرروا من آدم القديم (يشرب بجنون وبيدين مرتعشتين) :
لم أسقط بعد فى الحضيض ، ما دمت أملك هذا الشعور وما زال فى امكانى أن أحسب ٠٠ اثنان فى اثنين ٠٠ ولكن ما معنى اثنين ؟ يا لها من كلمة مضحكة ٠٠ اثنان ٠٠ (يجلس)

بعل : (يتناول القيثارة فينطفىء النور) سأغنى الآن يغنى
الشمس أمرضته
وهده المطر
والغار فى الجبين (١)
وشعره انتشر

❋ ❋ ❋

ان أنسى الصبا
وزهرة الشباب
لم ينس ساعة
أحلامه العذاب

---

(١) ج : والغار المسروق فى جبينه ٠٠

ان ينس بيته
والموقد الحبيب
فروعة السما
تبقى ولا تغيب
(يضبط أوتار القيثار)

بعل : (مستمرا فى الغناء)

يا من طردتم جميعا
من السما والجحيم
يا قاتلين ويا من
شقيتمو بالهموم

* * *

يا ليتكم ما خرجتم
من ظلمة الأرحام
قد كان فيها هدوء
وراحة وسلام ..

* * *

بعل : الأوتار مختلة

فاتسمان : أغنية بديعة تنطبق على تماما .. رومانتيكية ..

بعل : (يواصل الغناء) لما نسيته أمه
ودع أرض الأسلاف
ومضى ليعد شراعه
والقارب والمجداف

* * *

فى بحر النشوة غاب
بحر الخمر المغشوشة
وعلى المركب أصحاب
والكل يعد قروشه ..

* * *

يضحك أو يلعن جاره
يبكى بالدمع المر

يبحث ليلا ونهارا

عن بلد آخر حر (١) ٠

* * *

عن بلد آخر أفضل

يحيا فيه الانسان

لا يشكو أو يتذلل

لا ظلم ولا حرمان

* * *

فاتسمان : كأسي هربت مني ٠٠ المائدة تهتز وتتأرجح كالبلهاء ٠٠ النـور ٠٠ كيف تعثر على أفواهنا في هذا الظلام ٠٠

اكارت : سخف ٠٠ أترى شيئا يا بعل ؟

بعل : لا ٠٠ لا أريد ٠٠ الظلام أجمل ٠٠ بالشمبانيا في جوفي والشوق بلا ذكرى ٠٠ هل أنت صديقي يا اكارت ؟

اكارت : (بضيق) أجل ٠٠ ولكن غن ؟ ٠٠٠

بعل : (يغني) ٠٠

مطـارد قديم

يرقص في الجحيم

يجلو في النعيم

* * *

يسكره شلال

فجره الجمال

بالنور والظلال ٠

* * *

يحلم في الخفاء

بروضة خضراء

وفوقه السماء

---

(١) تصرفت في هذه الاغنية تصرفا قليلا ، ولكنه لا يخرجها عن معناها ٠

شاحبة زرقاء

ولا يرى سواها ..

يوهانيس : قررت أن أبقى معك .. يمكنكَ أن تأخذنى معك .. اننى آكاد أصوم عن الأكل .

فاتسمان : (الذى أضاء النور بصعوبة) ليكن نورا .. هاهاها ...

بعل : انه يغشى العين . (يقف)

اكارت : (ينهض متثاقلا وهو يحاول أن يخلص نفسه من ذراعى الخادمة التى كانت تطوقه) ماذا جرى لك ؟

لم يحدث شىء .. ما هذا السخف ؟

بعل : (يتأهب للانقضاض عليه) ..

اكارت : أيمكن أن تغار من هذه المخلوقة ؟

بعل : (يتحسس طريقه وهو يتقدم للأمام .. تسقط كأس على الأرض)

اكارت : هل النساء محرمة على ؟

بعل : (يحدق فيه) ..

اكارت : وهل تحسبنى حبيبك ؟

بعل : (يهجم عليه محاولا أن يخنقه .. ينطفىء النور .. يضحك فاتسمان ضحكة السكارى وتصرخ الخادمة .. يندفع الزبائن من الحجرة المجاورة وهم يحملون مصباحا)

فاتسمان : معه سكين ..

الخادمة : انه يقتله .. يا يسوع المسيح ! يا مريم !

رجلان : (يلقيان بنفسهما على الرجلين المتصارعين)

يا للمصيبة .. ابتعد يا رجل ..

ارفع يديك .. طعنه بالسكين ..

يا رب السموات ..

بعل : (ينهض واقفا .. ضوء الفجر ينساب من النوافذ فجأة .. ينطفىء المصباح) اكارت ..

على خط الطول العاشر شرقي جرينتش

(غابة . بعل يحمل قيثارته الصغيرة . يداه في جيوب سرواله . يبتعد في مسيره)

بعل : هذه الريح الشاحبة التي تسرى بين الأشجار السوداء .. والأشجار أشبه بشعر لوبو (١) المبتل .. سيطلع القمر في حوالى الساعة الحادية عشرة .. عندئذ ينتشر الضوء .. هذه غابة صغيرة .. سأتحسس طريقى الى الغابات الكبيرة .. منذ أصبحت وحيدا وأنا لا أشعر بتعب من المشى .. لابد أن أحافظ على الاتجــاه نحو الشمال .. مهتديا بعروق الأوراق .. لابد أن أترك هذه المسألة التافهة وراء ظهرى .. الى الأمام .. (يغنى)

ويتطلع بعل الى الصقور السمان
التى تنتظر فى السماء المزدهية بالنجوم جثة بعل
(يبتعد فى سيره)
أحيانا يتظاهر بعل بأنه مات
فاذا حط عليه صقر آكله بعل صامتا فى وجبة العشاء (هبة ريح).

طريق ريفى ـ مساء ـ ريح ـ أمطار غزيرة

(صيادان يصارعان الريح)

الصياد الأول : المطر الأسود وهذه الريح التى تنعى الأموات .. هذا الصعلوك اللعين ..

الصياد الثانى : يخيل الى أنه يتجه شمالا الى الغابات .. هناك لن يعثر عليه بشــر .

الصياد الأول : من هذا المخلوق ؟

الصياد الثانى : هو قاتل قبل كل شئ .. كان فى أول أمره ممثلا فى عروض المنوعات وشاعرا .. ثم أصبح صاحب أرجوحة ، وقاطع أخشاب ، وعاشق مليونيرة ، وسجينا فى الليمان ، وقوادا .. ولما ارتكب جريمته قبضوا عليه ، ولكنه كان قويا كالفيل .. كانت السبب خادمة .. وهى بغى رسمية .. من أجلها قتل صديق شبابه .

---

(١) احدى الشخصيات التى ظهرت فى المشاهد السابقة ..

الصياد الأول : مثل هذا الانسان بلا روح ٠٠ انه حيوان متوحش ٠٠

الصياد الثاني : ومع هذا فهو كالأطفال تماما ٠٠ انه يقطع الخشب ويعطيه للنساء العجائز ، ويعرض نفسه للقبض عليه ٠٠ لم يملك شيئا في حياته ٠٠ كانت الخادمة هي آخر ما تبقى له في الدنيا ٠٠ لذلك قتل صديقه وهو مثله مخلوق مريب ٠

الصياد الأول : لو كانت معنا الآن زجاجة أو امرأة ٠٠ هيا بنا ٠٠ ان المكان مخيف ٠٠ وهناك شيء يتحرك ٠٠ (ينصرفان)

بعل : (يظهر من الدغل الكثيف ومعه خرجه وقيثارته ٠٠ يصفر من بين أسنانه) هل مت اذن ؟ يا لي من حيوان مسكين ٠٠ يعترضون طريقي ؟ الحكاية أصبحت مسلية ٠٠

(يتبع الصيادين ٠٠ ريح)

كوخ من الألواح الخشبية في الغابة

(ليل ٠٠ ريح ٠٠ بعل يرقد على سرير قذر ٠٠ رجال يلعبون الورق ويشربون)

رجل : (يميل على فراش بعل) ماذا تريد ؟ انك تصفر فوق الحفرة الأخيرة ٠٠ هذا شيء يدركه الطفل الصغير ٠٠ ومن يهتم بك ؟ هل لك أحد يسأل عنك ؟ صدقت كلامي ؟ صدقت ؟ ضم أسنانك ٠٠ هل بقيت لك أسنان ؟ الأولاد الشجعان في حالتك يعضون في العشب ، ما دام عندهم مزاج في ألف شيء وشيء ٠٠ أصحاب ملايين ٠٠ أما أنت فليس معك شيء ٠٠ حتى ولا الأوراق ٠٠ لا تخف ! العالم مستمر في الدوران ، والأرض كروية ، وفي الصباح تصفر الريح ٠٠ كن بعيد النظر ٠٠ تذكر أن الجرذان تنفق ٠٠ صدقت ؟ المهم لا تتحرك ٠٠ أسنانك كلها راحت ٠

الرجال : نفنط الورق ؟ سنضطر للبقاء طول الليل بجانب الجثة ٠٠ اخرس ٠٠ تكسب ٠٠ انت يا سمين ٠٠ هل ما زلت تتنفس ؟ هيا غن ٠٠ « في حجر الأم الأبيض » دعه ٠٠ سيصبح جثة باردة قبل أن يتوقف المطر ٠٠ العب ٠٠ ظل يشرب كأنه جحر ٠٠ ولكن في هذه الكتلة البائسة من اللحم والشحم شيء يجعل الانسان يفكر في نفسه ٠٠ لم يجد أحدا يغني له في المهد ٠٠ العشيرة الطيبة ٠٠ ما هذا اللعب يا حضرات ٠٠ العبوا بذمة أو لا داعي ٠٠

(صمت ٠٠ لا تسمع الا أصوات السب واللعن) ٠٠

بعل : كم الساعة الآن ؟

رجل : الحادية عشرة ‥ تنوى أن تذهب ؟

بعل : بعد قليل ‥ هل تسمح حالة الشوارع ؟

الرجل : مطـر ‥

الرجال : (يقفون) انقطع المطر ‥ حان الوقت ـ لابد أن الدنيا كلها مبتلة ‥ أصبح الولد فى غنى عن الشغل (يحملون فئوسهم)

أحدهم : (يتوقف أمام بعل يبصق)
ليلة سعيدة والى اللقاء ‥ هل تطلع روحك ؟

رجل آخر : هل ستعض فى العشب ؟ يا حضرة المجهول ؟

رجل ثالث : حاول تأجيل روائحك العفنة الى الغد ‥ سنعمل حتى الظهر ثم نرجع للغداء ‥

بعل : ألا يمكنكم أن تبقوا قليلا ؟

الجميع : (ضاحكين ضحكة مجلجلة)
هل نلعب تعالى لى يا ماما ؟
أم تريد أن تشنف أسماعنا بروائحك ؟
أم تريد أن تعترف ، يا لص الكونياك ؟
ألا يمكنك أن تتقايأ وحدك ؟

بعل : لو بقيتم نصف ساعة فقط ‥

الجميع : (يقهقهون) اسمع ‥ أنفق وحدك ‥ هيا بنا الآن ‥ الريح هدأت تماما ‥ ماذا جرى لك ‥

رجل : سأتبعكم ٠

بعل : لن تطول المسألة يا حضرات ‥ (ضحكات) لن يسركم أن تموتوا وحدكم يا حضرات ‥ (ضحك)

رجل : امرأة عجوز ‥ خذ هذا للذكرى ‥ (يبصـق فى وجهـه ‥ يتجهون جميعا الى الباب)

بعل : عشرين دقيقة ‥ (ينصرف الرجال من الباب المفتوح)

الرجل : (وهو واقف بالباب) نجـوم ٠

بعل : امسح اللعاب ‥

الرجل : أين ؟

بعل : على جبهتى ٠

الرجل : ولماذا تضحك ؟

بعل : طعمه لذيذ ٠

الرجل : (غاضبا) راحت عليك تماما ٠٠ الوداع ٠٠

(يحمل فأسه ويتجه للباب)

بعل : شـكرا ٠

الرجل : خدمة أخرى ؟ ولكن يجب أن أذهب للشغل ٠٠ صليب ٠٠ جئت ٠٠

بعل : أنت ٠٠ اقترب منى ٠٠ (يميل الرجل عليه) كان جميلا جدا ٠٠

الرجل : ما الذى كان جميلا أيتها الدجاجة البلهاء ؟
أقصد أيها الديك المحمر ٠٠

بعل : كل شيء ٠٠

الرجل : ذواقة ٠٠ (يضحك ضحكة عالية وينصرف ٠٠ يظل الباب مفتوحا بحيث
يرى منه الليل الأزرق)

بعل : (قلقا) أنت ٠٠ يا رجل ٠٠

الرجل : (يطل من النافذة) هيـه ؟

بعل : أتذهب ؟

الرجل : للشغل ٠٠

بعل : أين ؟

بعل : كم الساعة الآن ؟

الرجل : الحادية عشرة والربع ٠٠ (ينصرف)

بعل : ركبه الشيطان ٠٠ (صمت) ٠٠ واحد اثنان ٠ ثلاثة ٠ أربعة ٠ خمسة ٠
ستة ٠ لا فائدة ٠ (صمت)
يا ماما ٠٠ اكارت يجب أن يذهب ٠٠ السماء أيضا قريبة جدا ٠٠
تكاد تلمسها اليد ٠٠ كل شيء يبلله المطر ٠٠ النور ٠٠ واحد ٠٠
اثنان ٠ ثلاثة ٠ أربعة ٠ انى أختنق هنا ٠ لابد أن الدنيا نور ٠
أريد أن أخرج ٠ (يرفع نفسه من على الفراش)
سأخرج ٠٠ يا عزيزى بعل ٠٠ (بصوت حاد) لست فأرا ٠٠ لابد
أن الدنيا نور ٠٠ يا عزيزى بعل ٠٠ تستطيع أن تصل للباب ٠٠
لا زالت لك ركبتان ٠٠ عند الباب أفضل من هنا ٠٠ اللعنة ٠٠
يا عزيزى بعل ٠٠ (يزحف على أربع حتى يصل لعتبة الباب)
نجوم ٠٠ (يزحف الى الخارج) ٠٠

صباحا في الغابة

قاطعو أخشاب

قاطع أخشاب : ناولنى الكونياك ٠٠ انصت أنت للطيور ٠٠

قاطع أخشاب آخر : النهار اليوم حار ٠

قاطع أخشاب ثالث : أمامنا كوم من الجذوع ، يجب أن نفرغ من قطعها قبل المساء ٠

قاطع أخشاب رابع : هل أصبح الرجل الآن جثة باردة ؟

الثالث : نعم ٠٠ نعم ٠٠ هو الآن جثة باردة ٠

الثاني : نعم ٠٠ نعم ٠

الثالث : لو لم يلتهم البيض لأمكننا أن نأكله الآن ٠٠ وقاحة على فراش الموت وهو يسرق البيض فى أول الأمر أشفقت عليه ، ثم تقززت منه بعد ذلك ٠٠ من حسن الحظ انه لم يشم رائحة الكونياك لمدة ثلاثة أيام ٠٠ قلة ذوق ٠٠ بيض فى جثة ٠٠

الأول : كانت عادته أن يتمدد وسط القذارة ، ثم لا ينهض أبدا بعد ذلك ٠٠ وكان يعرف هذا ٠٠ كان يرقد هناك كما لو كان فوق سرير نظيف ٠٠ بكل عناية ٠٠ هل كان أحدكم يعرفه ؟ ما اسمه ؟ ماذا كان يعمل فى حياته ؟

الرابع : يجب أن ندفنه على حاله ٠٠ ناولنى الكونياك ٠٠

الثالث : سألته وهو فى الحشرجة الأخيرة : فيم تفكر ؟ فأنا أحب دائما أن أعرف ما يفكر فيه الناس فى هذه اللحظة ٠ قال : ما زلت أصغى لصوت المطر ٠٠ أحسست رعشة تهز جسمى كله ٠٠ ما زلت أصغى لصوت المطر ٠٠ هذا ما قاله لى ٠

تمت

ڤالتر هاز نكليفر

« النـــــاس »

تمثيلية من خمسة فصول

ولد فالتر هازنكليفر فى يولية سنة ١٨٩٠ بمدينة آخن (التى تعرف بالفرنسية باكس لاشبيل) ومات منتحرا فى معتقل « لى ميل » بفرنسا عندما شعر بزحف الذئاب النازية . درس الأدب والفلسفة والتاريخ فى جامعات اكسفورد ولوزان وليبزج وأصبح فى وقت من الأوقات أشهر الناطقين بلسان الحركة التعبيرية ، وجمعت الصداقة الحميمة بينه وبين الكاتب الشاعر فرانز فير فل وكورت بينتوس ناشر أشهر مجموعة من أشعار التعبيريين وهى المعروفة باسم (فجر الانسانية) . تطوع فى الحرب العالمية الأولى واشترك فى معارك الجبهة الغربية ومقدونيا من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٦ وعمل فى احدى المستشفيات العسكرية فى مدينة درسدن ، وروعته تجارب الحرب فأصبح من أكبر دعاة السلام فى الأدب الأوربى الحديث ، وكتب سنة ١٩١٧ أنجح مسرحياته من الناحية الفنية وهى « أنتيجونا » التى رجع فيها الى الموضوع الاغريقى القديم وصور فيها ثورة الشعب على الحرب وجعل أنتيجونا داعية للسلام والاخوة والمحبة فى وجه كريون الطاغية المستبد ..

وقد أحرز هازنكليفر قبل ذلك بسنوات قليلة أعظم نجاح صادفه التعبيريون عندما عرضت مسرحيته « الابن » (١٩١٤) التى تعد أول مسرحية تعبيرية بحق .. فقد تناول فيها الموضوع الخالد وهو صراع الأجيال وثورة الأبناء على الآباء ، فى لغة متفجرة تميل الى الخطابية والاغراق فى الصور الشاعرية(١) .

وتنقل هازنكليفر بعد انتهاء الحرب الأولى بين باريس وهوليود وبرلين ، واشتغل بمراسلة الصحف والمجلات الأدبية . ثم جرده النازيون من الجنسية فهاجر الى جنوب فرنسا ، وأقام فترة فى لندن وضواحى فلورنسا ، وعاد الى فرنسا حيث احتجزته السلطات الفرنسية فترة من الوقت فى معسكر « لى ميل » ، وهناك آثر الموت على الوقوع فى أيدى الطغيان النازى ..

يعد هازنكليفر من أوائل الدعاة الى الحركة التعبيرية سواء كان ذلك بمسرحيته « الابن » التى صورت ثورة التعبيريين على كل السلطات ودعوتهم الى

---

(١) عرضت لهذه المسرحية بشىء من التفصيل فى كتابى عن « التعبيرية » ، ص ٩٧ ــ ١١٠ . المكتبة الثقافية العدد ٢٦٠ ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧١ .

المجتمع الانساني المتآخي أصدق تصوير ، أو بكتاباته النظرية التي دعا فيها الى التزام الكاتب بالنقد الاجتماعي في الفعل والقول فيما سماه « بتسييس العقل » أو في قصائده التي تغلب عليها النزعة العقلية ، أو في مسرحياته المختلفة التي تتميز بالبناء المحكم والمشاهد المركزة واللغة المختزلة الدقيقة التي تكاد تقترب من اللغة البرقية الخاطفة ، وان ظلت مع ذلك لغة مشحونة بالانفعال الصارخ الملتهب . وقد اتجه هازنكليفر في أواخر حياته الى كتابة الملهاة الاجتماعية المسلية ، وحالفه النجاح في مسرحيته « الزيجات تعقد في السماء » (١٩٢٩) ، وابتعد عن الخوض في مسائل السياسة ومشكلات العصر ..

ولعل مسرحيته هــذه توضح أسلوبه الذى يعتمد على التركيز الشديد في الحوار والاهتمام بالحركة والاشارة الى أقصى حد ممكن ، والتعبير عن عاطفته الانسانية وشوقه الى الاخوة والمحبة بين البشر ..

• الناس

الشخصيات :

اسكندر ـ القاتل ـ الرأس ـ السكير ـ المساعد ـ ليسى ـ عرافة ـ الشاب ـ الفتاة ـ النادل العجوز ـ أجاثه ـ الأب ـ الأم ـ الطبيب ـ مدير بنك ـ رئيس محكمة ـ وكيل نيابة ـ قسيس ـ بائع صحف ـ سجانة ـ رجل فى ملابس سوداء ـ ممرضة ـ شحاذ ـ صاحب المطعم ـ الضيف ـ رجل الشرطة ـ السادة ـ المجانين ـ البغايا ـ الصم البكم ـ رجال الشرطة ـ مقنعون ـ قاعة محكمة ـ محلفون ـ عمال ـ حمال ـ ناس .

- **مسرح الأحداث : العالم ..**
- **الزمن : اليـــوم ..**

الفصل الأول

● المشهد الأول : مقبـــرة

ساعة الشفق ـ ينقلب أحـد الصلبان

اسكندر : (يخرج من القبر) ..

القاتل : (يأتى ومعه الشوال) ..

اسكندر : (يصاب بالذعر) ..

القاتل : لقد قتلت .. (يناوله الشوال) ..

اسكندر : (يمد يده) ..

القاتل : الرأس فى الشوال .. (يتجه للقبر وينزل فيه) ..

اسكندر : (يلقى التراب عليه .. هبة ريح ـ تضىء الكنيسة الصغيرة ـ الشاب والفتـــاة) ..

الشاب : من هناك ؟

الفتاة : جثـة .. (يغمى عليها) ..

الشاب : قاتل ..

اسكندر : معطفك ..

الشاب : (يخلع المعطف) ..

اسكندر : (يتغطى به) ..

الشاب : من أنت ؟

اسكندر : أنا أحيا .. (يحمل الشوال على كتفيه ويمضى) ..

الفتاة : (تصحو من الاغماء) ..

الشاب : (يحتضنها) ..

الفتاة : (تصرخ) لقد خنتك ..

● المشهد الثـانى

قاعـــة

(ليل ٠ ٠ موائد مفروشة ٠٠ فى الخلف ستار ٠٠ الى اليمين واليسار كوة أو تجويف فى الحائط ـ تضاء القاعة ٠٠ النادل العجوز ـ الزبون) ٠٠

النادل العجوز : (يقرأ الصحيفة) جريمة قتل ٠٠

الزبون : (بلذة) السيقان ؟

النادل العجوز : الرأس مفقودة ٠٠

الزبون : بـيرة ٠٠

اسكندر : (ينفذ من الستارة وهو يحمل الشوال على كتفه)

الزبون : جريمة جنسية ؟

النادل العجوز : مكافأة ٠

الزبون : الحساب ٠٠

النادل العجوز : روسبيف ٠٠

الزبون : رجـل ؟

النادل العجوز : ثلاث ماركات وتسعون فنجا ٠٠

الزبون : (ينصرف) ٠٠

اسكندر : ناس ٠٠

النادل العجوز : اسكندر ٠٠

اسكندر : أين أنا ؟

النادل العجوز : يبحثون عنك ٠٠

* * *

● المشهد الثالث

(يضاء التجويف الأيمن ٠٠ رجل ممزق الثياب يجلس الى مائدة عليها زجاجات) ٠٠

السكير : أحلم ٠٠ (تظلم القاعة)

اسكندر : (يدخل)

السكير : (يناوله الكأس)

اسكندر : (يشرب)

السكير : جائع ··

اسكندر : (يتطلع اليه)

السكير : أخى ·· (يعانقه) ··

صاحب المطعم : (يدخل) فلوس ··

السكير : (يبحث فى سترته)

صاحب المطعم : ست زجاجات ··

اسكندر : أريد أن أعمل ··

صاحب المطعم : تعمل نادلا ·· (يشير للقاعة ·· ينصرف) ·

ليسى : (تدخل) رجـال ··

السكير : أنت مريضة ··

ليسى : أنا أنتقم ·· (تنصرف) ··

اسكندر : (يمد ذراعيه) الحب ··

* * *

● المشهد الرابع

(يضاء التجويف الأيسر ·· سـادة يلبسـون سـترات انيقة ـ ويقفون حول احدى الموائد ·· رئيس المحكمة ـ مدير البنك ـ مساعد) ··

صوت : (خفى) العبوا ··

السادة : (يلقون النقود على المائدة ·· يظلم التجويف الأيمن)

اسكندر : (يدخل)

المدير : من هناك ؟

المساعد : جثـة ·· (قهقهة وضجيج)

المدير : (يقدم له نقودا) اجلس ··

اسكندر : (يجلس)

صوت : ١٣ ··

المدير : برافو ..
المساعد : حظ ..
السادة : أوقف ..
صوت : ١٣ ..
المدير : اللعنة ..
السادة : يجب أن تستمر ..
المدير : (يلقى النقود على المائدة)
صوت : ١٣ ..
السادة : السيد المدير ..
المدير : الباقى (يلقى النقود على المائدة) .
صوت : ١٣ ..
الرئيس : البنــك ..
المدير : مستمر ..
صوت : ١٣ .. (ضجة) .
المدير : (يفتح ياقة قميصه)
السادة : أفلس ..
المدير : الساعة (يلقى ساعته على المائدة) .
المساعد : الوصية .. (صمت) .
المدير : (يكور قبضتيه) .
الرئيس : (يدق الجرس) .
المقنعون : (يأتون) ..
المدير : (يصرخ) فى عرضكم ..
المقنعون : (يفتحون الأبواب المؤدية للحفرة الأرضية ويلقونه فيها) .
الرئيس : راح الدور .. (تضاء المائدة) .
اسكندر : (يقف أمام النقود) .
السادة : (مهددين) اتركها فى مكانها . (طلقة مكتومة) .
المساعد : (يرسم علامة الصليب) .
المقنعون : (يرجعون) .
السادة : (يكومون النقود على المائدة) .
الرئيس : هيــا ..

السادة : (فى حالة تشنج) ..

صوت : ١٣ .. (تنقلب المائدة) .

المقنعون : (يرفعون الأوراق النقدية ويضعونها فى جيب اسكندر)

اسكندر : (ينصرف)

صوت ينادى : يا صاحب السعادة ..

السادة : (يصوبون المسدسات) ..

صوت ينادى : خفض الأجور ..

الرئيس : (يهز كتفيه) .

السادة : نحن نجوع ..

المساعد : (يطفىء النور .. يشير الى البدر) المنجم .

صوت ينادى : القنوات .

السادة : الأوراق .

الصوت : النقود .

المساعد : (يضىء النور) بنك القمر ..

الرئيس : موافق ..

الصوت : التوقيع .

السادة : (يكتبون .. أوراق تطير فى الهواء) .

المساعد : لجنة الرقابة (يناول القائمة للرئيس) .

الصوت : رجل الاحسان .

السادة : (يهنئونه) .

ليسى : (تدخل)

السادة : (يقيمون المائدة)

المساعد : (يرفع الكأس)

صوت : العبـوا ..

السادة : (يلقون بأوراق على المائدة ..)

(يظلم التجويف الأيسر)

● المشهد الخامس

(فضاء القاعة .. الوقت صباح .. الموائد غير مفروشة .. والستارة مقلوبة .. في الخلفية رسم تخطيطي للمصنع) ..

السكير : (وحده) أنا أحب العالم .

عمال : (يدخلون) .

السكير : يا رفيق .

عمال : رفع الأجور .

السكير : سيأتى هذا اليوم .

عمال : الصحيفة .

اسكندر : (يظهر على هيئة النادل) .

عمال : اضراب .

السكير : نحن فقراء .

اسكندر : (يأتى بالقهوة) .

السكير : ست زجاجات .

اسكندر : (يفكر قليلا ثم يخرج أوراق النقد من جيبه) لك .. (يخلع التنورة «المريلة» .. ثم ينصرف) ..

العمال : غنى ..

السكير : جهنم ..

العمال : هات ..

السكير : (يخفى الأوراق) .

العمال : عليه .. (يضربونه حتى ينزف دمه) .

السكير : (يسقط منهارا .. صوت صفارة المصنع) ..

العمال : (ينصرفون للعمل) ..

ليسى : (تتعثر فوقه ومعها بعض السادة) .

النادل العجوز : (يرفعه من على الأرض) ..

اسكندر : (يأتى ومعه شواله) ..

النادل العجوز : ما زلت حيا ؟

اسكندر : من أنا ؟؟ ..

الفصل الثانى

● المشهد الأول

(قبو ـ مخزن خمور ـ فوق القبو حجرة ·· للخلف نافذة وشارع ·· القبو يضاء) ··

السكير : (معصوب الرأس) مال ·
شحاذ : (يمد يده من النافذة) خبز ··
المساعد : (يدخل)
السكير : دمى ينزف ··
المساعد : توقيعك ·· (يقدم له أوراقا) ·
السكير : لا ملكية بعد اليوم ؟
المساعد : تعـاون ·
السكير : لا حروب ؟
المساعد : سـلام ··
السكير : (يتشبث بيده) المستقبل ·
المساعد : أسهم ·
السكير : النـاس ؟
المساعد : عبيـد ··
السكير : (يعض يده) ··
المساعد : لا ملكية بعد الآن ··
السكير : تعـاون ؟
المساعد : لا حروب ··
السكير : سلام ؟ ·· (يسقط منديله على الأرض)
المساعد : (ينحنى ويقبض على رقبته) منديلك ·· (يخنقه)

البغايا : (ينظرن من النافذة) أمير الذهب ·· (يضحكن) ··

المساعد : (يترك السكير) ··

البغايا : (يدخلن ·· تيا ، جيلدا ، لينا) ··

المساعد : (يقفز من النافذة)

تيا : المدام تحيي ··

جيلدا : (تمسك السكير من سترته) خرق ··

لينا : معك خيط ؟

تيا : (أمام المرآة) هل تليق القبعة علي ؟

السكير : أنا أموت ··

جيلدا : سيجارة ··

تيا : حرير أزرق ··

لينا : أمير الذهب ·· احك لنا عن الله ·· (يلتففن حوله) .

السكير : الله يرث الملايين ··

جيلدا : ميت على الدنيا ··

تيا : كلامه شعر ··

لينا : (تخيط سترته) ··

السكير : سيغفر الله ذنوبنا ··

(يميل للوراء ·· يغطينه وينصرفن بهدوء)

جيلدا : الله يرث الملايين ؟

السكير : (وحده) أنا أنتظر الموت ··

(يظلم القبـو)

● المشهد الثــاني

فضاء الحجرة ·· الشاب ·· الفتاة .

الفتاة : أنا خائفة ··

الشاب : (يقف)

الفتاة : يقترب ··

الشاب : (يذهب نحو الباب)

الفتاة : يحدث شيء ما ··

الشاب : (يفتح الباب)

الفتاة : الآن ·· (يسقط كرسى تحتها فى القبو)

الفتاة : (تصرخ) انسان مات ··

الشاب : (يسرع بالنزول)

الفتاة : (تسقط اعياء)

الشاب : (يرجع حاملا أوراقا مالية فى يده) نقود ··

الفتاة : (يستولى عليها الفزع)

الشاب : لقد مات ··

الفتاة : أنت ترتعش ·

الشاب : (يفتح النافذة بقوة) الحياة ··

الفتاة : أنت لا تحبنى ··

● المشهد الثالث

(عنـد العرافة ·· أريكة ـ امامها مائدة صفت حولها ثلاثة كراسى ·· العرافة جالسة على الأريكة والفتاة أمامها الشاب يجلس الى اليسـار ·· الكرسى الأيمن خال)

الشاب : (يخلط أوراق اللعب) ··

العرافة : الآنسة شاحبة ··

الشاب : (يقطع الكوتشينة)

العرافة : أنا أيضا كنت شابة (تتناول الأوراق فى يدها)

الشاب : (يسحب أربع ورقات)

العرافة : (تفتحها) قلب يحميك

سيدة تفزعك

أمامك الحظ

وراءك الموت ؟

اخلط مرة أخرى ·

الشاب : (يخلط الأوراق من جديد)

العرافة : (تكشف جميع الأوراق ، تهز رأسها)
ثروة ٠٠ (تشير الى كل ورقة على حدة)
امرأة ــ فى طريقها اليك ــ تحبها ــ دموع ٠٠

ليسى : (تدخل دون أن يراها أحد ٠٠ تجلس على الكرسى الخالى)

العرافة : حاذر من الطبيب ٠٠

(يسقط الظلام على الفتاة والعرافة ٠٠ يبقى الشاب وليسى فى منطقة الضوء ٠٠ ينظران الى الأوراق) ٠٠

العرافة : تأتى (لا تعرفها) ورقة سوداء ٠٠ خطر ٠٠ مرض ٠

(ينطفىء النور)

صوت العرافة : مـوت ٠٠
(الشاب وليسى ينظران الى بعضهما)

● المشهد الرابع

(عيادة طبيب ــ حجرة المقابلة ــ للخلف باب ــ حجرتان الى اليمين واليسار ــ تضاء الحجرة اليسرى) ٠٠

الشاب : (يدخل) ٠٠

صوت : (من الخارج) الدكتور وصل ٠٠

الشاب : (أمام لوحة « زفاف فى كنعان » ٠٠ يتحسس جسمه) ٠٠ ورم فى الغدد ٠٠ (يدور حوله فى قلق ، يخرج الساعة من جيبه) السادسة والنصف ٠٠ (يرتعش) أنا سليم ٠٠ (يضع يده فجأة على قلبه) ٠٠ لا حب بعد الآن ـــ لا أطفال ٠
(تضاء حجرة المقابلة)

الشاب : خطر ــ مرض ٠

الطبيب : (يدخل)

الشاب : مـوت ٠٠

الطبيب : (يفتح الحجرة التى على اليمين) ٠٠

الشاب : (يكشف صدره) ٠٠

الطبيب : (يتناول العينة) ٠

الشاب : (يبحلق فى الجدار)

الطبيب : (يذهب للمنظار المكبر ·· الميكرسكوب)

الشاب : سفن ·· طفولة ··

الطبيب : تاريخ الميلاد ؟

الشاب : حصـون ··

الطبيب : والدك سليم ؟

الشاب : (يترنح فى اتجاه النافذة) الحياة ·

الطبيب : مشبوه ·

الشاب : صوتى مبحوح ··

الطبيب : (يقف) عشر ماركات ··

الشاب : رغبة فى التبرز ·

الطبيب : زهرى ··

الشاب : (يغمى عليه) ··

الطبيب : (يحمله الى الحجرة التى على اليسار ويضعه على الأريكة ــ تضـاء الحجرة التى على اليمين) ··

الفتاة : (تدخل) ·

الطبيب : (يرجع الى حجرة المكتب ، يغسل يديه ، يفتح الحجرة اليمنى)

الفتاة : (تسقط عند قدميه) ··

الطبيب : حامل ·

الفتاة : ساعدنى ·

الطبيب : فتاة جميلة ·

الفتاة : فقيرة ··

الطبيب : قانون العقوبات ·

الفتاة : (تنهض) انقـذنى ··

الطبيب : قبلة ·· (يحتضنها)

الفتاة : (تسقط فوقه) سقطت ··

الطبيب : (يحملها الى الغرفة اليمنى ، يطفىء النور ·· تظلم الغرفة) ·

الشاب : (يستيقظ من نومه فوق الأريكة ــ الشمس تغيب ·· يفرد ذراعيه) فجر ·· (تظلم الغرفة اليسرى) ··

الفتاة : (تندفع منفوشة الشعر من الغرفة اليمنى الى حجرة المكتب •• تتناول سكينة تشريح وتقطع الشريان •• يفتح الباب)

اسكندر : (يدخل حاملا الشوال)

الفتاة : (تسقط السكين من يدها)

اسكندر : (يتناول يدها ويمتص الدم •• تظلم حجرة المكتب) •• (يفتح الغرفة اليسرى •• ضوء القمر) ••

الشاب : (يرقد ممددا على الأرض) ••

اسكندر : (يلمسه) ••

الفتاة : (تقترب) ••

الشاب : (يقف •• يظهر الآن على هيئة هيكل عظمى ••

اسكندر : (يأخذه من يده •• ينصرفان) ••

● المشهد الخامس

(فى الأوبرا •• لوج فى مواجهة المسرح •• الستارة مسدلة •• اللوج الأيمن خال •• اسكندر والشاب والفتاة يجلسون على كراس وثيرة) ••

الملاحظة : نظارة يا حضرات ؟

بائع الصحف : ملحق •• جريمة سرقة •

الشاب : ودعت الحياة •

صوت : (من أسفل) استراحة •

اسكندر : نحن راقدون فى القبر ••

الفتاة : (تضغط على بطنها بيديها) الجنين يتحرك •

صوت : (من أسفل) كرسى ••

الشاب : الأبدية ••

اسكندر : الأبواب مفتوحة •• (رنين جرس) ••

صوت : (من أسفل) النهايه بدأت ••

الشاب : أرى العالم (موسيقى خافتة)

الشاب : الخضرة للمرة الأخيرة ••

الطبيب : (يدخل اللوج الأيمن فى رداء رسمى أسود ·· وفى يديه قفاز أبيض) عشر ماركات ··

الشاب : (يلقى اليه بالأوراق النقدية) أسبح فى الهواء ··

الطبيب : (يلتقط الأوراق) ··

ليسى : (تدخل اللوج الذى يجلس فيه الطبيب ، تسرق منه الأوراق) ··

صوت المغنى : (التينور) « السيدة نشيطة » (١) ·

الطبيب : (يسحب الستار فيظلم اللوج الأيمن) ··

الشاب : (ينهض) ··

اسكندر : معطفك ·· (يخلع المعطف من على كتفيه ويغطى الشاب به) ··

الشاب : (يفتح الستارة المسدلة على اللوج ·· تضاء خشبة المسرح ·· تبدأ الموسيقى ·· صوت نفير ·· ينـدفع هابطا الى أسفل ·· الآلات الموسيقية تنطلق فى العزف) ··

الفتاة : أين نحن ؟

اسكندر : بعث ··

---

(١) فى الأصل بالايطالية ، ولعله اسم اغنية فى احدى الأوبرات ·

الفصل الثالث

● المشهد الأول

شـــــارع

(فى الخلفية بيت تظهر نوافذه ·· فى الوسط شرفة ·· فى اســـفل مقهى اصطفت امامهـا ثلاث موائد ·· يقع اوسطها تحت الشرفة ·· الى اليسار عمود للصق الاعلانات ·· كتب عليه بالخط الأحمر « جريمة قتل » ·· الشحاذ يقف الى اليمين فى مواجهة العمود) ··

المساعد : (يجلس الى المائدة اليمنى)

الشحاذ : (يعزف أغنية « السيدة نشيطة » على آلة البيان الشعبية « البيانولا » ـ الطبيب وليسى يظهران فى الشرفة) ·

النادل العجوز : (يفتح شيش النوافذ فى المقهى)

اسكندر : (يأتى حاملا شواله ويقف أمام عمود الاعلانات) ··

الطبيب : (يغادر البيت ويجلس مع المساعد)

المساعد : سوق الأوراق المالية فى تحسن ·

اسكندر : (يجلس الى المائدة اليسرى)

بائع الجرائد : بنك القمر ·· مؤسسة جديدة ·

النادل العجوز : (يحضر الطلبات ويشترى صحيفة) ··

الطبيب : قهـوة ··

النادل العجوز : (يتجه لاسكندر ·· يقرأ الجريدة) القاتل ··

اسكندر : (يتطلع اليه)

المساعد : رأس المال ··

الطبيب : (يهز رأسه)

اسكندر : هل تؤمن بالله ؟

النادل العجوز : نحن البشر ··

الشحاذ : (يدير آلة الغناء «البيانولا») ··

الصم البكم : (يجلسون الى المائدة الوسطى) ··

النادل العجوز : (يذهب اليهم) ··

الصم البكم : (يشيرون بأيديهم ويحركون رؤوسهم) ··

الطبيب : (ينادى) أبكم وأصم ··

النادل العجوز : (يهز رأسه ويدخل المقهى) ·

أجاثه : (حافية القدمين ، فى الرابعة عشرة ، تحمل صندوقا) ·· كبريت ؟

المساعد : (يدفعها بعيدا عنه) ··

الطبيب : (يضحك) ··

الصم البكم : (يتصدقون عليها) ··

اسكندر : (يأخذها من ذراعها) ··

ليسى : (تظهر فى الشرفة وتشير للصم البكم) الفلوس فلوس ··

(تختفى)

المساعد : نحن نعيش على المقدم ·

اسكندر : ما اسمك ؟

أجاثه : أجاثه ··

المساعد : تشغيل الأطفال ··

أجاثه : نحن جائعون ··

المساعد : الأوراق ··

الطبيب : (يخرج أوراق العملة من جيبه) ونحن أصحاب أملاك !

المساعد : (يخرج أوراقا من جيبه) هل تشترى ؟

الطبيب : (يضع الأوراق المالية فى جيبه ·· ينظر فى ساعته) اجهاض ··
(ينهض) ··

الشحاذ : (يدير آلة الغناء) ··

أجاثه : أمى تحتضر ··

الطبيب : (ينصرف) ..

المساعد : (يتبعه) ..

أجائه : ساعدني .. (تتناول يد اسكندر .. ينصرفان) ..

الصم البكم : (يشيرون ويهزون رءوسهم .. يشيرون الى الاعلان الذى كتب عليه « جريمة قتل » ..) ..

● المشهد الثاني

غرفة في السطوح

(طرقة الى اليمين تؤدى اليها سلالم .. سطح مائل .. للخلف نافذة تطل على اسطح البيوت المجاورة .. الأم الى اليسار تحتضر على فراش الموت .. مائدة في الوسط .. حولها ثلاثة كراسي .. يجلس الأب الأشيب على الكرسي الأوسط منها .. الى اليمين سلة من سلال السفر .. تضاء الغرفة) ..

الأم : (تتنهد) ..

الأب : (لا يتحرك .. تضاء الطرقة .. أجائه واسكندر يصعدان السلم .. تظلم الطرقة) ..

اسكندر (يدخل) ..

الأم : أنت ..

أجائه : الحمى ..

الأم : ولدى ..

اسكندر : (يقترب من الفراش)

الأم : (تمسك يده) أنا راحلة ..

أجائه : (ترتب المخدرات) ..

الأم : القطار مسافر ..

اسكندر : (يتجه للسلة) ..

الأم : أحزمي الأمتعة ..

اسكندر : (يفتح السلة) ..

الأم : زفاف ..

اسكندر : (يتجه للدولاب .. يخرج منه بعض الأسمال التى يضعها فى السلة)

الأم : البروش ..

اسكندر : (يتجه للكومودينو .. يجد البروش) ..

الأم : الكتاب المقدس ..

اسكندر : (يتجه للمائدة ، ويخرج الكتاب المقدس) ..

الأم : النقود .. (تجذب من المرتبة بعض الأوراق المالية وتحشرها فى فمها) ..

أجاثه : (تعقد يديها على صدرها) لتكن مشيئتك ..

اسكندر : (يقفل السلة) ..

الأم : التذكرة .. (أجاثه واسكندر يجلسان الى المائدة) ..

الأم : (تتنهد) ..

أجاثه : أبى ..

الأم : (حشرجة .. هدوء .. تفتح النافذة) ..

الأب : ماتت ..

(يجلسون جامدين .. تضـاء الطرقة .. بعض الناس يصعدون السلم .. ينظرون من ثقب الباب .. ويتهامسون .. تظلم الطرقة .. يدخلون .. تمتلىء الغرفة بالظلال) ..

رجل يلبس السواد : الدفن ..

(يقتربون .. يضغطون المائدة .. الأب وأجاثه واسكندر يتصافحون .. تختفى الأشباح .. تظلم الغرفة .. تضاء المائدة) ..

الأب : من أنت ؟

اسكندر : أبحث عن نفسى ..

الأب : انسـان ..

اسكندر : (ينحنى أمامه) ..

اجاثه : (تبتسم .. تظلم المائدة .. أسراب من الطيور تحوم فوق الأسطح) ..

● المشهد الثالث

مستشفى

(حجرة الاستقبال فى الوسط ·· قاعة العمليــــات الى اليمين ·· محطة الاجهاض الى اليســـــار ·· تضاء قاعة العمليات وحجرة الاستقبال) ·

الممرضة : (تجلس فى حجرة الاستقبال) ··

الطبيب : (فى قاعة العمليات ·· يتجه للدولاب الزجاجى ويخرج منه جنينا ، يعرضه للضوء ·· يضعه على مائدة العمليات) ··

الممرضة : (تغزل) ··

الطبيب : (يفتح الباب) استقبال ؟

الممرضة : ثلاثة (تتصفح دفترا) فى الشهر التاسع ··

الطبيب : (يغلق الباب ·· تظلم قاعة العمليات ·· تضاء محطة الاجهاض) ··

البغايا : (يرقدن على ثلاثة أسرة ·· السرير الرابع خال) ··

تيـا : (فى يدها أصبع «الروج» ومرآة صغيرة) كلام فارغ ··

جيلدا : شوكولاته ·· (تأكل) ··

لينا : أمير الذهب مات (تشم باقة زهور) ··

جيلدا : (تشد الزهور من يدها) زهورى ··

تيـا : (تنقر بأصابعها على بطنها) يرن ··

جيلدا : أدخل ·· (يضحكن) ··

الفتاة : (تدخل حجرة الاستقبال مترنحة ، تتلمس الحائط ·· تنهار) ··

الممرضة : (تسحب الفتاة المغشى عليها الى محطة الاجهاض وتضعها فى السرير الرابع) ··

الطبيب : (يدخل حجرة الاستقبال) ··

الممرضة : (تعود) اجهاض ··

جيلدا : (تفرد ذراعيها) رقص ·

تيـا : الطبيب ·· (يخفين أشياءهن) ··

الطبيب : (يدخل ·· يتجه للفتاة ·· يرى الدم) اجرام ··

الفتاة : (تفتح عينيها ·· ترى الطبيب ·· تصرخ) حيوان ··

الطبيب : القنـاع ..

الممرضة : (تدفع عربة صغيرة عليها أدوات وآلات طبية) ..

الفتاة : (تقاوم) لا أريد ..

الطبيب : (يمسكها بقوة) ..

الممرضة : (تضع قناع التخدير على وجهها) ..

الطبيب : عـدى ..

الفتاة : (تصاب بالاعياء .. تئن) واحد وعشرون .. اثنان وعشرون ..

الطبيب : هيـا ..

الممرضة : (تضع الفتاة المخدرة على عربة المرضى) ..

الطبيب : (يعبر حجرة الاستقبال الى قاعة العمليات) ..

الممرضة : (تدفع العربة .. يغلق الباب المؤدى الى قاعة العمليات) ..

تيـا : (تتنهد) ..

جيلدا : الكماشة ..

لينا : أصوات ..

تيـا : (تتقايأ) ..

جيلدا : بطنى ..

لينا : (تشبك يديها) أماه ..

جيلدا : الهنا الذى فى السماء (تنكمش تحت اللحاف .. هدوء ..) ..
(تسقط احدى الآلات فى قاعة العمليات..ويصدر عنها رنين حاد) .

تيـا : (تنهض فجأة) ولد طفل ..

الطبيب : (يخرج من قاعة العمليات ، يغسل يديه الملوثتين بالدم) قذارة ...

● المشهد الرابع

شـــــارع

(الشحاذ جالس أمام عمود الاعلانات . الصـم البكم يجلسون الى المائدة التى فى الوسط .. المائدتان الاخريان خاليتان) ..

الصم البكم : (يلوحون بأيديهم ويهزون رءوسهم .. يشيرون للاعلان الذى كتب عليه بخط كبير « جريمة » ..) .

بائع الجرائد : ملحق ··

النادل العجوز : (يكنس أمام الباب) ··

بائع الجرائد : آثار المجرم ··

النادل العجوز : (يشترى صحيفة) ··

بائع الجرائد : (ينصرف) ··

الشحاذ : (يدير البيانولا) ··

(تظهر الجنازة آتية من اليمين ·· رجال يرتدون السواد ويحملون المائدة التى عرفناها فى غرفة السطوح ·· الأم ملفوفة فى الكفن ، ترقد على المائدة ، ويداها معقودتان على صدرها على هيئة الصليب ·· القسيس يمشى خلف المائدة ، يتبعه الأب ومعه أجانه ، ووراءهما اسكندر ومعه شوال ·· يظهر ناس قادمين من اليسار ·· يصطدمون بالجنازة فى منتصف الشارع فيسدون عليها الطريق ، ويكورون قبضاتهم مهددين ، ويلوحون بقوائم الحساب) ··

الناس : الديون ··

رجل : الخباز ··

امرأة : الايجار ··

الناس : المال ·· (يهجمون على الجثة ويفتشونها) ··

القسيس : (متوسلا) يا مؤمنين ··

الناس : (يلقون المزق الباقية من الكفن على الأرض ·· الجثة عارية) ··

رجل يرتدى السواد : لا مال ·· لا دفن ··

(الرجال الذين كانوا يحملون المائدة يتركونها فى مكانها) ··

القسيس : (يتنهد ، يصافح الأب ويهز يده ·· الجثة وحيدة على أرض الشارع)

اسكندر : (يتقدم فيتراجع الجميع الى الوراء ·· ينتزع ثوبه من على جسده ويغطى به الجثة) ·

القسيس : (يهز رأسه وينصرف) ··

اسكندر : (يحمل الجثة بين ذراعيه) ··

الناس : (يختفون ومعهم المائدة) ··

الصم البكم : (ينهضون من أماكنهم ، يزحزحون أحجار الطريق ، ويحفرون قبرا بأيديهم) ··

اسكندر : (يضع الجثة فى الأرض ·· الناس ينظرون من كل النوافذ ، ليسى تطل من الشرفة) ··

الصم البكم : (يردمون القبر) ··

بائع الجرائد : (يعود) آثار المجرم ··

اسكندر : (يضع الشوال على كتفيه) ··

بائع الجرائد : الرأس فى الشوال ··

أجاثه : (تركع أمام اسكندر ، تقبل يديه) ··

النادل العجوز : (يتطلع اليه باهتمام) ··

● المشهد الخامس

مهـــد

الفتاة : (تغنى)

(نم يا ولدى نم ، يا حبة قلبى نم
أغمض عينيك الزرقاوين العالم يسبح فى النوم
يا ولدى نم وسأدفع عنك طيور الشؤم
وسيهبط ملك بسام ويزور خيالك فى الحلم
هذى أيامك من ذهب والغد لن يأتى كاليوم) !

الفصل الرابع

● المشهد الأول

مخزن بضائع

(سرير ـ شمعة ترتعش فوق المائدة الصغيرة بجانب السرير · للخلف جدار) ·

أجاثه : (تفتح ثوبها ، تفك خصلات شعرها ، تتناول ورقة تكتب عليها خطابا) ··

صوت : انصراف ··

أجاثه : (تطوى الخطاب ، تبتسم ، تأخذه معها الى الفراش ·· الشمعة ترتعش) ·· حبيبى ·· (ضجة على الباب) ··

صوت : امسحوا الأحذية ··

اجاثه : (تفزع ·· تتناول الرداء وتواصل الحياكة ·· تبتسم ·· تضغط الخطاب على شفتيها ، تستغرق فى التفكير ·· تبكى ·· الشمعة ترتعش ·· الرداء يسقط على الأرض) ··

أجاثه : (تنعس ·· يختفى الجدار ·· يظهر منظر طبيعى ·· سماء تلمع فيها النجوم ·· الشمعة تنطفىء ·· الشمس والقمر يشرقان) ··

اسكندر : (يقف بعيدا على حافة المنظر الطبيعى) ··

اجاثه : (تفرد ذراعيها) تعال ··

اسكندر : (يعبر المنظر الطبيعى حتى يصل الى فراشها) ··

أجاثه : (تعطيه الخطاب) ··

اسكندر : (يجلس على سريرها) لا تبكى ··

اجاثه : زنابق (تزدهر الأشجار) ··

أجاثه : الريح تهب ··

اسكندر : (يربت على رأسها) يا فراشة ··

اجاثه : سأتبعك ··

اسكندر : (يبتسم) طفلة ··

(نجم يهوى عبر المروج المشمسة) ··

اسكندر : ليست الأمور كما نتمنى ··

(يقبلها ·· يختفي المنظر الطبيعي ·· يظهر الجدار ·· اسكندر ينصرف ·· الشمعة مشتعلة) ··

اجاثه : (تستيقظ) ··

صوت : قيام ·· (ترتعش الشمعة) ··

أجاثه : (تقفز من الفراش ، تهرع الى الدولاب ، تخرج منه غصنا صناعيا ، تضغطه على قلبها) ربيع ··

(المخزن يظلم ·· يظهر المنظر الطبيعي من جديد ، ويبدو في هذه المرة قاتما وعاديا) ··

اسكندر : (يصحو من نومه على أريكة ، يجد الشوال ، ينظر اليه متفحصا) ··

● المشهد الثـاني

صـــالون

(ليسى ترقد على اريكة ، وقدماها في حجر الطبيب النعية على مقعد وثير) .

ليسى : (تروح عن نفسها بمروحة) ··

الطبيب : (شاحب الوجه ، تائه العينين) حبيبتى ··

ليسى : ابعد يدك ··

الطبيب : (يتحسسها) ··

ليسى : (تركله بقدمها) ··

الطبيب : (يخرج حقنة المورفين من جيبه ويحقن نفسه) ··

ليسى : (تتثاءب) ··

الطبيب : فيران بيضاء ··

المساعد : (يدخل) ··

الطبيب : (يضع يده في فمه ويخرج طاقم الأسنان)

ليسى : سمعت ؟
المساعد : المرحلة الثالثة .
الطبيب : (ينحنى على الدمية ، يضع النظارة السوداء على عينيه) حامل ..
ليسى : تابوت ..
الطبيب : اجهاض ..
(يخرج السكين من جيبه ، يفتح بطن الدمية)
المساعد : فلوس .. (يطعنه فى رأسه بالحقنة) ..
الطبيب : (يسقط) ..
ليسى : (تركله فيهوى على الأرض) ..
المساعد : (يفتش فى جيوب سترته ، يخرج أوراقا مالية) منجم ذهب ..
ليسى : (تأخذ الدمية على حجرها) ..
المساعد : (يشد الجثة من شعرها) ..
ليسى : الميت ميت ..
المساعد : (يقذف الجثة من النافذة) ..

● المشهد الثالث

مائدة ـ كرسى

(الشوال فوق المائدة . اسكندر جالس على الكرسى)

اسكندر : (يفتح الشوال) ..
الرأس : (تسقط منه) ..
اسكندر : (يتراجع مذعورا) رأسى ..
الرأس : جسدى ..
اسكندر : أأكون قتلت ؟
الرأس : والقاتل حى ..
اسكندر : غفر له .. (عبة ريح) يرقد فى القبر ..
الرأس : انتقـام ..
اسكندر : أحيا بدلا منه ..
(مصباح يكشف ضوءه عن النادل العجوز ، وضابط المباحث ، ورجال الشرطة) ..

النادل العجوز : (يشير بأصبعه لاسكندر) القاتل ..

ضابط المباحث : (يقبض عليه) ..

النادل العجوز : (يرفع قبعته) المكافأة ..

ضابط المباحث : (يجد الشوال) الرأس فى الشوال ..

● المشهد الرابع

محـــكمة

(هيئة المحكمة الى اليسار . الرئيس . امامه منصة يجلس اليها وكيل النيابة . المحلفون للخلف . الجمهـــور على اليمين : صاحب المطعم ، الزبون . السادة . البقايا . الشحاذ . بائع الجرائد . ملاحظة الاوبرا . اجاثه مستندة الى الحاجز الأمامى .. النادل العجوز يجلس على مقعـــد الشهود . فى الوسط مائدة عليها الراس . اسكندر يجلس على كرسى بجانبها) ..

الرئيس : (ممسكا الشوال بيده) الرأس شاهد ..

هيئة المحكمة : (تطرق موافقة) ..

الرئيس : المتهم ..

اسكندر : (يتطلع اليه) ..

الرئيس : هل أنت مذنب ؟

نداء : قاتل ..

اجاثه : لا ..

الرئيس : هدوء ..

النادل العجوز : (يرفع أصبعه) أقسم ..

الرئيس : « والله على ما أقول شهيد » ..

النادل العجوز : آمـين ..

الرئيس : وكيل النيابة ..

وكيل النيابة : (واقفا) أيتها المحكمة الموقرة ..

المحلفون : (يتطلعون اليه) ..

وكيل النيابة : لقد قتل انسان ..

اسكندر : (ينظر اليه) ..

وكيل النيابة : العين بالعين ··

الجمهور : (يتابع باعتمام) ··

وكيل النيابة : الاعدام (يجلس) ··

الرئيس : المتهم ··

اسكندر : (يصوت) ··

الرئيس : المداولة ··

(تنسحب عيئة المحكمة والمحلفون ·· تخلو القاعة ·· أجاثه واسكندر وحدهما) ··

اسكندر : (يتلفت وراءه ·· يلمح أجاثه) ··

أجاثه : (تبتسم) أنا معك ··

اسكندر : (حائرا يتحسس جبهته) ··

اجاثه : أحبـك ··

(تمتلىء القاعة مرة أخرى ·· يرجع المحلفون وهيئة المحكمة) ··

الفتاة : (تنضم للجمهور ·· تبدو جائعة ·· تحمل طفلها على صدرها) ··

الرئيس : باسم الملك ·· (يقف الجميع) ··

رئيس المحلفين : مذنب ··

الفتاة : (تدخل القاعة حاملة طفلها) الجوع ··

ضابط المباحث : (يشدها للخلف) ··

الرئيس : الحكم بالاعدام ·· (الجميع يجلسون) ··

اسكندر : (يقف ·· صمت) ··

اسكندر : لقد قتلت ··

الرئيس : النكت ممنوعة ··

اسكندر : (يمسك الرأس ويرفعه الى أعلى) رأسى ··
(ضحك وضجيج) ··

نداء : اسمعوا ·· اسمعوا ··

اسكندر : أنا أكفر عن ذنوبكم ··

الرئيس : رفعت الجلسة ··

اسكندر : الجميع قتلة ·· (ضجة) ··

نداء : الى مستشفى المجانين ··

الفصل الخامس

● المشهد الأول

عنـــد العرافة

(العرافة تجلس على الأريكة • الفتاة الى اليسار •• ليسى الى اليمين • الكرسى المواجه للعرافة غارق فى الظلام •)

العرافة : (تخلط أوراق اللعب)

ليسى : (تقطع الأوراق) ••

العرافة : (تأخذ نصف الأوراق فى يد والنصف الثانى فى اليد الاخرى تكشف الأوراق) حقـــد ••

(الفتاة وليسى ينظران لبعضهما)

العرافة : (تمد الأوراق الى ليسى) ••

ليسى : (تشد ورقة) ••

العرافة : (تقرأها) هنا شخص مجهول ••

ليسى : (ترفع يديها مذعورة) ••

الفتاة : (تسحب السكين •• العرافة فى الظلام •• يضاء الكرسى •• يهجمان على بعضهما •• ليسى تسقط على السكين •• والفتاة تغرزها فى صدرها •• ليسى تخنقها •• يظلم الكرسى •• صراع الموت) ••

● المشهد الثـــانى

مستشفى المجانين

(ناس على هيئة الحيوانات • المســاعد فى الوسط)

المجانين : (يضحكون) ••

المساعد : (يجلس على العرش ••

صوت : (من الخارج) رقم عشرين ••

اسكندر : (يدخل) ..

المساعد : (يضع التاج على رأسه) ..

اسكندر : (يسقط على الأرض ، يزحف على أربع) ..

● المشهد الثالث

شـــــارع

(النادل العجوز يقف امام المقهى)

بائع الجرائد : اعـدام ..

اسكندر : (يساق فى طريقه الى السجن) ..

النادل العجوز : (يشنق نفسه)

● المشهد الرابع

سـجن

(ليل .. اسكندر مقيد بالسلاسل . فى الخلفية قضبان حديدية . دقات خافتة على الباب) ..

اجاثه : (تدخل فى يدها شمعة) جئت لأنقذك ..

(تقيد نفسها بالسلاسل .. هدوء .. يفتح الباب) ..

اسكندر : (يخرج .. تضاء القضبان الحديدية .. رجال فى ملابس رسمية سوداء يقفون حول مقصلة : رئيس المحكمة ، وكيل النيابة) ..

القسيس : (يدخل) ..

اجاثه : (تبتسم .. يظلم المكان .. تظهر السماء ..
(يسمع صوت غناء ينحدر من الأبراج) ..

● المشهد الخامس

مقبـرة .. فى الفجر

اسكندر : (يأتى ومعه انشوال) ..

القاتل : (يخرج من القبر) ..

اسكندر : (يناوله الشوال) ..

القاتل : الشوال فارغ ..

اسكندر : (يتجه للقبر .. ينزل فيه .. تشرق الشمس) ..

القاتل : (يفرد ذراعيه) أنا أحب ..

((النهـــاية))

جـورج كـايـزر

جحيم . طريق . أرض

●● مؤلف هذه المسرحية التى تجد هنا جزءا منها هو اغزر كتاب المسرح التعبيرى انتاجا على الاطلاق (بلغ عدد المسرحيات التى كتبها حوالى السبعين !) وأشدهم عناية بالبناء الدرامى المحكم ، وتجربة الأشكال والصيغ الجديدة ، والاهتمام بالعبارة المركزة واللغة الدقيقة والحوار الذكى اللاذع ٠

●● ولد « جورج كايزر » فى شهر نوفمبر سنة ١٨٧٨ بمدينة ماجدبورج ومات فى مهجره بمدينة اسكونا بسويسرا سنة ١٩٤٥ ٠ كان أبوه تاجرا واشتغل مثله بالتجارة ثلاث سنوات فى أمريكا الجنوبية (بمدينة بوينس آيرس عاصمة الأرجنتين) ، ثم أصيب بالملاريا فاضطر للعودة الى أوروبا ولزم فراش المرض ثمانى سنوات متصلة ٠ بدأ الكتابة متأثرا باب التعبيرية وملهمها الأول « سترندبرج » والكاتبين الألمانيين فرانك فيديكند وكارل شتيرفهيم اللذين تعد مسرحياتهما الأولى من أروع ما أنتجت الحركة التعبيرية وأشدها هجوما وسخرية بالبرجوازية المسعورة للمال والجنس والقوة ، كما تأثر بالكاتب الايرلندى برنارد شو ٠ ثم تفرغ للتأليف ولقيت مسرحياته التى مثلت بعد الحرب العالمية الأولى فى معظم دور العرض الألمانية أكبر نصيب من النجاح حتى أوشكت فى وقت من الأوقات أن تقتصر عليها ٠٠ ولما منع النازيون عرضها سنة ١٩٣٣ لم يجر مفرا من مغادرة بلاده وهاجر سنة ١٩٣٨ الى سويسرا ٠

●● واصل كايزر الكتابة فى المهجر وأصدر مجموعة من المسرحيات التى غلبت عليها النزعة الدينية والصوفية المتشائمة وابتعدت عن الروح التعبيرية الخالصة ، ولم تنل حظا يذكر من النجاح ، فبقيت منسية الى أن مات صاحبها منسيا فقيرا فى منفاه ٠ ومع ذلك فلا زالت بعض مسرحياته مثل « من الصباح الى منتصف الليل » تمثل الى اليوم بنجاح ، كما أن الأجيال التالية لم تجحد ذكراه تماما ، فقد أنشأت أكاديمية الفنون فى برلين أرشيفا يضم أعماله الدرامية والشعرية والروائية ٠

●● وصف بعض النقاد « كايزر » بأنه « اللاعب بالأفكار » ٠٠ وهو وصف ينطبق على انتاجه الخصب الذى تتنوع فيه الأشكال والتجارب الفنية واللغوية فمن استعراض الى باليه الى ملهاة الى « فارس » تتهكم بالحيلة الاجتماعية الى تراجيديا على النمط الحديث أو الكلاسيكى (وقد جرب هذا النمط الأخير فى

مجموعة من المسرحيات الاغريقية التى كتبها فى أواخر حياته واستوحى فيهـا موضوعات قديمة سبق أن عولجت قبله مثله (امفتريون وبيجماليون) ٠ وهو يصدق كذلك على قدرته الفائقة على البناء المحكم الذى يكاد يعتمد على الحساب الرياضى والهندسى ، كما يدل على تمكنه من التصميم الذهنى الواعى ، وموهبته فى ادارة الحوار البارع الحاد ، واختيار الكلمة المركزة المشحونة بطاقة متفجرة ، ونجاحه فى التأثير المسرحي عن طريق المشاهد المتتابعة المفعمة بالتوتر والتشويق والجدل ، والمؤثرات الضوئية والصوتية والسينمائية المختلفة ٠ وتدور معظم أعماله حول خبر عادى أو دعابة أو حادثة تافهة من تلك الحوادث التى تنشر الصحف أنباءها كل يوم وتقع فى المدن الكبرى والمراكز الصناعية المزدحمة ٠ ويختلق لها المؤلف هذا البناء المحكم والتصميم الدقيق ، وقد يضعها فى جو تشيع فيه أنفاس المأساة اليونانية القديمة ٠٠ ومع أن هذه الخصائص كلها كانت حرية أن تبعده عن التعبيرية والتعبيريين والمعاصرين له ، المعروفين بأسلوبهم الغنائى ولغتهم الخطابية المباشرة وعاطفتهم المتدفقة كالشلال أو الاعصار ، فان المضمون الانسانى الغالب على أعماله المبكرة هو الذى يقربه منهم بل يجعله من أصدق الممثلين لهم ٠ فهى تعنى بالنقد الاجتماعى أو السخرية الاجتماعية ان شئت ، وتسعى نحو صورة مثالية للانسان « الحقيقى الجديد » وتصور أخطار الآلية الحديثة على الحياة الطبيعية الحرة المسالمة ، وتخريب الصناعة ورأس المال لشخصية الانسان بل تجريده منها ، واضطراب العصر وكوارثه وحروبه وفوضاه وآثاره المدمرة على كيان الرجل الصغير الفقير ٠

●● والمقـام لا يتسع للحـديث عن مسرح كايزر بالتفصيل ٠ ولذلك سأكتفى بالكلام عن بعض أعماله لتوضيح منهجـه وأسـلوبه ٠ وأبدأ بأول مسرحية كتبها سنة ١٩٠٥ ولم تعرض على المسرح الا سنة ١٩١٨ وهى « الناظر كلايست » التى استوحاها من حياته فى المدرسة ٠ وتدور المسرحية حول هذا السؤال « من الفاعل » ؟ والذى يسأله هو نفسه الذى ارتكب الجريمة ٠ فقد ألقى الناظر كلايست بقنينة الحبر على صورته الكاريكاتيرية المعلقة على الحائط ٠ ويوجه الاتهام الى أحد الطلبـة فيستولى عليه الذعر والعار ويشنق نفسـه ٠ ويحاول مدرس الرياضة البدنية المثالى المخلص أن يعرف الحقيقة ٠ فاذا ما اعترف له الناظر بالحقيقة أظلم العالم كله فى عينيه فلم ير منه شيئا أو يفهم شيئا ٠ هى اذن دعابة سخيفة كان يمكن أن تطلق للتسلية والعبث ، لولا أن عقلية المؤلف الجدلية صنعت منها مأساة تشبه المآسى الاغريقية المفجعة ٠٠ ولعله سمى الناظر على اسم الكاتب الشهير هاينريش فون كلايست (١٨١١ ــ ١٨٧٧) للتشابه الواضح بين ناظره وبين آدم القاضى الريفى الخرب الذمة الذى يحقق فى جريمة ارتكبها (كسر جرة أثرية) وهو يطارد فتاة ريفية عفيفة طاهرة ٠ ويحـاول القاضى بكل وسيلة أن يزيح الجريمة عن نفسه لولا أن أرسل اليه حظه العاثر

مفتشا قضائيا من العاصمة يصر على معرفة الحقيقة ، ويكشفها كذلك فى النهاية فيحق الحق وينفذ العدل (١) ..

● ● وهناك مسرحيته التاريخية المشهورة « مواطنو كاليه » التى كتبها سنة ١٩١٤ واستوحاها من حادثة وقعت فى حرب المائة عام التى دارت بين انجلترا وفرنسا ، ومن مجموعة التماثيل المعروفة التى أقامها الفنان الفرنسى الكبير « رودان » فى نفس المدينة تخليدا لذكرى هؤلاء الأبطال وكشف عنها الستار فى سنة ١٨٩٥ . وتجرى أحداث المسرحية أثناء حصار ملك الانجليز لهذه المدينة الفرنسية ومطالبته بست رهائن من أهلها حتى لا تموت المدينة جوعا . ويتقدم سبعة من المواطنين الباسلين لبذل التضحية ، بينهم أخوان شقيقان ... ما العمل اذا وكيف يستبعد السابع ؟ ويتم الاتفاق على اللجوء الى « القرعة » ولكن أوستياش دى سان بيير — وهو قائد المجموعة وأكبر أفرادها سنا — يلقى سبع كرات زرقاء يتعذر الاختيار بينها . ولذلك يوافقون على تأجيل الفصل فى الموضوع الى صباح اليوم التالى بحيث يعفى آخر القادمين من التضحية بنفسه . ويتجمع الستة فى صباح الغد ويتأخر زعيمهم أوستاش . وتبدأ الهمهمة وما هى الا لحظات حتى تحمل جثته الى خشبة المسرح .. فقد شرب السم كى لا يعوق أصحابه عن أداء الواجب ، وعلمهم بهذا درسا فى التضحية بالنفس التى هى السبيل الوحيد الى تطهير النفس ..

● ● وأهم مسرحيات كايزر التعبيرية هى « من الصباح الى منتصف الليل » التى تستلهم شخصية « ماكبث » وخطيئته المهلكة التى أوقعه فيها طموحه المهلك . وتروى قصة صراف مسكين تضيع حياته فى زمن محدود بين الصباح ومنتصف الليل والموضوع كله مستمد من الأخبار العادية التى نقرأها أو نسمع عنها كل يوم عن الصراف أو « المخزنجى » الذى اختلس مبلغا ضخما من المال « ليرى الدنيا » ويستمتع أياما أو ساعات بالحياة التى حرم منها .. ومع أن التركيب العقلى يغلب على المسرحية ويؤكد أن صاحبها كان رجلا يلعب بالفكر والأفكار كما قلت — الا ان هذا الموضوع العادى قد تحول بين يديه الى مأساة حقيقية تملأ قلوبنا حزنا على الرجل المتوسط أو البرجوازى الصغير كما نقول اليوم .

● ● والغريب حقا أننا لو تأملنا هذه المأساة لوجدنا أنها قريبة من النوع

---

(١) أشير بهذا الى الكوميديا المشهورة التى كتبها كلايست وهى « الجرة المهشمة » أو « الزلعة المكسورة » وقد نقلتها منذ ست سنوات الى العامية المصرية ولازالت راقدة فى أدراج مؤسسة المسرح تنتظر من يبعثها الى الحياة ! وقد ترجمها الزميل الكريم الدكتور مصطفى ماهر الى العربية وتشرفت بمراجعتها وظهرت فى سلسلة « المسرح العالمى » التى تصدرها هيئة التاليف والنشر المصرية .

الذى تعالجه التمثيليات التهكمية البسيطة التى تسمى « بالفارس » وتقوم غالبا على السذاجة والغفلة وسوء الفهم · فالصراف (والمؤلف لا يسمى شخصياته بل يجعل منها نماذج عامة) يجلس وراء قضبان شباك الصرف فى البنك الذى يعمل فيه منذ سنوات وسنوات ، أشبه بتمثال أجوف أو آلة صدئة جمد فيها الدم وتوقف النبض من طول ما تحركت بين العائلة والوظيفة · وتدخل سيدة ايطالية يفوح منها عطر الأنوثة ودفء النعمة واغراء الجمال · وتطلب سحب مبلغ من المال لشدة حاجتها اليه ، فتكتشف أن حسابها خال وأن المبلغ المحول من البنك الذى تتعامل معه فى ايطاليا لم يصل بعد · وينظر اليها الصراف فيستيقظ فيه الانسان · وتلمس يده يدها بالصدفة فيشتعل عطشه للحياة · وبينما يلزم الصراف الصمت التام ، يثرثر مدير البنك مع بعض العملاء عن اقتناعه بأن هذه السيدة محتالة من أرباب الرفييرا أو مونت كارلو ويتصادف أن يودع مدير احدى شركات البناء مبلغا كبيرا من المال ، فيسرع الصراف الى حشو جيوبه بالأوراق الضخمة ليبدأ حياة رائعة حافلة بالمغامرات ·· وعندما يذهب الى الفندق الذى تقيم فيه السيدة الكبيرة يكتشف أنه فى واد وهى فى واد ، وأنه قد سقط ضحية سوء الفهم ونهب المبلغ الكبير عبثا · فالسيدة تتصل مرة أخرى بالبنك الذى يبلغها أن « الاخطار » قد وصل من البنك الايطالى ، ونعرف أنها كانت فى حاجة الى المال لان ابنها (والصراف يروع اذ يسمع أن لها ابنا !) قد وقع بالصدفة على لوحة أصلية للفنان القديم « كراناخ » واتفق على شرائها · ويتأكد الصراف المسكين أنه كان كالقرد الذى غاص فى الماء بحثا عن عروس البحر !!

ويرجع الى بيته فيجد كل شىء كما كان ، الأم العجوز التى تنتظره على الغداء ، والزوجة التى تسأل ان كان الوقت قد حان لشى اللحم ، والابنتان اللتان تغزلان الصوف ·· والملل الخانق والقيد الخانق فى الرقبة ·· ويحضر مدير البنك الذى اكتشف السرقة ليسوى المسألة قبل فوات الوقت · ولكن الصراف يكون قد سبقه الى العالم الكبير ، وراح يهيم على وجهه فى الخلاء فى الثلج والبرد والعاصفة ، يحدث نفسه حديث انسان غاص فى الهاوية التى لن ينقذه منها أحد · ويذهب الى ميدان سباق العربات فيبذر الآلاف ، والى ناد ليلى فيستمتع بالطعام والخمر والنساء ، وينتهى الى أحد بيوت « جيش الخلاص المسيحى » التى يتطهر فيها الناس من ذنوبهم ويرجعون الى نفوسهم ويتوبون الى السماء ·· وتستدرجه فتاة جيش الخلاص الى الاعتراف كما اعترف آخرون قبله ، دون أن تدرى أن المخبرين فى انتظاره · ولكنه يسبقهم جميعا ، فينهى حياته بنفسه قبل أن تصل أيديهم اليه ·

هذه المسرحية تلقى الضوء على معنى التعبيرية وروحها · فنحن نجد فيها فكرة واحدة تكشف من خلال المناظر الستة المتتابعة وتسيطر على بنائها وتركيبها ولغتها وحوارها · ونجد كذلك الايقاع المحموم ، والكلمات الشحيحة المفاجئة

التى تساعد على التركيز والتجريد ، واللهب الثلجى — ان سمح القارىء بهذا التعبير — الذى تشع منه عاطفة ذهنية محسوبة تدل على براعة التصميم ، وتستر فى نفس الوقت ضعف المواضع التى تفتعل الاثارة أو تستدر الدموع على هذا الانسان « الجديد » — الانسان الذى يزل زلة مضحكة مبكية ، ويندفع كالكلب المسعور ليطارد الحياة التى جفت قطراتها بين البيت والبنك ، ويصرخ صراخ « أوديب » المخدوع أو « ماكبث » المطارد فى نوبة اعتراف مجنون فيهما من السخف والسخرية بقدر ما فيها من البكاء والدموع ، وفيها من خيبة الأمل فى طبيعة الانسان وقدره ما يوشك أن يصل الى اليأس والعدمية ولقد نجح كايزر فى احياء صورة البطل التراجيدى القديم الذى يبحث عن المطلق ويتحطم على صخرته ويسقط السقطة النبيلة المفجعة • ان هذا الموظف الصغير المطحون الذى لا يجهل أحد منا ملامح وجهه قد زل الزلة الكبرى (أو الهيبريس (١) كما كان يعرفها اليونان) التى كان أبطال الاغريق العظام يقعون فيها • وقد بقيت فيه وفى معظم الشخصيات التى خلقها كايزر أنفاس من روحهم النبيلة الطيبة الى حد يثير الابتسام (ففى كل موقف تراجيدى نوع من الكوميديا وفى كل موقف كوميدى نوع من التراجيديا كما فطن لذلك أرسطوفان الماكر العظيم) • ولعل هذا هو سر نجاح المسرحية عندما عرضت لأول مرة سنة ١٩١٧ على مسرح الحجرة فى ميونيخ بعد أن منع البروسيون على عهد القيصر وليم الثانى عرضها فى برلين ، وهو كذلك سبب نجاحها المستمر الى اليوم •

لن يتسع هذا التقديم السريع للحديث عن مسرحية « غاز » التى كتبها كايزر فى جزءين (١٩١٨ — ١٩٢٠) وصور فيها جناية الآلة والصناعة ورأس المال على الانسان ، وفشل الابن والحفيد اللذين أرادا أن يقيما جنة الاشتراكية ، أو مسرحية « معا » (١٩٢٣) التى تدور حول قصة صاحب محل للرهون يعثر فى معطف كان قد رهنه على خطاب فتاة هجرها حبيبها فصممت على الانتحار • ويسرع التاجر لانقاذها ، ولكنه يكتشف أنها تعرفت على حبيب آخر وتزوجت منه • أما المنقذ المحب للبشر فيسقط ضحية انسانيته ••

ويتكرر هذا الموضوع فى مسرحية « جحيم ، طريق ، أرض » التى تجد لوحتها الأولى على هذه الصفحات • وهى لوحة تصور مصير الذين يحبون الانسان ويضحون بأنفسهم فى سبيله فيصبحون — وهذا قدرهم الذى لا مفر منه لكى تخطو البشرية فى كل جيل خطوة الى الأمام — فى النهاية أول ضحاياه ••

وهذه اللوحة القصيرة التى تضعنا فى غرفة أشبه بغرف العمليات أو التشغيل فى أحد المصانع الضخمة أو احدى المحطات الكهربية الهائلة تكشف عن

---

(١) الهيبريس هى خطيئة الخطايا وكبيرة الكبائر فى نظر اليونان القدماء ، ويقع فيها المغرور المتكبر الذى يتشبه بالآلهة وينسى حالته البشرية الفانية المحدودة ••

فن كايزر القائم على التركيز والتركيب الذهني والصنعة الهندسية التي لا تفتقر مع ذلك كله الى صدق العاطفة وتوهج الكلمة · وهي تكشف كذلك عن خيبة الأمل التي تصيب التعبيريين في آخر المطاف ولا أقصد خيبة أملهم في خلق الجنة المثالية على هذه الأرض ، فلم تبلغ بهم السذاجة الى هذا الحد ·· بل أقصد شعورهم بالعجز عن تحريك المجتمع البشري الى الانسانية والأخوة أو ايجاد الحد الأدنى من العدل والمحبة على الأرض · هل يرجع السبب في هذا لافتقارهم الى « أيديولوجية » فكرية وسياسة محددة كما نقول اليوم ، أو لعجزهم عن رؤية التناقضات الواقعية والاجتماعية في عصرهم ، أو بعدهم عن النظرة العملية والمادية الى ظواهر الحرب والفقر والفساد والظلم الاجتماعي ؟ قد تكون هذه الأسباب كلها صحيحة · ولكن هل من حقنا أن نلزم الأديب بهذه المطالب العلمية والفكرية ؟ وهل كان يمكن أن يصبحوا هم التعبيريين الذين نعرفهم الآن لو أنهم التزموا بنظام أو مذهب معين ؟

كل هذه أسئلة مفتوحة تستحق حوارا مفتوحا يدور حول التعبيريين أو غيرهم · وأحب أن أتركها للقارئ لكي يفكر فيها بنفسه وينتهي الى الرأي الذي يقنعه ويرضي ذوقه وعقله ·· بشرط أن يستقرئ هذا الرأي من التأمل في أعمالهم ودراسة انتاجهم المتنوع الخصب ·· ويقبل على قراءته بغير أفكار أو أحكام مسبقة ··

● جحيم طريق أرض

القسم الثالث ـ اللوحة الثانية

(قسم من اقسام الشرطة ـ الحجز ـ حجرة مربعة ذات جدران بيضاء. الأرضية من بلاط بني غامق ـ للخلف بابان كبيران مربعان من الحديد الاسود يمكن تحريكهما ، تؤدي اليهما سلالم . في الوسط مائدة سوداء ضخمة من الحديد ـ تشبه محطة تحويل ـ وعلى اللوح ثبتت لمبات حمراء للتنبيه تتصل كل منها « بضلفة » أو خانة لها غطاء . الى اليمين واليسار ابواب صغيرة من الحديد الاسود . أريكة من الحديد الاسود يجلس عليها ثلاثة جنود متصلبين في سن الشباب . الضابط يجلس الى المائدة الضخمة وينظر امامه نظرات جامدة تناسب طبيعة عمله . سكون . تضيء اللمبة الحمراء فتسمع فرقعة في المحول .)

الضابط : (يرفع الغطاء عن احدى الخانات ، يخرج منه دوسيها أو « تذكرة » ينزع منها بطاقة حمراء يقرأها ويقول) يا عسكري .

(الجندي المكلف بشئون المعتقلين يقترب من المائدة)

الضابط : (يعطيه البطاقة الحمراء) الحجز .

الجندي : (ينصرف متجها الى اليسار) .

الضابط : (يعيد التذكرة الى مكانها ، يغلق الغطاء ، يضغط على رافعة فتنبعث من المحول خشخشة تستمر فترة قصيرة ، تنطفيء لمبة الاشارة الحمراء .. سكون .. يدخل من اليمين جندي آخر ومعه أحد المعتقلين .. وهو رجل ملتح يمشي في خطوات هادئة) .

الجندي : المعتقل ...

الضابط : (للمعتقل) هل شخصيتك مطابقة للبطاقة الحمراء ؟

المعتقل : (يتطلع للسقف •• يتلفت حوله ـ يحدق فى أنحاء الحجرة ـ يدمدم غاضبا) لست •• مذنبا ••

الضابط : السؤال محدد : شخصيتك تطابق البطاقة ؟

المعتقل : لست مذنبا •• بهذه الصورة ••

الضابط : السؤال للمرة الثالثة •• هل أنت الشخص الموجود فى هذه البطاقة ؟

المعتقل : (صارخا) ليس هناك مذنب بهذه الصورة ••
هنا •• بعيدا عن كل الناس •• (يهز ذراعيه) ••

الجندى : (يسرع بوضع الحديد فى يده)

الضابط : ثبتت شخصية المعتقل •

الجندى : (يقود المعتقل الى الباب الأيمن الموجود فى الخلف •• يدفع الباب ـ لا تزال شبكة السلك الموجودة أمام الحجرة فى الضوء الخافت ، وقد وضع فيها المعتقلون من الرجال وأيديهم فى الحديد ، يخبطون على السلك هاتفين : لست مذنبا ••• الجندى يفتح السلك ويدفع المعتقل بداخله •• يغلق السلك والباب •• يتجه الى اليسار ويجلس فى مكانه متصلبا •• سكون فرقعة فى المحول ـ تضىء اللمبة الحمراء) •

الضابط : (يرفع الغطاء ـ يخرج التذكرة ـ يقرأ البطاقة الحمراء) عسكرى •

الجندى الثالث : (يتقدم نحو المحول) ••

الضابط : الحجز ••

الجندى : (ينصرف ناحية اليسار)

الضابط : (يضع التذكرة فى مكانها •• يغلق الخانة بوضع الغطاء عليها •• يضغط على الرافعة ـ تنطفىء اللمبة الحمراء) ••

(سكون •• يظهر الجندى الأول آتيا من اليمين ومعه سيدة على رأسها قبعة)

الجندى : المعتقل ••

الضابط : السؤال محدد : هل شخصيتك مطابقة للبطاقة ؟

المعتقلة : (تحدق فى جدران الحجرة تجمجم قائلة) لست مذنبة •

الضابط : (للسيدة) هل شخصيتك مطابقة لهذه البطاقة الحمراء ؟

المعتقلة : (بصوت أكثر حدة) لست مذنبة ••

الضابط : السؤال للمرة الثالثة : هل أنت الشخص الموجود على هذه البطاقة الحمراء ؟

المعتقلة : (تنهـار وتسقط على ركبتيهـا •• تتشبث يداها بالمائدة) ليس هناك مذنب الى هذا الحد •• هنا بعيدا عن البشر •

الجندى : (يضع الحديد فى يديها) ••

الضابط : ثبتت شخصية المعتقلة ••

الجندى : (يسوق المعتقلة الى الباب الأيسر الى الخلف ـ يفتح الباب •• المكان مثل المكان الذى سبق وصفه تتجمع فيه نساء تصدر عنهن نفس الحركات والنداءات : لست مذنبة •• الجندى يدفع بالمعتقلة الى داخل السلك ثم يغلقه وينتظر ناحية اليسار ـ سكون •• يدخل شباتسيرر (١) من اليسار وهو لا يزال يحمل حقيبته فى يده) •

شباتسيرر : (أمام المائدة) هناك جريمة قتل ترتكب •• ولا وقت نضيعه •

الضابط : (يرفع رأسه ويتطلع اليه) هل تقدم بلاغا ؟

شباتسيرر : نعم أقدم هذا البلاغ : هناك جريمة قتل •

الضابط : ومن المقتول ؟

شباتسيرر : لا وقت نضيعه •• الجانى يكسب الوقت ••

الضابط : اسم الجانى ؟

شباتسيرر : لا أعلم •• فى الفندق الكبير •• فى الصالون الذهبى •• سيدة سيدة مع صديقتها فى حلة سفر ـ نزيلة الفندق الكبير ـ وسترتكب جريمة قتل ••

الضابط : والسبب ؟

شباتسيرر : النية •• مع سبق الإصرار •• بموافقة الصديقة •• والتحذير من جانبى ••

الضابط : هل كان عندك علم بالنية ؟

شباتسيرر : لا وقت نضيعه •• ستسافر السيدة مساء •• وبين هذه اللحظة وحلول المساء يحدث ما يحدث •

---

(١) المعنى الحرفى لهذا الاسم هو (المتجول أو المتنزه) ولعل التسمية أن تكون بالغة الدلالة على شخصيته وطريقة اختيار التعبيريين بوجه عام لشخصياتهم المسرحية ••

الضابط : ماذا سيحدث ؟

شباتسير : جريمة قتل ••

الضابط : ألم تتم الجريمة ؟

شباتسير : النية موجودة •• والفعل يزحف ــ ولابد أن يزحف مع كل لحظة نحو الجريمة •

الضابط : من الذى يتعرض للخطر ؟

شباتسير : صديق •• معرفة •• واحد من الناس •• لماذا ؟

الضابط : من الممكن حمايته •

شباتسير : انه لا يعيش فى هذه المدينة •

الضابط : من الذى سينفذ الجريمة فى المدينة الأخرى ؟

شباتسير : السـيدة ••

الضابط : هل تحرض شخصا ثالثا ؟

شباتسير : انها تقتل هنا ــ وتقتل هناك •• لا تضيع الوقت !

الضابط : لا توجد جريمة قتل الا اذا قام بها أحد أو حرض عليها •

شباتسير : أتقول انه غير ممكن ؟ ــ القتل غير ممكن ؟ ــ على أسطح البيوت ــ فى المدن ــ فى محطات السكك الحديدية ــ حول الكرة الأرضية ــ فى كل بقاع العالم ــ وتقول غير ممكن ؟
(تسمع فرقعة فى المحول ــ تضىء لمبتان)

الضابط : (على المحول) عسكرى •• عسكرى •

جنديان : (يتقدمان ويقفان أمام المحول)

الضابط : (**يعطى كلا منهما بطاقة حمراء**) **الحجز •• الحجز ••**

الجنديان : (ينصرفان من اليسار)

شباتسير : (يخرج برقية من حقيبته) البرقية التى أرسلها الصديق ، المعرفة •• الواحد •• اقرأ يا حضرة الضابط ••

الضابط : (يقرأ البرقية)

شباتسير : لن أسـتطيع الرد عليه •• اننى لا أملك شيئا •• تعرفت على الصديقة ، وعن طريقها على السيدة ـــ أخبرها بما يحدث ، ان لم يتخذ اجراء •• ستشترى السيدة جواهر من الصائغ وتدفع فيها أكثر من ضعف الثمن المطلوب •• انها تستطيع أن تشترى جواهر •• تستطيع أن تفعل المطلوب •• ولا تفعله •

الضابط : على أى شيء بنيت اشتباهك فى توفر النية على القتل ؟

شباتسيرو : أنا لا أبني شيئا ‥ وانما أجرب ‥ اننى أسمع بأذنى وأرى بعينى ‥ اننى أعلم أن هناك شيئا يمكن منع وقوعه من هذه اللحظة حتى المساء ، ولكن لن يمنع وقوعه أحد ‥

الضابط : (يعيد اليه البرقية) لا يمكن القبض على السيدة ٠

شباتسيرو : لان الجريمة لم تتم بعد ؟

الضابط : لأن النية غير متوفرة ‥

(يدخل الجندى من اليمين ومعه معتقل شاب)

الجندى : المعتقل ٠

الضابط : (للمعتقل) هل شخصيتك مطابقة لهذه البطاقة الحمراء ؟

المعتقل : (يتلفت حوله ‥ يقول فى صوت كالأنين) لست ‥ مذنبا ٠

الضابط : السؤال هو : هل شخصيتك مطابقة للبطاقة ؟

المعتقل : لست مذنبا ‥ بهذه الصورة ٠

الضابط : السؤال لثالث مرة : هل أنت نفس الشخص الموجود فى البطاقة ؟

المعتقل : (يضرب الأرض بقدميه) ليس هناك مذنب بهذه الطريقة ‥ معزولا هكذا عن البشر ٠

الضابط : ثبتت شخصية المعتقل ٠

الجندى : (يقيد المعتقل ‥ يسوقه الى اليمين : اشارات الرجال الواقفين وراء السلك وصياحهم ‥ المعتقل يدخل معهم ‥ الجندى يعود الى مكانه الأول ناحية اليسار) ‥

شباتسيرو : يا حضرة الضابط ‥ اتخذ الاجراء اللازم ‥ الاجراء الذى ستكون له نتائجه المحققة ‥ الجريمة لم تحدث ‥ الجريمة ليست مجرد نية ‥ أوقف الصفقة قبل أن تتم ‥ ابحث عن حجة تمنع بها السيدة من السفر ‥ انها تزمع السفر ، وأنت تشتبه فيها ‥ احجزها حتى نعثر على الأدلة ‥ وسوف يتضح فى المساء أن كل شيء كان خطأ ‥

الضابط : (يضع التذكرة فى مكانها ‥ يغلق الخانة المخصصة لها) ‥

شباتسيرو : لن يمكنها الآن أن تذهب الى الصائغ ‥ ستتنبه حواسها ، فيخطر لها أنه لا يجب عليها أن تشترى شيئا منه ‥ وان الواجب يحتم عليها أن تنقذ حياة انسان ما ‥ ستستقر الفكرة فى ضميرها وتنجح

فى التأثير عليها ·· ستثير المعرفة الحماس المتوهج فى نفسها فتتدفق من يديها المعــونة الكريمة بلا ضغط أو اكراه ·· بل عن حرية وسخاء ··

الضابط : (صامت لا يتكلم)

شباتسير : يا حضرة الضابط ·· انها تعلم ·· ولكن تنتظر من يدفعها دفعة قوية ·· انها على علم بالخطر الذى يتعرض له الانسان المجهول ·· ولكن هذه المعرفة لم تستقر بعد فى ضميرها ·· فهى مع احساسها الغامض بالمسئولية لا تزال فى حاجة لتوجيه محدد : وهو الاكراه على الحصول على السعادة عن طريق مساعدة انسان مجهول قد يكون موجودا فى أى مكان ··

الضابط : (لا يزال جامدا متصلبا)

شباتسير : (سيدى الضابط) بطاقة السيدة ··

الضابط : (لا يتغير موقفه) ··

شباتسير : يا حضرة الضابط ·· البطاقة الحمراء ··

الضابط : (نفس الموقف السابق) ··

شباتسير : البطـــاقة ··

(يدخل الجنديان من اليسار ومعهما اثنان من المعتقلين : امــرأة تربط رأسها بمنديل ، ورجل عارى الرأس)

الضابط : (للمعتقلين) هل شخصيتكما مطابقة للبطاقة الحمراء ؟

المعتقل : (يرفع يديه الى المرأة) لست ·· مذنبا ··

المعتقلة : (ترفع يديها الى الرجل) لست ·· مذنبة ··

الضابط : السؤال : هل شخصيتكما مطابقة لهذه البطاقة ؟

المعتقل : (يمد ذراعيه نحو المرأة) لست مذنبا ·· بهذه الصورة ·

المعتقلة : (تمد ذراعيها نحو الرجل) لست مذنبة ·· بهذه الصورة ·

الضابط : السؤال للمرة الثالثة : هل شخصيتكما مطابقة لهاتين البطاقتين ؟

المعتقل : (يحاول أن يقترب من المرأة فيمنعه الجندى ويضع الحديد فى يده) لست مذنبا بهذه الصورة ·· حتى أبعد عنك ··

المعتقلة : (تحاول أن تقترب من الرجل فيمنعها الجندى ويضع القيد الحديدى حول يديها) لست مذنبة بهذه الصورة حتى أبعد عنك ··

الضابط : ثبتت شخصية المعتقلين ..

(الجنديان يسوقان الرجل والمرأة الى باب السلك المخصص للرجال والنساء .. يفتحان البابين)

المعتقل : لست مذنبا بهذه الصورة .

الرجال : (من وراء السلك) ما من أحد مذنب بهذه الصورة ..

المعتقلة : لست مذنبة بهذه الصورة .

النساء : (من وراء السلك) معزولين عن البشر ..

الجنود : (يدفعان المعتقلين الى الداخل ويغلقان الباب ويعودان الى اليسار) ..

شبانسيرد : (يتعثر في طريقه الى الخارج) ..

أرنست تولر

التحول

كانت التعبيرية أشبه بطائر النورس الأبيض الجميل الذى ترك البحر والسحب والأمواج وأخذ يحوم فوق المدينة الكبيرة ويرسل صوته الحنون الضائع وسط زحامها وصراخها وضجيج مصانعها وطلقات الرصاص المنطلق فى شوارعها. وكان لهذا الطائر الجريح جناحان ، أحدهما يرفرف بالغنائية والشاعرية والعاطفة المثالية الحالمة المفعمة بحب البشر ، والآخر يندفع به وسط عاصفة السياسة ومظاهرات العمال المطالبين بالاشتراكية والعدالة وصراخ الغاضبين على مذابح الشعوب . وكان « ارنست تولر » من أصحاب هذا الجناح الأخير . ترى صورته فيخيل اليك أنه نبى قديم جاء يبشر بالانسان الجديد والثورة على كل القيم العتيقة التى تقيد حريته وكرامته وأشواقه . فاذا قرأت تاريخ حياته عرفت كم تعذب وسجن وتشرد الى أن فاض به اليأس فى المهجر فتقدم بنفسه الى عجلة المــوت .

ولد « تولر » فى ديسمبر سنة ١٨٩٣ ببلدة ساموتشين بالقرب من مدينة برومبرج (أوبيدجوش التى تقع الآن فى بولندا الى الشمال من مدينة بوزنان) ومات منتحرا فى شهر مايو ســنة ١٩٣٩ بمدينة نيويورك بالولايات المتحــدة الأمريكية . كان أبوه تاجرا ميسور الحال فأتاح له دراسة القانون فى جامعة جرينوبل (بفرنسا) وتطوع فى الحرب العالمية الأولى وأصيب بجرح شــديد فأطلق سراحه سنة ١٩١٦ . واصل دراسته فى ميونيخ وهيدلبرج ، وانضم الى حركة العمال الاشتراكيين واشترك فى مظاهرات عمال مصــانع الذخيرة التى اندلعت سنة ١٩١٨ فى ميونيخ وأصبح أحد الأعضاء البارزين فى لجان العمال والفلاحين والجنود التى كانت نواة الجمهورية المؤقتة التى أعلنت فى بافاريا سنة ١٩١٩ . ثم حكم عليه بالسجن بعد فشل الجمهورية ، فقضى خمس سنوات فى معتقل « نيدر شوننفلد » الذى كتب فيه معظم أشعاره ورسائله وأهم مسرحياته وهى الانسان والجماهير (أنظر المقدمة !) .

انتابت « تولر » على أثر السنوات التى قضاها فى السجن موجة من الشك فى جدوى العمل الحزبى والسياسى وازداد يأسه من الثورة الجماهيرية والمظاهرات العمالية ووصل به التمزق الى حد الاقتناع بأن الثورات تسحق الفرد بدلا من أن تنقذه . وقد عبر عن هذا كله فى المسرحية السابقة الذكر وفى عديد من

قصائده الملتهبة بالعاطفة والمثالية وحب البشر · واضطر الى الهجرة من بلاده سنة ١٩٣٣ عن طريق سويسرا وانجلترا الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث عاش ومات بائسا وحيدا منسيا ·

كتب « تولر » مسرحيات عديدة غير « الانسان والجماهير » تعبر عن موهبة درامية فائقة وقدرة على البناء المسرحي وعاطفة مشبوبة بالحماس للثورة الاشتراكية التي خاب أمله بعد ذلك في تنظيماتها الحزبية · وقد عبر كذلك في مسرحه عن موجة السخط التي انتشرت في العشرينات على تجار الحروب وآلهة المال المسئولين عن مذابح الشعوب · فمسرحيته « التحول » التي كانت أول أعماله الدرامية (كتبها سنة ١٩١٩ وعرضت في نفس السنة في برلين) أشبه بصرخة مدوية أطلقها ضمير الشباب الثائر على كارثة الحرب الأولى وآلامها وفظائعها ، أو استغاثة عدد من ضحايا هذه الحرب الذين يفتحون صدورهم وينثرون دمهم ويعقدون أيديهم مع ذلك بالصلاة من أجل المخدوعين والمهانين والمضطهدين لكي لا تتكرر معهم المأساة · وهي كذلك صيحة يطلقها « تولر » في آذان الجلادين وكلاب الجحيم وسماسرة القتل ، صيحة الشعوب التي تحب السلام منذ القدم ولكن لا تصل اليه · والمسرحية تقول كل شيء وتعرض ما تريد أن تقوله بصورة مباشرة · وهي تكتفي بخطوط قليلة ولكنها مؤثرة ، وتدوي ببضع كلمات ولكنها تصيب كطلقات الرصاص · لم يبن الكاتب ولم يختلق شيئا ولم يصمم فنا ·· بل ترك القطارات المحملة بجثث الجنود تمر أمامنا بايقاعها الرهيب ، والهياكل العظمية مثل راقصات الموت التي تهتز أيديهن بالصناجات تصلصل أشلاؤها بين الأسلاك الشائكة كما لو كانت حلقات من سلسلة القتل الأبدية التي تجرها أقدام البشر ·

ولقد عبر أحد النقاد المشهورين الذين شاهدوا المسرحية في ذلك الحين عن اعجابه بها وسخطه على وجود صاحبها في السجن وكتب يقول :

> **« يجب أن يعرض هؤلاء الأوغاد على حقيقتهم أمام الناس فوق كل منصة ، في كل قاعة ، من كل مدينة ، في كل ليلة ·· هؤلاء الذين يعلفون بطونهم السمينة بينما يرقد ذلك الشجاع في السجن ·· » (١) ·**

وليست هذه المسرحيه وحدها هي التي تعبر عن الاحتجاج على الحرب واشتياق المهزومين المتعبين الى الراحة والعدل ، وسخطهم على قادتهم المزيفين وانتظارهم للمخلص المرجو (وقد جاءهم هذا المخلص بعد حين في صورة زعيمهم النازي المسعور فزادهم يأسا وخيبة !) ، بل هناك مسرحيات أخرى تصور

---

(١) وهو الناقد سيجفريد ياكوبسون في كتاب (عام المسرح) ، ١٩١٩ ، برلين ، مطبعة المسرح العالمي ١٩٢٠ ·

الجندى المشوه العائد الى وطنه بعد الحرب بعد أن فقد رجولته وفقد كذلك بيته وعمله (هنكمان سنة ١٩٢٤) وأخرى تصور ثورة العمال الانجليز على عبودية الآلات (محطمو الآلات سنة ١٩٢٢) وهبة الألمان فى وجه النازية (الراعى هال وقد كانت آخر ما كتبه فى المهجر) هذا الى جانب أشعاره التى يضمها ديوانه « كتاب العصافير » (١٩٢٤) وسيرة حياته ورسائله من السجن (١٩٣٥) وكلها وثائق تعبيرية تصور ثورة هذا الاشتراكى المثالى على الظلم وحنينه الى نظـام اجتماعى أكثر عدلا وانسانية ..

• التحول

رقصـــة المـوتى

الموقف الأول ـ اللوحة الثـانية

(قطارات نقل الجنود ـ ديوان مغطى بشباك من السـلك
فى احدى العربات • مصباح زيتى يدمع شررا • جنود
نائمون ومكومون على بعضهم البعض •)

الجندى الأول : الى متى يصر القطار ؟
آه من هذا الأزيز الأبدى
الذى ينبعث من الآلات المجلودة

الجندى الثانى : نحن نهيم فى فضاء لا محدود •
أياما ، وأسابيع ، لا أدرى عددها •
وددت لو أنام فى حضن أمى ••

الجندى الثالث : وددت لو أن البيت انهار
لما عانق الأب الأم

الجندى الرابع : وددت لو انطلقت من السماء خناجر نارية ،
وصرعت الرجل الغريب
لما ضاجع المرأة فى الغابة ••

الجندى الخامس : كلمات جوفاء •• طال علينا السجن
فى هذا التابوت الملعون ••
نتعفن فيــه
وتنتن رائحة اللحم البشرى ••

الجندى السادس : ونتوه نضل بلا هدف ،
كالأطفال المذعورين ضحايا العسف الباطل
نقتل ، ونجوع ، ونأتى

أعمال البطش
ونظل كأطفال مذعورين
يفجأهم ليل معتم ..

الجندى السابع : تمنيت لو أستطيع الصلاة :
كل الكلمات العذبة الحنون
التى قالتها لى أمى بصوتها الوديع
تتلعثم على شفتى وتتكسر .

الجندى الأول : أبدا نرحل
الجندى الثانى : أبدا يئز القطار .

الجندى الثالث : أبدا يضاجع الناس بعضهم .
ومن الشهوة النهمة تنمو اللعنة للأبد .

الجندى الرابع : أبدا يلد الرحم الأزلى نجوما وكواكب
أبدا يدمر الرحم الالهى نفسه .

الجندى الخامس : أبدا نتعفن .

الجندى السادس : أبدا كالأطفال المذعورين من الآباء .

الجندى السابع : يسلمنا رحم الأم
للضنك المثلج للأطراف .

الجميع : أبدا نرحل .

الجميع : للأبد .

بين الأسلاك الشائكة

الموقف الثانى ـ اللوحة الرابعة

(سحب مظلمة تجلد القمر . على اليمين واليسار موانع واسلاك شائكة علقت بها هياكل عظمية ملطخة بالجير ، وبينها حفر من أثر القنابل اليدوية . يتحرك أحد الهياكل من المانع الأيسر .)

الهيكل العظمى : لكم أنا وحيد ..
الكل ينامون .
مع هذا لا أشعر بالبرد

الذى شعرت به ، عندما كتب على
أن أفرق بين العدو والصديق ..
الجير جيد الامتصاص ، فسرعان ما تقلصت
مزق الجلد المضرجة بالدم .
ها ! ها ! يمكنني الآن
أن أصلصل بيدى .

الهيكل العظمى الثاني : (ينهض واقفا فى المانع الأيمن)
هو ذا الصعلوك يتحرك من جديد ..
كان على أن أرتعد خوفا على الدوام :
ومع هذا .. فلا أشعر بالجوع ..
من يقبض على ؟ يد عظمية باردة ..
دعنى ، قلت لك .
دعنى .
والا .. نسيت نفسى ..
آه انها يدى
التى تشنجت على اليد الأخرى ..

الهيكل الأول : واصل مهزلتك ، يا صديقى العجوز .
انى أؤدى بمفاصلى المرتخية
رقصة زنجية مجلجلة .
لم نعد أصدقاء وأعداء ،
نحن الآن سواء .
المزق الحمر افترستها الديدان !
كلنا الآن سواء ..
سيدى .. هيا لنرقص !
(الهياكل العظمية بين الموانع والأسلاك تنفض التراب عن نفسها) .

الهياكل : كلنا الآن سواء .
سيدى .. هيا لنرقص .

الهيكل الأول : الوسام اللامع البراق أبلاه العفن .
جمدت أسماؤنا فى صفحات الوفيات
وأحيطت بالسواد .
يا رفاق : انهضوا الآن لنرقص !

الهيكل الثاني : أنتم يا من بلا ساق هناك ،
احملوها ! صلصلوا !
صلصلوا للرقص هيا !

(الهياكل المقطوعة السيقان تمسك بعظام السيقان وتصلصل ··
الهياكل الأخرى ترقص)

الهيكل الأول : هو ! هو ! ما هذا ؟
أنت هناك ، لم لا ترقص ؟

الجميع : سيدى ·· هيا لنرقص !

أحد الهياكل : (فى جانب) انى أخجل من هذا !

الهيكل الثاني : تخجلين ؟
(يغطى مكان العورة بيديه)
كان هذا فى قديم الزمن !

الجميع : (يسرعون بتغطية العورة)

الهيكل الأول : صحراء الوحشة بددت الخجل ·
من ذا الذى يخجل الآن ؟
انما نحن عرايا !
ووراء العظام العارية
يتثاءب المستنقع الأجوف ··

أحد الهياكل : (فى جانب) لا ، ليس بمستنقع ·

الهيكل الأول : مـن ؟

أحد الهياكل : (فى جانب) تحيا مريم ··

الجميع : هىء هىء ! هو ! هو !
هىء هىء ! هو ! هو !

الهيكل الأول : سيدى ، لست سليما ··
سيدى ، هيا لنرقص !

الجميع : أجل نرقص ·· أجل نرقص !

أحد الهياكل : (فى جانب) لست سيدا ··

الهيكل الثاني : ماذا اذن ؟

أحد الهياكل : (فى جانب) فتـــاة ..

الهيكل الأول : سادتى ... فلنغط عرينا ..

أحد الهياكل : (فى ركن) لم أزل فى الثالثة عشرة ،
لـكن ..
لم تحملقون فى هكذا ؟

الهيكل الثانى : آنستى ، انك الآن فى حماى ..

أحد الهياكل : (فى ركن) هل معنى هذا ألا أخشى شيئا ؟
فى الماضى كانوا أعداء .

الهيكل الأول : ومتى ؟

الهيكل : (فى جانب) فى تلك الليلة
لا أدرى الآن
لم فعلوها .
يا سـيد ،
هل كان قضاء محتوما ؟
ما كاد الأول يتركنى
حتى كان الثانى فى فراشى ..

الهيكل الثانى : وبعـــد ؟

الهيكل : (فى جانب) وبعـد ...
من ذلك مت .

الهيكل الأول : من ذلك ماتت ..
ما أزفعها ، ما أجملها من كلمة !
ماتت من ذلك ..
يا سادة .. أنتم مضطربون
وأيديكم .. هو . هو .
أيديكم ما زالت ..

الجميع : (يتركون أيديهم تسقط الى جانبهم)

الهيكل الأول : آنستى فات أوان الخجل ..
ما الداعى ؟ أهناك فرق ..
فى ظنى أنك لا تدرين
أما اليوم .. فعلى شرف لطخ بالجير ..

نحن اليوم سواء ..

ولهذا ، ان سمحت آنستى

هيا فى وسط الحلقة

شرفك ضاع

هذا لا يعنى شيئا ،

ليس جديرا ان نتحدث عنه ..

أحسنت .. ما أذكاك ..

هيا فى وسط الحلقة ..

(يلتف الجميع فى حلقة حول الهيكل العظمى الذى ينتحى الركن الجانبى ، ثم ينخرطون فى رقص عنيف) ..

راينهارد زورجه

الشاعر

علامات ــ ٢٠٩

مؤلف هذه المسرحية التى تجد هنا لوحة واحدة منها هو رينهارد يوهانيس زورجه • وهو من أوائل الناطقين بلسان التعبيرية فى الشعر والدراما ، ومسرحيته « الشحاذ » تمثل حركتها المبكرة خير تمثيل •

ولد « زورجه » فى يناير سنة ١٨٩٢ فى بلدة ركسدورف التى تقع بالقرب من برلين وسقط فى الحرب العالمية الأولى بالقرب من ابلانكور فى منطقة « سوم » بفرنسا • كان أبوه مفتشا فى بلدية برلين ، فقضى سنوات صباه وتعليمه الأول فى هذه المدينة ، وانتقل الى مدينة « يينا » فى سنة ١٩٠٩ ليدرس بجامعتها ، ثم تفرغ بعد ذلك للكتابة الحرة • قام برحلتين الى ايطاليا (أرض الجنوب المشمس الدافىء التى طالما حن اليها الفنانون والأدباء الألمان منذ عهد « دورر » و « فنكلمان » و « جوته » !) وتحول فى سنة ١٩١٣ الى الكاثوليكية • واشترك سنة ١٩١٤ فى الحرب العالمية وسقط ضحيتها سنة ١٩١٦ •

يعد « زورجه » الذى اغتالته الحرب وهو فى عنفوان شبابه أول من أعلن الهجوم على مادية العصر ونزعته الطبيعية فى الأدب والحياة ، وافتتح دربا جديدا للدراما الشاعرية المتدفقة بالحماس والعاطفة والرؤى الحالمية القائمة فى أغلبها على المونولوج الداخلى واللغة الغنائية والخطابية ، الداعية الى عناق الأبدية وتجديد الانسان ورجوعه الى الكل الذى خرج منه وخرج عليه •

والشحاذ هو الاسم الذى اختار أن يطلقه على الشاعر الضائع فى زحام المدينة ، المغلوب على أمره بين ملوك المال وعبيده ، المختنق بين ثرثرة أدعياء الفن وتجاره ، الباحث عن الاخوة الانسانية والحوار الانسانى وسط ذئاب التجارة والصناعة وطواويس الثقافة والعلم •

وهكذا تصبح « الشاعر » مجموعة من الرؤى والصرخات المتفجرة بالسخط والشوق والاخلاص ، وتعبيرا عن رسالة هذا الشاعر التى تملأ صدره وتأخذ عليه كل حياته ، وهى حلم الانسان المثالى الطاهر البرىء •

وقد اتجه « زورجه » بعد تحوله الى الكاثوليكية نحو المسرحية الصوفية والروحانية على غرار مسرحيات الأسوار المعروفة فى العصور الوسطى المسيحية ، كما كتب بعض الملاحم الشعرية القصيرة المفعمة بالتقوى والورع •

• الشاعر

الشـــاعر : آه ·· ليل وتجربة ·· تجربة الليل ·· كيف أعانيها ؟ كيف ترى أحياها ؟ (باشارات محمومة) الى أين أذهب ؟ لأية أرض ؟ أى بحار ؟ أجواء ؟ ويلي من هذا الصخر ·· عاجز أنا أمام الصخور ·· وبعد ؟ ماذا يأتى بعد ؟ ·· قدر على قدر فوق كتفى ·· نسور على كتفى ···· مخالب فى كتفى ·· كيف سأهرب ؟ أى بحار ·· أى هواء ·· (يتوقف مجهدا ويلتقط أنفاسه) وحدى وبعيدا عن كل الناس ·· لا أصحاب ، لا قدرة ·· منكسرا عاجزا ·· بلا جواب ·· ولا لمسة يد ·· ماذا سيكون مصيرى ؟ كل الدروب سلكوها ، كل تحد واجهوه ·· وما زالت العجلة تدور ·· (يقف الآن بجوار النافذة التى على اليمين ويفتحها) بعد قليل يشرق الصباح ·· استيقظوا ·· هيا الى الشوارع ·· أريد أن أقف فى الزوايا وأنظر اليكم ·· أريد أن أرتجف فزعا وأحاول أن أفهمكم ·· ها ·· ها ·· انى جبار ·· وحيد ·· بلا أرض ·· بلا شاطىء ·· ها ·· انى أملك أن أقهر ·· أجل ·· انى أشعر بالقوة ·· القوة الأخيرة ·· القوة الأزلية ·· العواصف حولى ، كل العواصف ·· كل الظلام ، العالم أجمع ·· (تهب العاصفة من خلال النافذة ·· ينطفىء النور) هيا أيتها الكلمات ·· مرحى بك ·· انهضى بقوة ·· احتشدى وازدحمى ·· اضربى الصخور ، قيدى البحور ، وجرجرى وراءك البحار ·· اغرى كل النيران أن تدخل فى دائرتى ·· فى دائرتى ــ أقهر كل الأشياء ــ أرغم هذا الكون ·· (تهب العاصفة مرة أخرى عبر النافذة) ·· فليقبل الناس ·· من كل لون وجنس ·· فلتقبل البغايا ··

(يظلم المسرح تماما ، ولكن ترى فى الخلف الى اليسار ست حسان ذوات دلال على ضوء شاحب ، يغفين مستغرقات فى نعاس اللذة والشهوة ، والشفاه لا تزال مفتوحة على التنهيدة الأخيرة ،

وملامح الوجوه متعبة من عذوبة القبل الأخيرة ، والأذرع مرتخية بعد العناق الأخير) ..

مرحى بالحسناوات .. فى نعاس البغايا .. (يميل على الحسناء الأولى ويهمس فى أذنها) استيقظى .. استيقظى بنفسك .. هل ارتكبت الخطيئة ؟ أأنت انسانة ؟ (يهمس للثانية) مذنبة أنت ؟ هل أنت وضيعة ؟ (يهمس للثالثة) هل أنت منبوذة ؟ (للرابعة) هل أنت ملعونة ؟ استيقظن بأنفسكن.. لا تخفن اليقظة.. استيقظن لحياة الخلود .. هل أنتن بشر ؟ هل أنتن من أبناء الأرض ؟ أم أنتن صدفة ؟ ما الانسان ؟ ما الصدفة ؟ خالدات أنتن .. أنتن لذة خالدة .. (تصحو البغايا من النوم ويقمن من الفراش فى بطء) أخرجن من القبور .. من قبوركن الأرضية .. اصعدن للسماء .. (تكون البغايا قد نهضن جميعا وكأنهن فى حلم .. يتوارى الحائط الخلفى فى بقية المشهد وتبدو للعين سماء الليل .. فى الخلف الى اليمين وعلى ارتفـاع قليل ترى شعلة نار محمرة ، والى اليســار (فى الخلفية أيضا) ترى نجوم أكبر وأشد سطوعا من النجــوم العادية ، وبينها قمران كبيران متوهجان يدوران حول بعضهما .. عاصفة) ..

الشاعر : (يتقدم الحسان متجها الى اليمين ثم يرتقى درجات غير منظورة تؤدى الى الشعلة .. الحســان يتبعنه فى خطوات راقصة على ايقــاع كلمــاته) ..

أيتها الأجسام
هيا الى السما
فنغمة الكلام

تطهر الخطى
فلتنفضى الخطايا

عن شعرك الأثيل
وأنفس الهدايا

عن صدرك الجميل
ولترقصى عرايا
للهب القديم

ولتخطر البغايا
على ثرى النجوم..
تحلقوا ودوروا

حول اللظى الضرير
وأطلقوا البخور
لشهوة الصدور
ابتهلي وصلي
لأختنا الشقراء
كي تشعل الحنين
وتطلق الأهواء ..
(تغوص الحسان ويختفين)

الشاعر : (ناظرا الى الأعماق)
القلوب تئز والنهم يفور ،
والصرخات المجنونة تغلي في لهب العناق .
يا لمسة الوحي والقدرة الشاملة .
صار رمادا ما جمعته الصدفة ،
وها هي ذي أعضاء جديدة يصهرها اللهيب
وارادة الخلق ، التي تنشلكم من الأعماق
(أشباح وظلال ضخمة تصعد من الأعماق في شكل دائرة)
أنتم رسل اللذة الرائعة التي تعبر العوالم ،
أنتم الخالدون القريبون من روح الله ..
أنتم تزينون جبين الله بالتاج الرائع المخيف ..

(قصف الرعد ــ ظلام ــ تهدأ العاصفة .. ثم يضاء المسرح قليلا وتظهر غرفة السطوح من جديد . يقف الشاعر في الوسط وجذعه مائل للوراء وعيناه مغمضتان ، وذراعاه مضمومتان بشدة حول بطنه .. تباشير الفجر) .

الشاعر : (يصحو شيئا فشيئا من نعاسه)
أيتها الحياة العظيمة .. يا نبع الطهر والصفاء !
(يتجه سارح الفكر في خطوات بطيئة الى النافذة التي على اليسار) ..
(وهو يطل من النافذة)

الشفق يعلن عن النهار .. أنتم .. ان خيالي المتوهج قد حلق فوق سطوح بيوتكم ، انثنى حول الأبراج ، غاص بظله العملاق في البخار المنبعث منكم ، رفعه بقوة وصعد به الى العرش ..

أنتم لم تروه ٠٠ ولا تروننى ٠٠
أنا لا أجد جوابا ٠٠ لا أجد جوابا ٠٠ كلماتى ينبغى أن تفور
وتطلق اللهب فى الفضاء ، ثم تسقط فوقكم ، ترقص ألسنتها المشتعلة
على رؤوسكم ، حتى تنتبهوا لوجودى ٠٠
أنتم ٠٠ أنتم ٠٠ افسحوا لى الطريق ٠٠
انظروا كيف أندفع بينكم ، والشعلة الحمراء تهتز فى يدى ٠٠
افتحوا لى أبواب المصحات العقلية
حتى أحول شباك الضحك الأجوف التى تشبه شباك العنكبوت
الى فروع وغصون متألقة بالنضارة والحياة
انهضى أيتها الجثث المنبوذة وقفى أمامى
سأنتشلك من الفساد العفن لتتلألئى كالنجوم
وتتهشمى على الأرض من روعة الضياء والبهاء ٠٠
لينبتثر دم شعلتى المقدس
فوق القاعات الموحشة تحت قبة السماء السوداء
وعلى سحب الدخان الكثيفة التى تتصاعد
من أجسام الآلات المعولة الباكية ٠
افتحوا الأبواب ! افتحوا الأبواب !
اجمعوا حولى صفوف النهمين الشهوانيين ،
انظموا حبات الرذائل والشهوات السود ،
سأزين لكم الأصنام حتى تصلصل اللذات بالنظم الجميل ٠٠
افتحوا ٠٠ افتحوا ٠٠ فانى أشتهى أن أقيم الأوثان
وأشيد نصب الآلهة للجنس الأزلى الخالد ٠٠

(ينهار ويسقط ، ويسود الصمت)

« النهـــاية »

تم بحمد الله

المصـــــادر

1) Schrei und Bekenntnis. Expressionistisches Theater. Herausgegeben und eingeleitet von Karl Otten. Darmstadk, H. Luchterhand Verlag, 1959, 1012 S.

١ – صرخة واعتراف ، المسرح التعبيرى · وهي مجموعة مختارة من المسرحيات التعبيرية نشرها وقدم لها كارل أوتن – دار نشر هرمان لوخترهاند ، دار شتات وبرلين سنة ١٩٥٩ ، ١٠١٢ ص ·

2) Theater des Expressionismus H.erausgegben von J. Schöndrof. München, Longen Muller 1962, 440 S.

٢ – مسرح التعبيرية · ويضم ست مسرحيات لفيدكند والزه – لاسكر شيلر وجورج كايزر وارنست بارلاخ ورينهارد جيرنج وهانز هيني يان – وقد نشرها يواخيم شوندورف وقدم لها باول بورتنر ، ونشرتها مطبعة لانجن مولر بمدينة ميونخ ، ١٩٦٢ ، ٤٤٠ ص ·

Menscheitsdämmerung. Ein Dokument des Expressionismus. Hrsg. von Kurt Pinthus, Hamburg, 1964, Rowohlts Klassiker, 384 S.

٣ – فجر الانسانية · وثيقة الحركة التعبيرية ، وهي أكبر مجموعة شعرية نشرها كارل بنتوس لأول مرة سنة ١٩٢٠ وأعيد نشرها عدة مرات لدى الناشر ارنست روفولت ، هامبورج ، ص ٣٨٤ ·

4) Otto Mann; Geschichte des Deutschen Dramas, Alfred Krönet Verlag, Stuttgart, 1960, S. 556-589.

٤ – أوتومان ، تاريخ الدراما الألمانية ، شتوتجارت ، دار نشر كرونر (في سلسلة كرونر المعروفة للجيب) ، الفصل الخاص بالتعبيرية ص ٥٥٦ – ٥٨٩ ·

5) Fritz Martini; Deutsche Literaturgeschichte. Stuttgart, A. Kroner Verlag, 9. Aufalge 1958, S .509-530.

٥ ـ فرتز مارتيني ، تاريخ الأدب الألماني ، شتوتجارت ، دار نشر كرونر ، الطبعة التاسعة ، ١٩٥٨ ، من ص ٥٠٩ ـ ٥٣٠ .

6) H. F. Garten; Modern German Drama, London, Methuen and Co. Ltd. (University Paperbacks) 2nd Edition, 1964, p. 102-170.

٦ ـ هـ . ف . جارتن ، الدراما الألمانية الحديثة ، لندن ، ميثوين وشركاه ، الطبعة الجامعية المصقولة ، ١٩٦٤ ، من صفحة ١٠٢ الى صفحة ١٧٠ .

7) Gero Von Wilpert; Deutsches Dichterlexikon . Stuttgart, A. Kröner Verlag, 1963.

٧ ـ جيرو فون فلبرت ، معجم الأدباء الألمان ، كرونر ، ١٩٦٣ .

8) Das Deutsche Drama, Vom Realismus bis zux Gegenwart, Hrsg. von Benno-Von Wiese, Dusseldorf 1964. 3rd, II.

٨ ـ الدراما الألمانية ، من الواقعية الى العصر الحاضر ، مجموعة من الدراسات أشرف عليها العلامة بنو فون فيزه ، دوسلدورف ١٩٤٦ ، المجلد الثاني .

٩ ـ عبد الغفار مكاوى ، التعبيرية في الشعر والقصة والمسرح ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٦٠ ، مارس ١٩٧١ ـ ١١٧ صفحة ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة .

أعمال أخرى

● صدر للمؤلف

١ ـ ابن السلطان (قصص) ـ دار المعارف ـ اقرأ (٢٩٧) ـ القاهرة ١٩٦٧ .

٢ ـ الست الطاهرة (قصص) ـ دار الكاتب العربى ـ القاهرة ١٩٦٧ .

٣ ـ الموت والمدينة (مسرحية) ـ نشرت فى « ٥ مسرحيات فصل واحد » ، كتابات معاصرة ، ص ٥٧ ـ ٩٧ ، القاهرة ١٩٧٠ .

٤ ـ سافو شاعرة الحب والجمال عند اليونان ـ دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٥ ـ قصص من جوته ، دار المعارف ، اقرأ (٢٨٧) ، ١٩٦٦ .

٦ ـ ألبير كامى ، محاولة لدراسة فكره الفلسفى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٧ ـ مدرسة الحكمة (دراسات فى الفلسفة) ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨ .

٨ ـ البلد البعيد (دراسات فى الأدب) ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨ .

٩ ـ التعبيرية (فى الشعر والقصة والمسرح) ، المكتبة الثقافية (٢٦٠) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

١٠ ـ قصائد من برتولد برخت ، دار الكاتب العربى ١٩٦٧ .

١١ ـ تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق (لكانت) ، المكتبة العربية ، القاهرة ١٩٦٥ .

١٢ ـ كتاب الطريق والفضيلة (تاوتى كنج للاوتسى) ، مؤسسة سجل العرب ، الألف كتاب ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٣ ـ جوته ، تاسو ، مسرحيات عالمية (٤٠) ، ١٩٦٧ ٠

١٤ ـ بشنر ، فويسك وليونس وليفا ، مسرحيات عالمية (١٠) ، ١٩٦٥ ٠

١٥ ـ موت دانتون ، مجلة المسرح ، العدد ٦١ ، ابريل ١٩٦٩ ٠

١٦ ـ برخت ، الاستثناء والقاعدة ومحاكمة لوكولوس ، مسرحيات عالمية ، العدد (٦) ٠

١٧ ـ برخت ، السيد بونتيلا وتابعه ماتي ، مسرحيات عالمية ، العدد (٢١) ٠

١٨ ـ ثورة الشعر الحديث ، من بودلير الى العصر الحاضر ـ في جزءين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ ٠

١٩ ـ هلدرلين ، الشاعر الوحيد ، دار المعارف بالقاهرة (سلسلة نوابغ الفكر الغربي ـ ٢١) ٠

٢٠ ـ ليبنتز ، المونادولوجيا والمبادىء العقلية للطبيعة والفضل الالهي ٠ دار الثقافة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٤ ٠

فهـــرس

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنــى : حســن كــامــل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة

لا ريب أن لموضوع الكتاب من الخطر بقدر ما فيه من الطرافة؛ لأن الباحثين فى الإسلام والمسلمين لم يعنوا بتناول الناحية الاجتماعية والدينية والفكرية إلا قليلا، وإذا كان المسلمون قد طال اتصالهم بأوروبا واشتد تأثرهم بالمدنية الأوروبية خيرها وشرها، فقد أصبحنا فى حاجة إلى ما يكشف لنا عن مدى تطور الشعوب الإسلامية وعن خطوات هذا التطور وظروفه التاريخية والعوامل التى ساعدت عليه وعن مسلك المسلمين إزاء المدنية الغربية ومقدار قبولهم أو رفضهم لها وعن وسائلهم فى حل مشكلاتهم الحاضرة وما أصابوا من نجاح، ثم عن وجهة الإسلام فى جملته ومحاولته التوفيق بين أنظمته وبين العصر الحديث.

جاء هذا الكتاب وافيا بهذا الغرض لأنه يوجه أكبر العناية إلى تحليل تيارات الفكر الداخلية بين شعوب الإسلام وما يتردد بينهم من نزعات ويفصّل ما يشغل بالهم من الناحية الدينية والاجتماعية، ويكاد القارئ العربى لا يجد كتاباً يُجمل له الكثير من شئون المسلمين مع تنائى بلادهم واختلاف لغاتهم وتنوع مشكلاتهم بطريقة علمية وبقلم باحثين ثقات كهؤلاء الأساتذة الذين عُنى كل منهم بدراسة الناحية التى كتب عنها وخبر شئونها بنفسه.

لوحة الغلاف للفنان فان جوخ

تصميم الغلاف: نسرين كشك